بئر يوسف

سيرة شخصية لشاعر من جيل الثمانينات في العراق

منذر عبد الحر

الكتاب: بئر يوسف
المؤلف: منذر عبد الحر

رقم الإيداع: ١٣٨١٧ / ٢٠٢٣
الترقيم الدولي: 978-977-493-906-8
الطبعة: الأولى / ٢٠٢٤

الناشر
شمس للنشر والإعلام
ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)
www.shams-group.net
shams@shams-group.net

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يُسمح بطبع أو نشر أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هَذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

شمس للنشر والإعلام

بئر يوسف

سيرة شخصية لشاعر من جيل الثمانينات في العراق

منذر عبد الحر

إهداء

إلى كل الذين ساهموا في إثراء حياتي بالمعنى...

إلى أبناء جيل الثمانينات الشعري، جيل المحنة والاحتجاج والتحدي...

إلى روحي أبي وأمي اللذين تحملا مُشاكستي طِفلاً... ومرارة غياباتي عنهما شابًّا...

إلى روح أخي كنعان، الذي رحل وهو يحمل أسى الوطن وتطلعات الأمل فيه...

إلى كل أصدقائي في كل مكان مررتُ فيه وغرستُ معهم وردة محبة...

وإلى مَنْ أطلقا مبادرة نشر سيرتي هذه: المبدع الحبيب الرائع المُتفاني «حسن البحّار»، والمهذب النبيل الشاعر والناشر «إسلام شمس الدين»، وإلى مؤسسته الرائعة «مؤسسة شمس للنشر والإعلام» العامرة بعطائها وطموحها...

أُهدي سيرتي الشخصية.

منذر عبد الحر

بغداد

٥ تشرين الثاني ٢٠٢٣

لا يبقى في الذاكرة سوى ما نريد نسيانه

ديستوفسكي

تقديم

تُمثِّل السِّيرة؛ في ما تمثِّله؛ شهادات خاصة تشير لأحداث وشخصيات وظواهر معُيَّنة عاشها صاحب السِّيرة ودَوَّن منها ما يراه مناسبًا...

ولعلَّ ما قرأتُه من سير لشخصيات معروفة في مجالاتها، أشعرتني بالمتعة والفائدة وطبيعة تجربة كل شخصية وما مرَّت به وكانت شاهِدة حيَّة عليه. وربما يطول الحديث عن فن كتابة السيرة وطبيعتها وأساليب كتابتها المتنوعة.

وأنا، وبعد أن تلمّستُ ضرورة كتابة جزء من سيرتي التي تخصُّ حياتي الثقافية والأدبيّة، قررتُ نشر هذه السيرة أولاً في عمودي المُحبَّب لي «إشارة» في جريدتي التي قضيتُ فيها أكثر من خمسة عشر عامًا «الدستور»، ومنحتني حُريّة البوح والتطرّق لموضوعات ثقافية متنوعة، من خلال منبرها الحرّ الرصين، وقد نشرتُ حلقتين منها.

أمَّا ضرورة كتابة هذه السيرة فتأتي من أمرين، الأول هو توثيق مرحلة من مراحل حياتي، التي آثرتُ هنا أن تكون بجزئها الثاني المتعلّق برحلتي في الأدب والثقافة، على اعتبار أن جزءها الأوّل يتعلّق بحياتي الشخصيّة، التي أرى أنها ستكون مُفصَّلة في الكتاب الذي سأعدّه عن سيرتي كاملة، لذلك لا أجد من المفيد نشرها هنا...

أمَّا الأمرُ الثاني فيتعلَّق بسعيي لتثبيت بعض النقاط المهمة التي يجب أن أُثيرها، وبالمحطّات التي تنقّلتُ فيها، وبالمتغيّرات التي كنت واحدًا من الشهود عليها، كونها ساهمت في رسم خريطة البلد الثقافية، وما جرى فيها، وبالذات في سنوات تسعينات القرن الماضي، المحتدمة، الصاخبة، المليئة بالعطاء، والالتباس وخلط الأوراق أيضًا في أحيان كثيرة. وكذلك للإشارة إلى بعض الأسماء المهمة من التي عاصرتُها أو التي سبقتني في التجربة، حيث اكتشفتُ من خلال تعاملي مع بعض مبدعي الجيل الشعريّ الجديد أنهم لا يعرفون شيئًا عنهم وعن منجزهم ومكانتهم الأدبية، وهذا يقتضي الأمانة الأخلاقية والتاريخية والثقافية في التعريف المناسب بهم.

كما أنني أسعى جاهدًا وأنا أُدوِّن هذه السيرة أن أكون مُخلصًا لنفسي في القدر الذي لا يجعلني مُغاليًا بنظر بعض القُرَّاء، ولن أخرج عن النسق الثقافي، رغم بعض المؤثرات السياسية، لأن مثل هذه المؤثرات - حسب رأيي - كانت سطحيّة ساذجة في عمومها، وما حصل من ممارسات اقترنت في حينها بسياسة الدولة، لم تكن دوافعها سياسيّة محضة، وسأشرح هذا الأمر عند الوصول إلى فكرة احتواء الأدباء الشباب وتوظيفهم في المؤسسات الإعلامية والثقافية ومنحهم رواتب، إضافة إلى ظاهرة التجمع الثقافي وقياداته وما حصل في أكثر من دورة انتخابيّة تخصّ المجلس المركزي للاتحاد العام للأدباء والكُتَّاب في العراق، وما حصل

فيها من تجاذبات وصراعات وتقاطع رؤى ومصالح، مرورًا بثقافة استخدام بقايا الورق في المطابع والاستنساخ وما جاءت وجادت به.

وأؤكد أنني لن أعطي آراء حاسمة نهائية في بعض الأحداث والظواهر، فأنا راءٍ بالمقام الأوّل، وشاهدٌ مازالت ذاكرته قادرة على استحضار ما حصل، وكأنه حدث قبل أيام قلائل وليس عقودًا من الزمن بدأت تراكم علينا الأحداث والأوجاع والظواهر الثقافية والاجتماعية المختلفة.

وأُشير هنا إلى أنني سأتجنب الحديث عن بعض الأسماء التي قد أُسبِّب لها حرجًا، وقد أتجاهل بعض الأحداث التي لا تمتُّ لهدفي الثقافي بصلة، لأنها ستأتي باهتة لا تؤدي سوى إلى السرد المجانيّ الذي لا أحبّهُ، كما أنني أحب أن أكرر على أن ما سأدلو به هو شهادة شخصيّة، تمثّل وجهة نظري، وما عشته ورأيته، لأن جميع من عاش في تلك السنوات له رؤيته ووجهة نظره والأحداث التي عشناها معا، وأنا مستعدّ لنشر أيّ وجهة نظر أو رأي يراه أيّ متابع لتلك السنوات من أجل إظهار وجه الحقيقة بأصدق الملامح.

أتمنى أن يوفقني الله تعالى وأن يمدّ بعمري كي أستطيع نشر هذه السيرة، وأن يساهم معي من كان شاهدا عليها لإثراء الحقيقة التي نحتاجها جميعًا ناصعة نقية صادقة.

وسأبدأ من مكوناتي الأولى، ولادةً وطفولةً وصبا وشبابًا، ولن أسرد كل شيء بالتفصيل، بل برشاقة أحاول أن أوفِّر فيها

للقارئ مُتعة وسلاسة وتعرّفًا على عوالمي التي نشأتُ فيها وانطلقتُ منها، لأصنع شخصيتي التي لا تخلو من عيوب، شأنها شأن أي إنسان عركته الظروف والأحداث وتأثيرات البيئة والمجتمع، الذي حالفني حظ التنقل المتنوع فيه، أن أعيش في أكثر من مكان ومدينة، وكل منها يحمل خصوصية ساهمت في تحقيق ما أنا عليه الآن، واعذروني وأنا أتحدث بصراحة عن معاناة حقيقية مررتُ بها في أكثر مراحل عمري الذي أراه أكبر مما أحصته السنوات، وأعتقد أن هذه المعاناة ليست شأنًا خاصًا بي وحدي، بل هي معاناة معظم أبناء جيلي الذي فتح عيني وعيه على توتر بنيت عليه مسارات حياتنا، ونحن ننشد في الصف الأول الابتدائي من الدراسة: (لاحت رؤوس الحراب... تلمع بين الروابي). ولننهي الدراسة تحت سيف أنشودة (إحنه مشينه للحرب)... حتى خرجنا جرحى أرواح ونحن نردد بانكسار وحسرة أغنيات الوجع الإنساني لنمضي في حياة قلتُ عنها في قصيدة «شرط العمر» إننا ربحناها وخسرنا أعمارنا...

كل هذا في الزمان الذي يقول عنه البعض إنه «جميل وآمن».

بئر يوسف

سيرة شخصية لشاعر من جيل الثمانينات في العراق

منذر عبد الحر

• الولادة... والطفولة

من مفارقات ولادتي، أنني وُلِدتُ فجر يوم السبت الثالث عشر من أيار عام ١٩٦١، حسب الورقة الصغيرة التي دوَّن فيها والدي رحمه الله هذه التفاصيل، كان ذلك في قرية الإذاعة في قضاء أبي غريب غربي بغداد، لكنني سُجِّلتُ من ولادة قرية الخاص التابعة لقضاء المدينة شمال البصرة في الثالث من أيلول عام ١٩٦٠، وقد عرفتُ فيما بعد أن لي شقيقًا وُلِد في هذا التاريخ وحمل اسم عارف، لكنه تُوفي، فسُجِّلتُ أنا في الصفحة التي تحمل معلوماتٍ عنه.

كُنا حينها نقيم في البصرة، قبل أن ينتقل والدي للعمل في معمل البيبسي كولا في بغداد، وكان سكننا تلك الفترة مع أقربائنا المتطوّع في الجيش وهاب عبد الحسن، كما أن والدي أطلق علي اسم «لقمان»، لكنّ جدي الذي كان متواجدًا في بيتنا لحظة ولادتي أشار لأبي منبهًا إياه إلى أنني ولدتُ مختونًا «ختان الملائكة» كما كان يُطلق على هذه الحالة، لذلك عدَّني منذورًا، فأسماني «مُنذر».

بعد ولادتي بأشهر قليلة، انتقلنا للسكن في الجانب الآخر من نهر «أبي غريب» في بيت طيني مقابل للمعسكر الشهير الذي يضم السجن المعروف، ضمن عدد من الدور الطينية لا يتجاوز المائة، بقينا فيه أربع سنوات، أتذكّر منها تفاصيل

شاحبة، لكن الذي حفر خدشًا في روحي منها هو وفاة شقيقة لي اسمها «نهلة» توفيت بعد أشهر من ولادتها، وأتذكر أنني بكيتُ عليها بُكاءً حارقًا، لأنني كنتُ شديد التعلُّق بها.

بعد ذلك مضت الأيام هادئة، كنتُ فيها مدللاً على الرغم من محدودية إمكانيات أبي إلا أنه كان يوفِّر لي كل شيء، ثم انتقلنا إلى مكان أقرب إلى عمل والدي في جسر ديالى جنوب بغداد في محلة الرياض، وهذه المنطقة يسكن فيها أطيب الناس وأكثرهم بساطة وسمات محببة، لذلك سرعان ما تآلفنا مع أهلها، وصار لي فيها أصدقاء طفولة، كنتُ ألعب معهم الألعاب المعروفة آنذاك، ومنها كرة القدم، حيث جلب لي والدي حينها كرة صغيرة، يشاركني اللعب فيها أطفال الجيران، وبدأت مهاراتي تظهر بينهم لولعي الشديد باللعبة، وأيضًا لنشاطي وسرعة حركتي وتوقد ذهني.

عندما بلغتُ سنّ السادسة سجلتُ في مدرسة الحيرة الابتدائية للبنين، كان ذلك عام ١٩٦٧.

• والدي... وعنترة بن شدَّاد

كان والدي الذي يعمل في معمل البيبسي كولا موزِّعًا، يتنقل في بعض المناطق في سيارة «لوري» للتوزيع، وكان معه سائق اللوري الخاص بالمعمل، والحقيقة التي يجب أن أذكرها هنا، أن والدي كان مشاكسًا يتشاجر مع الآخرين لأتفه الأسباب، وشجاره لم يكن من النوع الكلامي، بل معارك شديدة كان دائمًا يفوز فيها، لشجاعته وقوته الجسمانية أيضًا، رغم قصر قامته، وكان مولهًا بعنترة بن شداد، حفظ فيلمه السينمائي الذي كنت أرافقه في الحضور إلى دار السينما لمشاهدته في أغلب الأحيان، وقد حفظت منه الكثير من أبيات الفخر والشجاعة التي كان عنترة يرددها في الفيلم، أو في كُتب السِّيرة التي كان والدي يقتنيها ويحفظ منها.

وهذه المشاكسة جعلته أحيانًا لا يلتزم بتوجيهات مدرائه، بل وصل به الأمر مرة أن يتجاوز بالضرب المبرح على مديره في المعمل، لذلك تمَّ نقله إلى معمل البيبسي كولا في «العمارة» بعد أن تعرَّض إلى محاكمة، وكان ذلك في عام ١٩٦٨، ليأخذنا معه، حيث سكنّا في قرية الخاص التابعة لقضاء المدينة مع أعمامي وأخوالي وأبنائهم، فيما كان والدي يداوم في العمارة من السبت حتى ظهيرة الخميس، حيث يأتي إلينا يومي

الخميس والجمعة من كل أسبوع.

وكُنا أنا وأختي هاجر التي تكبرني بعامين نداوم في المدرسة القريبة من منزلنا الكبير، الذي جمعنا فيه جدي «عباس حطَّاب»، والبيت عبارة عن مجموعة من الصرائف المبنية من القصب والبردي، مع سياج دائري من القصب يُسمَّى «خُص» يلف البيت كله.

كنتُ حينها في الصف الثاني الابتدائي، وكانت القرية وكل القرى المحيطة بها تطفو على المياه حيث حلّ الفيضان مطلع عام ١٩٦٩، وصار تنقلنا بين الأماكن عن طريق الزوارق الصغيرة «الشختورات».

• ولادتي الثانية

مدرسة «الخاص» الابتدائية، نسبة إلى قرية الخاص؛ كانت من المباني القليلة المبنية بالطابوق، والمباني هي مؤسسات حكومية، مثل المستوصف، وبعض المنازل التي يمتلكها أثرياء القرية، وهم من التجار الذي يعملون في الجانب الآخر من نهر الفرات في سوق قضاء المدينة، وكانت حينها ناحية تابعة لقضاء القرنة...

بينما تقع المدرسة الثانية في قرية «خُميسة» المتاخمة لقريتنا وهي من القصب والبردي وكان اسمها «مدرسة البطحاء الابتدائية»، وكان مديرها خالي أبو مازن عبد الصاحب طالب.

مدرستنا مختلطة، كما هي مدرسة البطحاء، وكلاهما تضم الأولاد والبنات من سكان القرية، بعددهم القليل، وكل مرحلة في المدرستين تتألف من شُعبة واحدة، كنا أنا وأختي الكبرى هاجر وابن عمي كاظم وبنات عمي في شعبة واحدة، بينما كان ابن عمي غانم الذي يكبرني بثلاثة أعوام في الصف الرابع الابتدائي.

كنا نشعر بالحيوية والمرح ونحن نذهب كل صباح إلى المدرسة بالزوارق الصغيرة، وحين نعود إلى البيت الكبير عند الظهيرة، نجد غداءنا المألوف السمك المشوي مع الخبز

واللبن والتمر والرز، وبعد الغداء تبدأ ألعابنا البسيطة في الفسح الضيقة التي تمَّ تغطيتها بالبردي. وحين يحل الليل، تجلس كل عائلة من عائلات البيت الكبير في صريفتها الخاصة بها، نتعشى في الغالب لبنا «روبة» ورُزًا مع التمر، ثم نخلد جميعًا للنوم بوقت مبكر لنصحو مع الفجر على أصوات العصافير ونقيق الضفادع وهمسات الماء الرقيقة، حيث نغسل وجوهنا في أقرب «كرمة» أو ساقية صغيرة، ثم نتناول فطورنا اليومي المألوف أيضًا، وهو البيض بالدهن مع الحليب والخبز الحار، بعدها ننطلق للمدرسة.

عشتُ في هذه الأجواء عامًا كاملاً، تعرَّضتُ فيه إلى حالة غرق نجوتُ منها بأعجوبة، وقد أشرتُ لهذه الحادثة أكثر من مرة، حيث كنتُ في زورق صغير مع أختي الكبرى هاجر، ولأنني كثير الحركة وشديد الفضول، فقد مددتُ جسمي الصغير للماء، فاختل توازن الزورق لأسقط منه، ولا أفتح عينيّ إلا على جموع محتشدة حولي، فيما كنتُ مستلقيًا في حضن أبي، ووجه أمي غارق بالدموع، التي سرعان ما تحوّلت إلى بكاء فرح رافقته زغاريد مع عبارة: (لقد فتح عينيه، إنه حيٌّ يُرزق).

عرفتُ فيما بعد أن والدي الذي كان حاضرًا في البيت يومها قد انتشلني من الغرق وأنا فاقد للوعي.

كان الجميع يعلم أنني طفل مشاكس كثير الحركة والمفارقات والمقالب أيضًا، لكنني تعلمتُ السباحة، فلا خشية عليّ من الغرق في المياه التي تحيطنا من كل جانب.

وبعد أن قضينا عامًا كاملاً في القرية، فزتُ فيه بالكثير من المعلومات والتجارب، رغم صغري، وقد رافقتُ والدي وأعمامي في رحلة للهور، حيث جعل الأعمام توقيت زيارتهم للهور مع حضور أبي يوم الجمعة، وكان الطقس حارًا، وأجواء الهور خانقة صعبة، قضيتُ فيه يومًا مدهشًا.

• العودة إلى بغداد

بعد هذا العام، عُدنا إلى بغداد، وإلى جسر ديالى ثانية، وهذه المرة في مكان قريب للمرفقات الخدمية في المنطقة، وقد كنتُ في الصف الثالث الابتدائي، في مدرسة الحيرة الابتدائية للبنين التي عدتُ إليها ثانية...

صار لي في المدرسة أصدقاء قريبون، كنا لا نفترق إلا قليلاً، وبدأتُ أُدمِن كرة القدم وألعاب الأطفال الشهيرة آنذاك، مع تفوّق لافت في الدراسة. وحين بلغتُ الصف الخامس الابتدائي، تمَّ اختياري ضمن منتخب المدرسة لكرة القدم، حيث لعبنا أول مباراة في الزعفرانية مع مدرسة أخرى، وكنت متميزًا في هذه المباراة حيث لعبتُ في المركز الذي أحبه، وهو المدافع المتأخر، وكنتُ حينها متأثرًا باللاعب الدولي العراقي المرحوم عبد كاظم، الذي اشتهر بهذا المركز، وأُطلِق عليه لقب «الفدائي». ورغم قصر قامتي حينها، إلا أنني كنتُ قويًا سريعًا في الحركة والجري.

• التنظيم الطُلابي

في عام ١٩٧٣ داومتُ في الأول المتوسط في ثانوية «الميثاق» للبنين في جسر ديالى أيضًا، بعد أن أنهيتُ السادس الابتدائي بتفوّق، وكان أقرب الأصدقاء لي آنذاك هما صلاح حسن رزوقي، الذي ترك الدراسة لأسباب خاصة، وعمر عباس خنجر جارنا.

كان صلاح في حينها لا أعرف سبب كُرهه للنظام الحاكم وحزب البعث الذي كان في أوج نشاطه واندفاعه وحماسه وتسلُّطه، وقد نبَّهني صلاح إلى ضرورة عدم الانتماء للتنظيم الطُلابي الذي مارسه الحزب في الوسط التعليمي، فهم يتابعون الطلبة الجدد لكسبهم.

وبالفعل، فقد جاءني في أحد الأيام أحد طلبة الصف الثالث المتوسط، وكان ضخم الجثة داكن البشرة حاد الملامح اسمه «ف. ف»، وقال لي: (عليك أن تنتمي للتنظيم الطلابي، وهو تنظيم الحزب والدولة)، وبدأ يتحدث لي عن المنجزات، فيما كنتُ غارق التفكير بتنبيه صلاح لي. وبعد أن أنهى «ف. ف» كلامه معي، قال: (عليك أن تجلب غدًا صورتين كي أُسجِّلك معنا).

يومها عُدتُ إلى البيت مرتبكًا قلقًا، التقيتُ صلاحًا وأخبرته بدعوة «ف» لي، فقال: (حاول ألا تذهب للدوام غدًا).

وبالفعل أخبرتُ والدي ووالدتي صباح اليوم التالي بأنني اليوم أشعر بصداع شديد، ولا قدرة لي على الدوام في المدرسة، ولم أذهب، ظنًّا مني أن «ف» سينسى دعوته لي، لكنني وبعد أن داومتُ في اليوم التالي ليوم تغيّبي، جاء إلى شُعبتي واستدعاني لغرفة التنظيم في المدرسة، سألني عن تغيّبي أمس، كما طالبني بصورتين، قلتُ له نسيت جلبهما، فقال لي: (اترك المدرسة الآن واذهب لجلب الصورتين). فلم أجد مفرًا من تهديده المضمر لي، لذلك عدتُ إلى بيتنا القريب من المدرسة وجلبت الصورتين لأنتمي للتنظيم الطلابي في المدرسة.

عرفتُ فيما بعد أن هناك معلومات تسربت تفيد بأن خالي أبا مشتاق الذي كان يزورنا قادمًا من البصرة إلى بغداد؛ من الشيوعيين المؤشرين لديهم، لذلك تمَّ تكليف «ف» لضمي للتنظيم وضمان ولائي لهم وليس لأفكار خالي.

هذا الأمر تسبب بزعل صديقي صلاح مني، وبقينا مدة لا نلتقي.

وبدأتُ أواصل اجتماعاتي بتذمر وملل مع التنظيم الطلابي وكان «ف. ف» هو مسؤولنا آنذاك.

• مجلتي... ومعكسر العمل الشعبي

من الزملاء الذين كانوا معي في الثانوية كريم قاسم عبود وإياد كاظم صيهود وعبد حامد وجبار حسن وثامر محسن، وعدد من متعددي المواهب والاهتمامات، كنا مواظبين على متابعة مجلتي والمزمار والموضوعات الطريفة المسلية فيها، وكان كريم - الذي يكبرني بعامين - يراسل مجلتي، ويظهر اسمه فيها، وقد شجعني هذا الأمر على مراسلتها، وقد طرتُ من الفرح حين شاهدتُ اسمي منشورًا كوني من أصدقاء المجلة.

بعد انتهاء السنة الدراسية الأولى في المتوسطة، وفي العطلة الصيفية، تمت دعوتنا - نحن الطلاب المنتمين إلى التنظيم الطلابي - والواقع هو كل الطلاب منتمون، عدا من كان «الحزب» له رأي فيهم، وهذا الرأي مبني على أمور اجتماعية تخص سمعة الطالب وعائلته، وقد كان من بيننا في المدرسة كلها طالبان أو ثلاثة فقط، أقول تمت دعوتنا للمشاركة في معسكر «الخالصة» للعمل الشعبي، وقضاء مدة أسبوع كامل، من أجل المساهمة في بناء قرية سكنية للفلاحين المصريين القادمين للعمل في العراق...

كانت أيام المعسكر جديدة على حياتنا، فالنهوض مع الفجر، والقيام بالرياضة الصباحية ثم التدريب العسكري

وبعدها العمل في البناء، هي ممارسات لم تعتدها أجسادنا التي ما زالت طرية، وبعد الاستراحة الصباحية الأولى التي نتناول فيها فطورًا فخما، نعود إلى العمل ثانية حتى الظهيرة، بعدها تبدأ فترة الغداء، ثم الاستراحة، وفي عصر كل يوم كنا نلعب كرة القدم، حتى حلول موعد العشاء، نتناوله، ثم تبدأ الحفلة المسائية التي تتضمن فعاليات مختلفة بين الغناء والتمثيل وإلقاء القصائد الحماسية المعروفة آنذاك.

في اليوم الأخير من مشاركتنا في المعسكر أقيمت على شرف مشاركتنا حفلة كبيرة شارك فيها مطربون معروفون منهم داود القيسي وفاضل عواد وسعدون جابر وفؤاد سالم.

• تجربة المسرح

كنتُ مع - كريم قاسم عبود وإياد كاظم - دائمي اللقاء، تجمعنا سمات مشتركة منها الاهتمام المبكر بالقراءة وعشق الفن، بمتابعة بعض الأفلام المصرية والمسلسلات المتنوعة والأغاني المؤثرة، وفي الصف الثاني المتوسط واجهتني تجربة جديدة تركت أثرها في حياتي، حيث كانت في مدرستنا فرقة فنية مسرحية وأخرى غنائية، وكان يدير كليهما محمد خماس الطالب الموهوب، وكان في الصف الرابع الثانوي - كانت مدرستنا تنتهي بهذه المرحلة - أما المرحلتان الخامسة والسادسة فهما في إعدادية بعيدة بعض الشيء عن جسر ديالى، كان محمد خماس يكتب مسرحيات متنوعة ويقوم هو بإخراجها والتمثيل ضمن كادرها أيضًا، وكان يكتب الشعر، ويُحوِّر الأغنيات العاطفية إلى وطنية، وكان هو يغنيها، وكان أبرز الممثلين معه حسين ناجي وجبار حسن وعلي خضير وجاسم محمد وغيرهم...

في أحد الأيام دخل محمد خماس إلى شُعبتنا - كنا في الصف الثاني المتوسط - معه مدير المدرسة، قال لنا: (عندي عمل مسرحي اسمه «الفلسطيني الثائر» سيكون بطله فتىً من سنكم أنتم، فمن هو الذي تختارونه من بينكم؟)... كان الكلام موجهًا لنا، والغريب في الأمر أن صوتًا جماعيًا ارتفع كالضجيج وكأنه متفق عليه، حيث قال الجميع:

(منذر يستطيع ذلك). عندها قال مدير المدرسة باسمًا، وقد كان يعرفني: (انهض يا منذر، فأنت المرشح لهذا الدور).

بصراحة شعرتُ بالخوف والتردد وكنتُ أتمنى أن أرفض، لكنني لم أقل إلا كلمتين خرجتا بالكاد من فم ارتباكي: (حاضر أستاذ).

بدأتُ أحضر تمرينات العمل المسرحي «البروفات» على أمل أن يكون عرض المسرحية في عيد الطالب الذي يصادف ٢٣ تشرين الثاني من كل عام، وكان قد تبقى على الموعد ما يزيد عن الشهر، كنا نتمرن طيلة أيام الأسبوع عدا يوم الجمعة طبعًا، وكان محمد خماس فرحًا بمشاركتي وبقدرتي السريعة على حفظ الدور وأدائه.

وجاء يوم الاحتفال، الذي كان عادةً يبدأ بكلمة لمدير المدرسة مع كلمة الاتحاد الوطني لطلبة العراق، ثم أناشيد وطنية يؤديها محمد خماس مع مجموعة من الطلبة، وكانت هناك دائمًا مشاركة للشاعر خالد الشطري، الذي يسكن في جسر ديالى أيضًا، ويعمل مشرفًا لغويًا في المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون، وكان ولده وليد زميلاً وصديقًا لي في المدرسة، وبعد قصائد خالد الشطري، يبدأ عرض مسرحية الفلسطيني الثائر، وقد شعرتُ باللحظات الأولى منها بأن قلبي سيخرج من صدري، ولكنني استجمعتُ قواي وقلتُ في نفسي: (لِمَ الخوف والخجل وأنا أُردِّد كلمات ليست لي، بل حفظتها؟).

وهكذا أدَّيتُ دوري بإتقان شديد، وأصبحت عضوًا بارزًا

في الفرقة الفنية، المسرحية والغنائية، وقد التحق بي الزملاء كريم قاسم عبود ووليد خالد الشطري وسعدي ناصر داوود ونجم عبد الله وغيرهم، لنكون الفرقة الفنية لثانوية الميثاق، حيث قدمنا نشاطات في مدارس أخرى وشاركنا في احتفالات مديرية التربية فرع الرصافة، وبدأتُ أجسّد أدوارًا متنوعة، حتى استطعت كتابة بعض المسرحيات والمقاطع البسيطة، بعد أن تخرج محمد خماس من الثانوية وانتقل للدراسة في مكان آخر، وفي هذه الأثناء بدأ اهتمامي بالقراءة الجدية، فقرأتُ رواية البؤساء لفيكتور هيجو ومسرحيات شكسبير مع متابعتي للمجلات الفنية، فيما عمل الزميل كريم قاسم عبود في الإذاعة والتلفزيون، وكذلك وليد خالد الشطري أصبح أحد أفراد فرقة الأطفال للإنشاد.

وهكذا مضيتُ في مسار فني جميل أحببته، إضافة إلى ممارستي للرياضة وخصوصًا كرة القدم وكرة السلة وكرة المنضدة.

والحديث عن عالم جسر ديالى يطول ويتشعب ويستحق مني كتابًا كاملاً، فهي البقعة الجميلة التي تشبه في موقعها قرية «الخاص» التي عِشتُ فيها وغرقتُ في سواقيها، فهي تطل على نهر ديالى الذي قضيتُ فيه أصيافًا رائعة من السباحة اليومية، والمغامرات البريئة في البساتين التي تحيط به من كل جانب، حيث كنت مع أصدقائي نتسلل إليها ونقطف الثمار الصيفية الطازجة، التفاح والعرموط، والثمار الأخرى التي كانت ملاذنا الجميل ومغامراتنا الدائمة.

• العودة إلى البصرة

بقيتُ في هذه العوالم الحيوية المُحببة الجميلة، حتى وصلتُ إلى مرحلة الثالث المتوسط، حيث شهدتْ عائلتنا انتقالاً جديدًا وعودة للبصرة حيث تمَّ نقل والدي مُجدَّدًا...

في البصرة بدأتُ حياة مختلفة، مع أنني بقيتُ على تواصل مع أصدقائي في جسر ديالى، وخصوصًا كريم قاسم عبود، الذي نشر الكثير من النصوص الأدبية وصار مُقدِّمًا للبرامج في الإذاعة، كنا نتبادل الرسائل بشكل دائم، وكان يقرأ كتاباتي ونصوصي، ويرشدني لقراءة بعض الكتب، وخصوصًا للأدباء البصريين المعروفين في البصرة.

كنتُ حينها في متوسطة «جابر بن حيان» في محلة الجمهورية الثالثة في البصرة، وتعرَّفتُ في هذه المدرسة على الصديق الذي صار أقرب الناس لي، وهو «قُصي ريسان جاسم»، الذي أخبرني عندما أدرك اهتماماتي الأدبية، أن أباه قاصٌ معروف من قصَّاصي البصرة، وقد شارك في الكتاب القصصي المُشترك «١٢ قصة» الصادر في البصرة مطلع السبعينات والذي كان يضم قصاصين معظمهم من الماركسيين... وكانت لهذا الكتاب القصصي أصداء جيدة في الوسط الثقافي، ليس البصري حصرًا، وإنما في العراق كُله.

كنتُ أذهب مع قُصي إلى بيته القريب من المدرسة، وقد تعرَّفتُ على والده الذي كان يتمتع بثقافة حديثة مدهشة، وبدأتُ أستعير الكتب منه والتهمها التهامًا، قرأتُ روايات عربية وأجنبية مترجمة ومجموعات شعرية، إضافة إلى كُتب فكرية وفلسفية لكبار الكتاب والفلاسفة، وقد شعر قُصي وأبوه بأنني أسابق الزمن، وأقرأ بسرعة غريبة، حد أن أبا قُصي قرر أن يمتحنني في بعض أفكار وأحداث ثلاثية «سارتر» الشهيرة «دروب الحرية»، التي أنهيتُ أجزاءها بزمن قياسي، وانبهر من دقة إجاباتي على أسئلته.

بدأتُ في هذه الفترة كتابة بعض النصوص والخواطر الأدبية، إلى جانب ولعي بكرة القدم، حيث مثَّلتُ منتخب متوسطة جابر بن حيان للبنين، وكان قُصي معي في الفريق، وفي العطلة الصيفية انضممنا إلى فريق شعبي متميز.

كنت أنا وعائلتي نسكن في محلة الجمهورية الثالثة، مع خالي أحمد عبد النبي «الماركسي المعروف» وقد قرأت من مكتبته سِير القادة الشيوعيين، وبعض المؤلفات في الفكر السياسي، وتسلحتُ بأفكار وتأملات من قراءاتي الغزيرة المنوعة، سواء من أبي قُصي ريسان، أم من خالي أبي مشتاق، وقد أصبحتُ في حينها طالبًا في الصف الرابع العام في إعدادية الجمهورية للبنين، هذه الإعدادية الغنية بمثقفيها وسياسييها وفنانيها ورياضييها، سرعان ما وجدت لي موطئ قدم بينهم، وتعرفتُ على أصدقاء شعراء يتعاطون الشعر كالهواء والماء والغذاء، منهم منصور مذكور شلش

ورعد رحمه السيفي وتوفيق حنتاو لازم، وكان الشاعر مديح صدام وكذلك الشاعر جمال الفريح، قد سبقانا بأكثر من مرحلة دراسية، وكنا نلتقي يوميًا ونتبادل الحديث بالأدب والشعر.

وفي هذه الأيام حدث ان انتقلنا في السكن من بيت خالي أبي مشتاق إلى السكن مع بيت عمي أبي عقيل في التجمع السكاني الفقير «الروّاسة» الذي يقع بين حيي الجمهورية والأصمعي، ويقابل محلة الموفقية الراقية في بيوتها وسكانها، بينما «الرواسة» فهي تجمُّع يضم منازل معظمها من القصب والبردي والطين والبلوك، وكنا نذهب يوميًا أنا وابن عمي غانم إلى الإعدادية، التي كانت مكتظة بالمبدعين في المجالات كافة.

في هذه المرحلة بدأت كتاباتي تميل إلى كتابة الشعر ذي الشطرين، متأثرًا بزملائي وقراءاتنا المشتركة للتراث الشعري الهائل. وبمرور الوقت تعلمتُ الأوزان وكتبتُ محاولات بسيطة، شاركتُ فيها بالمهرجانات التي كانت تُقام في المدرسة.

وعلى الصعيد السياسي فقد أخبرني ابن عمي غانم أن مسؤولي الاتحاد يسألونه عن توجهاتي حيثُ كانوا قلقين منها بسبب علاقتي الوطيدة بقُصي الذي ينحدر من عائلة شيوعية، وكذلك إقامتي السابقة مع عائلتي في بيت خالي أبي مشتاق، الذي كانت اجتماعات الشيوعيين تُعقد في بيته، علمًا أن قسيمة ارتباطي بالتنظيم الطلابي قد جاءت

مع وثيقة انتقالي من ثانوية الميثاق في جسر ديالى، إلى متوسطة جابر بن حيان، وبعدها إلى إعدادية الجمهورية، وهكذا طالبني مسؤول التنظيم بالالتزام بحضور اجتماعاتهم الأسبوعية التي تأتي عادة بعد انتهاء الدوام الرسمي.

وفي واقع الأمر كانت أزعج أوقاتنا وأكثرها مَللاً تلك التي نحضر فيها هذه الاجتماعات التي تجنبتُ عن طريق التزامي بحضورها السؤال عن ولائي وعلاقتي بصديقي المقرب قُصي.

• البحث عن كتاب في كركوك

كان الفقر مُلازِمًا لنا، ونحن في البيت الكبير نشعر بحرج أبي وعمي وهما يسعيان للحصول على ما يسدُّ رمقنا، ونحن أكثر من ستة عشر فردًا في بيت واحد، لذلك كان كل واحد منا - نحن الأولاد - يمتلك قميصًا واحدًا وبنطالاً واحدًا وحِذاءً واحدًا، ولا يزيد مصروفنا على القليل القليل الذي لا يُوفِّر لنا شيئًا ذا بال، علمًا أن والدي كان يمنحني خمسة دنانير كل شهر، وهو مبلغ لا بأس به بالنسبة لطالب.

في إحدى المرات وقبل نهاية الشهر بأيام شاهدتُ كتابًا في الأدب كنتُ توّاقًا لقراءته، فاشتريتُه، ولم يتبقَ معي ما يكفيني للعودة في الباصات الكبيرة إلى البيت، لذلك قطعتُ المسافة مشيًا من العشار إلى الرواسة، والمفارقة الأخرى هي أنني تعوَّدتُ حين أقرأ لكاتب عالمي أن أُنهي كل أعماله المتوفرة والمترجمة للغة العربية، وقد ساعدني كثيرًا في هذا الأمر أبو صديقي قُصي، الذي استعرتُ منه أعمال جان بول سارتر جميعها، وكانت تنقص كتابًا واحدًا، وهو مسرحية الذباب، وقد أخبرني الصديق إياد سهر الذي كان طالبا في معهد النفط في كركوك أنه شاهد هذا الكتاب في إحدى مكتبات كركوك في أحد شوارعها، فما كان مني إلا أن أقطع بطاقة السفر في القطار الصاعد إلى بغداد ومن هناك

إلى كركوك. اقتنيتُ الكتاب بنصف الثمن بعد ما عرف البائع أنني زائر له من البصرة، ثم عدتُ في نفس اليوم إلى بغداد، وانتظرت قطار المساء وأنا أتجول بين مكتبات العاصمة، حتى اقترب توقيت رحلتي في القطار.

وفي إحدى العطلات الصيفية عملنا أنا وأبناء عمي غانم وكاظم مع عدد من الأصدقاء منهم محمد ماشي الطائي ولطيف سيلان وعماد بنداخان الذي هو من أصول هندية، عُمَّال بناء وحفر في إحدى الشركات الأمريكية - بكتل - التي كانت تعمل في حقل الرميلة النفطي، وقد وفَّر لنا هذه الفرصة أحد المقاولين من معارف والد صديق لنا، حيث كنا نخرج مع الفجر لتنقلنا سيارة كبيرة إلى الحقل، وكنا نقضي الطريق غِناءً ومرحًا، بينما نعود منهكين بسبب العمل الشاق، الذي نريد أن نحصل منه على أجر يحقق لنا فرصة شراء ملابس جديدة للعام الجديد، ومع كل هذا التعب والشقاء، كنت عند عودتي من العمل أستبدل ملابسي وأذهب لحضور التمرين الكروي مع الفريق الشعبي الذي كان يقوده المدرب «مناضل».

وبعد الانتهاء من العمل وتسلمنا مبلغًا لا بأس به أتذكر كان واحدًا وعشرين دينارًا، وهو مبلغ جيد بالنسبة لنا في منتصف السبعينات، اقترب موعد السنة الدراسية الجديدة، وفي أحد الأيام دُعيتُ مع فريقي لخوض مباراة ودية مع فريق آخر في قضاء السيبة، وفي أثناء تمارين الإحماء التي بالغتُ في أدائها وإثر حركة فنية؛ اِلتوتْ ساقي وكُسِر رسغ قدمي، فلم

أشارك في المباراة، وعدتُ محمولاً من قبل زملائي، لأعاني من هذا الكسر مدة ابتعدتُ فيها عن كرة القدم، بينما بقيتُ مولعًا بلقاءاتي اليومية بأصدقائي الشعراء في الإعدادية، حيث لاحظوا نشاطي وتواصلي، فاقترحوا عليّ الترشح للجنة الاتحادية في الاتحاد الوطني لطلبة العراق، وفعلاً رشحتُ نفسي وفزت بأصوات ممتازة، وعند توزيع المسؤوليات على الطلبة الفائزين، تسلّمتُ مسؤولية النشاط الثقافي، وكان رئيس اللجنة حينها الصديق كريم نعيم غانم ونائبه الصديق رزاق دينار.

وبدأتُ مع أصدقائي أدباء الإعدادية نُخطِّط كي نُحقِّق من خلال لجنة النشاط الثقافي ما نصبو إليه من مهرجانات أدبية ونشاطات متنوعة، وكنا جميعًا قد داومنا في الصف الخامس الفرع العلمي، رغم ميولنا الأدبية، ولكن عدم وجود الفرع الأدبي في إعداديتنا اضطرنا للمُضي بهذا الاختيار.

• مكتب السكرتارية

كُنا شُعلة من نشاط فني وثقافي ورياضي، وقد سعيتُ لإصدار جريدة خاصة بالإعدادية مع إقامة مسابقات في الأدب والمطاردات الشعرية، فضلاً عن كوني لاعبًا في منتخب المدرسة الذي كان يهيمن عليه طالب اسمه «ر» وهو الذي يُبعد هذا اللاعب أو ذاك، رغم تواضع مستواه الكروي بشهادة الجميع، إلا أن نفوذه امتد حتى على اختيار لاعبي منتخب تربية البصرة. وحتى الحظة لا أعرف سرّ هذا النفوذ الغريب.

مضيتُ مع زملائي في النشاطات التي صارت حديث الجميع، حتى أن مكتب سكرتارية «الأندلس» للاتحاد، اختارني عضوًا فيه لأكون مسؤولاً عن النشاط الثقافي لعدد غير قليل من مدارس المدينة، وكانت مكافأتي على هذه المسؤولية وتفرغي من الدراسة لأجل إنجاحها، هي إضافة عشر درجات على معدل الامتحان الوزاري.

في هذه الأثناء كنتُ أكتبُ قصائد العمود ونصوص التفعيلة مع محاولات في القصة القصيرة، حيث شاركتُ في مسابقة تربية البصرة بقصة «الانتظار» حصلتُ فيها على الجائزة الثانية، فيما شارك الأصدقاء منصور مذكور ورعد رحمة السيفي وتوفيق حنتاو بقصائد عمودية، وكان الفائز

في المسابقة الصديق الشاعر رعد بندر خضير من إعدادية المعقل في قصيدة أتذكر عنوانها وهو «رسالة إلى عنترة العبسي» التي شارك فيها في مسابقة مديريات التربية في العراق وحصل أيضًا على المركز الأول.

• فرحة النشر الأول

في تلك الأيام كانت هناك صُحف نتابعها دائمًا، ومنها الجريدة البصرية التي صارت فنارًا لعدد كبير من الأدباء؛ ليس من البصرة حسب؛ وإنما من جميع مدن العراق، وهي جريدة «المرفأ» التي أسَّسها ورأس تحريرها الأستاذ إحسان وفيق السامرائي. ومن الصحف الأخرى جريدة الراصد التي تنشر للأدباء الشباب وترد على رسائلهم، إضافة إلى مجلة الطليعة الأدبية التي كانت في أوج عطائها بعد أن رأس تحريرها الشاعر منذر الجبوري، بعد الروائي والقاص أمجد توفيق الذي كان أول رئيس تحرير لها.

أما حادثة نشر النص الشعري الأول لي، فقد كانت لسبب خاص، حيث أردتُ النشر في مجلة لبنانية اسمها «ألوان» كانت تصل البصرة بانتظام، وقد بعثتُ برسالة على عنوان المجلة ومعها نص من شعر التفعيلة اسمه (قلق) وبعد أكثر من شهر نُشِر في المجلة، وشعرتُ مع نشره بسعادة كبيرة.

ثم بدأت بنشر نصوص لي من الشعر ذي الشطرين وشعر التفعيلة في مجلات كويتية كان العديد من الشباب ينشرون نصوصهم فيها، ومن هذه المجلات الرسالة واليقظة ومرآة الأمة.

وفي مطلع عام ١٩٨٠ أخذتُ عددًا من نصوصي المنشورة وذهبتُ إلى الأستاذ كاظم الحجاج الذي كان أستاذًا في معهد الفنون الجميلة في البصرة والذي كان قد تأسَّس حديثًا، والحقيقة زيارتي للأستاذ كاظم الحجاج كانت لسببين: الأول شخصي يتعلق بمعهد الفنون الجميلة، والثاني كي أُطلعه على نصوصي المنشورة وقد أشاد بها، وقال: (أنت شاعر)، وهذا الأمر دفعني كثيرًا للنشر والكتابة والقراءة بنهم؟

ثم أطلعني الشاعر الصديق منصور مذكور على عدد من قصائد الكبير محمود البريكان، الذي اصطحبني للتعرف عليه الشاعر الرائع جمال الفريح، وبعد لقائي الأول بالبريكان حرصت على زياراته وإطلاعه على نصوصي والاستماع بشغف التلميذ النجيب إلى توجيهاته وملاحظاته، وكانت لي دروسًا مهمة تعلَّمتُ منها الكثير.

في هذا العام، وقبل بداية الحرب القاسية، حدثت أمور عديدة، وصراعات سياسية، وبدأت حملات الاعتقال التي شملت العديد من خيرة طلبتنا، حيث كنا نشهد زيارات مُخيفة من رجل أمن يرافقه مدير المدرسة، ليتلو أسماء مسجلة عنده في ورقة صغيرة، والذي كان يرد اسمه، يعرف أن مصيره الهلاك واللا عودة، لذلك يُسلِّم كتبه لزميل له ويخرج من الدرس برفقة رجل الأمن.

في تلك الأثناء، تعرَّض مدير المدرسة إلى حادثة اغتيال من قبل مُلثمين كانا يركبان دراجة بخارية، أطلقا النار عليه وهربا، فأُصيب بشلل وبقي مقعدًا حتى لاقى حتفه.

بعد شهور بدأت الحرب العراقية الإيرانية، وصارت البصرة ميدان قتال وقصف مدفعي أودى بحياة الكثيرين، بينما تطوعنا نحن أعضاء اللجان الطلابية ومكتب السكرتارية لنكون في تجمعات الدفاع المدني ضمن مراكز محددة، كنت في حينها في الصف السادس العلمي، وقد أعدتُ هذا العام، لأنني لم أكن راغبًا في الاشتراك بالامتحانات الوزارية، وبقيت عامًا آخر، داومت فيه تحت ظروف صعبة، بعد أن انتقل سكننا إلى منطقة حي الحسين أو الحيانية، البعيدة بعض الشيء عن مدرستي في الجمهورية، حيث حدثت إزالة للتجمع السكني الفقير في الرواسة وعوضوا العائلات الساكنة فيه بقطع أراضٍ، تمَّ بناؤها من قبلنا بالقصب والبردي، صرائف.

كنتُ يوميًا أقوم برحلة للجمهورية من أجل الدوام في الإعدادية، وفي الغالب أعود مع الصديقين كريم نعيم غانم رئيس اللجنة الاتحادية في المدرسة، ورحيم فنجان الصديق النبيل الذي كان في أكثر الأحيان يصحبني معه على دراجته البخارية إلى منطقتهم الأصمعي، المقابلة للحيانية، لأواصل المشي فيما يتبقى من مسافة.

• سنوات الناصرية

كانت الحرب العراقية الإيرانية في ذروتها، وكان زملاؤنا الذين لم تظهر أسماؤهم في قوائم القبول المركزي، يستعد بعضهم للتقديم للكلية العسكرية، أو الانصياع لسوقهم جنودًا، وكنتُ مترددًا في الذهاب لمعهد الناصرية، بينما ذهب أصدقائي لمعهد العمارة، وبعد أن ضايقني الموعد النهائي للتسجيل، أشار علي الأصدقاء بأن أُقدِّم أوراقي، وحين أثبتُ تسجيلي في المعهد أطلب نقلي مباشرةً لمعهد العمارة، لذلك ذهبتُ للناصرية، هذه المدينة العجيبة التي دخلتُها مُكرهًا وخرجتُ منها مُكرهًا.

وصلتُ إلى بناية المعهد الفني، في نهاية شارع اسمه شارع بغداد، ودخلتُ إلى قسم التسجيل، وقالوا لقد تأخرت كثيرا، لكن مازال هناك وقت لتسجيلك، فأخبرتُ مدير التسجيل عن رغبتي بترويج معاملة النقل إلى معهد العمارة، فقال لي: (خُذ هذه الأوراق، واملأها، ثم بعد تسجيلك رسميًا، من الممكن طلب النقل وترويج المعاملة).

خرجتُ إلى ساحة المعهد، وجلستُ في ناديه الطلابي المتواضع، وبدأتُ أملأ الاستمارة التي تسلمتُها من قسم التسجيل بالمعلومات، وفي هذه الأثناء، جاءت إحدى الفتيات، وهي طالبة في المعهد، كما يشير الزي الموحد

الذي ترتديه، ألقتْ عليَّ التحية، وكانت تمتلك روحًا مرحة، ثم جلستْ بجانبي وقالت: (هل أُساعدك بشيء؟)، وسُرعان ما انشرحتْ لها أساريري، لكنني شكرتُها باعتبار المعلومات متيسرة لدي، فقالت لي: (هل أنت من بغداد؟) قلتُ لها: (لا، أنا من البصرة، وأريد أن أُكمل إجراءات التسجيل لأطلب النقل مع كل أصدقائي إلى معهد العمارة). قالت: (إبق هنا أفضل، فالمعهد هادئ، وطلابه قليلون). بعدها أكملتُ أوراقي، وأستاذنتها للذهاب وتقديمها لقسم التسجيل.

وبعد أن سلَّمتُ أوراقي للأستاذ فالح مدير قسم التسجيل، دقَّقها، وقال لي: (سأُعطيك الآن أوراق معاملة ترويج نقلك إلى معهد آخر). فقلتُ له: (لا حاجة لي بها، فقد قررتُ الدوام هنا في المعهد). فقال: (حسنًا فعلت، وعليك إذن أن تملأ استمارة الأقسام الداخلية، وأن تُهيء نفسك للدوام مطلع الأسبوع القادم).

خرجتُ من قسم التسجيل مُسرِعًا للنادي الطلابي، أُريد أن أعثر على الطالبة التي اقترحت علي البقاء، أردتُ أن أخبرها بقراري، فلم أجدها، وانتظرتُ في مكاني ساعتين، فلم تأتِ، عندها غادرت المعهد وعدتُ إلى البصرة، كي أتهيأ للعودة إلى الناصرية طالبًا في معهدها الفني - التكنولوجيا - قسم تصنيع المعادن.

وبدأت فصول حياتي الجديدة بين المعهد، والأقسام الداخلية التي كانت عبارة عن بيوت كبيرة متناثرة في الحي السكني القريب من بناية معهدنا، وفي كل غرفة يسكن

ثلاثة طلاب أو أربعة، حسب مساحتها، فيما كان هناك بيتان أكثر قُربًا من المعهد تمَّ تخصيصهما للطالبات القادمات من محافظات العراق المختلفة.

ضمَّ البيت الذي سكنتُ فيه عددًا من الطلبة القادمين من بغداد ومحافظات الوطن الأخرى، إضافة إلى طلبة أقضية ونواحي ذي قار، وكان معي في الغرفة طالبان من البصرة هما فاضل مجيد وخالد، وكان فاضل أول من تعرَّفتُ به في المعهد، حيث قدَّم نفسه لي بكل طيبة ومودة، وظل صديقًا قريبًا لي حتى اليوم الأخير من دراستنا.

كان فاضل يخبر كل زميل نتعرف به بأنني شاعر نشر في الصحف والمجلات، وقد دفعني لترشيح نفسي للجنة الاتحادية، وفعلاً رشحتُ نفسي وفزتُ بأعلى الأصوات، لأتسلّم مسؤولية اللجنة الثقافية.

في هذه الأثناء كنتُ ألاحظ أن هناك طالبًا أسمر يكبرنا قليلاً، دائمًا يحمل بيده كتابًا أدبيًا، ويجلس مع مجموعة تبدو عليها الرصانة تتألف من طالبتين وثلاثة طلاب تبدو مظاهرهم أنهم ذوو كياسة، حدستُ أنهم منشغلون بالثقافة وهم كما يبدو يتحاورون مع الطالب الأسمر الذي قدَّمتْه لي إحدى الزميلات التي كانت قد أخبرتْ فاضل بأنها قرأت لي قصائد في مجلات خليجية، قالت: (أُقدِّم لك زميلي القاص محمد حياوي، فهو كاتب وفنان وشاعر أيضًا). وقال لي محمد حينها أن لي ملفًا قصصيًا سيُنشر في العدد الجديد من مجلة الطليعة الأدبية التي كانت تنشر في كل عدد منها ملفًا لأديب

شاب. ، كما أخبرني عن الأصدقاء الكُتّاب والأدباء الذين يعرفهم ويرتبط معهم بعلاقات طيبة، وقال إنه وزملاءه الذين يلتقون يوميًا في نادي المعهد يتوسمون بي خيرًا في إحياء جوٍّ ثقافي، سيكونون جميعهم عونًا لي في تنفيذه.

وفعلاً تعرّفتُ عليهم، وانضممتُ إلى حلقتهم الحيوية في إهاب المعهد، وصرنا نتبادل الكتب ونتحاور دائمًا في جديد الثقافة وآفاقها.

كان محمد حياوي القادم من بغداد يسكن في بيت خاله ذي الانتماء الماركسي في الناصرية، وقد ازدادت لقاءاتي به، وحواراتي معه، وكان هو في القسم الإداري بينما أنا في القسم التكنولوجي، وكانت حواراتنا تمتد حتى نتجاوز فيها محاضراتنا، وكنا إما في النادي الطلابي أو في غرفة اللجنة الطلابية، ثم نخرج بمعية فاضل إلى القسم الداخلي، وفي ساعة متأخرة من الليل يغادرنا حياوي إلى بيت خاله، حتى قرر أخيرًا جلب حاجياته، والسكن معنا أنا وفاضل في غرفتنا، وقد طلبنا من زميلنا الثالث في الغرفة خالد الانتقال إلى غرفة أخرى، وقد رحّب بطلبنا منه ضاحكًا: (حتى أخلص من نقاشاتكم). ضحكنا جميعًا لأننا نعرف طيبته وسموّ أخلاقه.

وهكذا أنشأنا نحن الثلاثة عالمنا الأثير الرائع، لا نفترق إلا قليلاً، نتبادل كُتب القراءة، كما نتحاور في نصوصنا التي نكتبها أنا ومحمد حياوي، فيما كان فاضل النبيل يُوفِّر لنا كل ما يستطيع من أجل أن نبدع أكثر.

أمَّا مُخصصاتنا الشهرية البالغة ثلاثين دينارًا لكل طالب

يسكن الأقسام الداخلية، فقد كنا نجمعها عند فاضل، ويكون مصروفنا جماعيًا.

أمَّا المعهد فقد أصبح فسحة ثقافية شملت المدينة كلها، بعد أن شكَّلنا مجموعة متميزة من طلبة المعهد، فقد كان معنا عباس داخل حسن وهيثم محسن الجاسم وحسن عبد الغني الحمادي وسلام محمد عبد الحسن «سلام البناي» وثائر حسين علي «ثائر الكركوشي» وسلام أحمد وأحمد عبد ناصر ومحمد جاسم، مع عدد من المثقفين المتنورين الذين هضموا الفكر الماركسي وتعاملوا به تعاملاً حضاريًا واضحًا.

بهذه الباقة المهمة مع عدد من الزملاء والزميلات، استطعنا أن نُقيم مهرجانات للشعر والقصة والمسرح والمعارض التشكيلية والمسابقات، وانفتحنا على مبدعي المدينة ومثقفيها، مثل الشاعر الرائد رشيد مجيد، والمبدعين أحمد الباقري ومحسن الخفاجي وزيدان حمود، إضافة إلى فرقة المسرح المتميزة بعروضها، كما تعرَّفتُ على منجز الشاعر عقيل علي وأسماء مهمة كان لها دورها في ثقافة المدينة مثل خالد الأمين وكاظم جهاد.

وفي هذه الفترة كان الشاعران كمال سبتي وعبد الحميد الصائح يدرسان في كلية الفنون الجميلة في بغداد، استفدتُ من تجارب الشعر الحديثة ومن مدارس الفكر الجديدة، وتعرّفتُ بشكل جدي على أسماء لها بصمات عالمية مثل آرثر رامبو ومركبه السكران وأناشيد مالدورور وبيانات السريالية وأندريه بريتون وجان جينيه وكافكا، وعشرات

المبدعين الذين صدموا وعيي وتجربتي وأضافوا لي الكثير من المعطيات، إضافة إلى الأعمال السردية الخالدة التي يتعاطاها محمد حياوي وآخذها منه لقراءتها بنهم.

كانت الحرب آنذاك في أوجها، وقد أعلنت وزارة الثقافة والإعلام في حينها مسابقة للقصة القصيرة، حفزنا - نحن الأصدقاء - محمد حياوي لكتابة قصة والمشاركة فيها، وفعلاً كتب حياوي قصة جميلة شارك فيها وحصل على جائزة تقديرية قيمتها خمسمائة دينار، شهدت يومها احتفالاً باذخا لنا جميعًا... كما شارك في مسابقة الرواية برواية عنوانها «ثغور الماء» حصلت على الجائزة التقديرية أيضًا... وتواصلت مشاركاته ونشره في الصحف والمجلات، فيما كنت متواصلاً في نشر قصائدي ومقالاتي في الصحف والمجلات وبالذات في صحيفتي الثورة والقادسية ومجلة الطليعة الأدبية.

اتفقنا أنا ومحمد حياوي على أن نعيد السنة، كي نستطيع ضمان سنة أخرى لنا بعيدًا عن الانخراط في الخدمة العسكرية الإلزامية التي تنتظرنا بعد الانتهاء من الدراسة في المعهد.

وفي السنة التي بقينا فيها في المرحلة الأولى، شهدنا طلبة جُدد التحقوا للدراسة في المعهد، ومنهم خالد الهلالي الشاب البصري الطيب والثري جدًا والذي يكتب الشعر ويحبه بشغف، وقد انضم إلى مجموعتنا، ليُضفي عليها حيوية وطرافة أيضًا.

ولابد هنا ان أشير إلى الجانب الآخر الذي تحقق بسبب وجودنا مع زملاء آخرين، وهو الجانب الرياضي، فقد استطعنا ان نُشكِّل فِرقًا رياضية جيدة بكرة القدم وكرة السلة والكرة الطائرة، وكنت أنا ضمن فريقي كرة القدم وكرة السلة، واستطعنا أن نحرز بطولة المنطقة الجنوبية بكرة القدم، بينما لم نحصل على موقع متقدم في مجالي كرة السلة والكرة الطائرة، وكان فريقنا الكروي قويًّا جدًا استطاع أن يحقق نتائج طيبة طيلة الموسم الدراسي ولثلاثة أعوام متتالية.

• إلى الحبوبي تمثالاً

في عام ١٩٨٣ بدأت مجلة «المجالس» الكويتية تنشر لي صفحة كاملة ضمن صفحاتها الثقافية، وقد كتب المحرر الأدبي فيها مقدمة لإحدى قصائدي، مُبرِّرًا فيها نقلي من بين زملائي من صفحة القُرَّاء إلى الصفحات الرئيسية، وهي أول قصيدة كتبتها في الناصرية، كنتُ فيها أحاور التمثال الشهير للشاعر والمجاهد محمد سعيد الحبوبي التي تتوسط أهم ساحة في مركز مدينة الناصرية، وكانت الباصات الكبيرة الخاصة بالمعهد والمخصصة لنقلنا - نحن طلبة الأقسام الداخلية - بوقت محدد إلى المدينة، ثم تعيدنا ثانية إلى أقسامنا بعد إنجاز مهمة التسوق وجلب ما نحتاجه في حياتنا اليومية... وهكذا انطلقت قصيدتي (إلى الحبوبي تمثالاً) التي نشرت بعد مقدمة أسعدتني حقًا جاء فيها:

(ما أن تقرأ قصيدته حتى تقول لقد وُلِد لنا الآن شاعر... ومنذر عبد الحر عباس، الذي نشرت له المجالس في عددها السابق قصيدة (حكاية) المهداة للشاعر محمود درويش، ننشر له قصيدة جديدة بعنوان (إلى الحبوبي تمثالاً) لما تنم عن شاعرية أكيدة، وقدرة على تطويع الفكرة، والاسلوب، والمعاني، في لحظة شعرية متكاملة).

وفي عدد آخر في عام ١٩٨٣ نشرت لي مجلة المجالس أيضًا قصيدة على صفحة كاملة، عنوان القصيدة (شهادة ميلاد... مهداة إلى بيروت... زهرة الدفلى الباكية).

وقد وضع المحرر الأدبي في صفحة المجلة القصيدة ضمن حقل شاعر وقصيدة، كتب فيها مقدمة في حقل (الشاعر) قال فيها:

(لبيروت تنحني القصائد، ولجراحها تتفتح الكلمات، أقانيم عشق، ومواسم مبايعة، هي الجرح والوردة، هي النزف والالتئام، والبدء والانتهاء، وتفاصيل القوافي، قصيدة لبيروت القصيدة، فكل الصدور لها ولسواها العجز، كل القوافي لها ومن بعدها النشاز.. زهرة دفلى... شرارة دم... ووهج بروق، واكتمال إيضاح، وامتلاء صوت مشحون بالحب العراقي، والعشق البصراوي، فكانت (شهادة ميلاد) للشاعر منذر عبد الحر عباس، صوتًا لزهرة دفلى اسمها بيروت)

وفي هذه الفترة التي كنتُ فيها طالبًا في المعهد الفني في الناصرية، قد شهدت نشاطًا واسعًا لي في النشر، فقد نشرت في صحف الثورة والجمهورية والعراق والقادسية مقالات وقِصصًا وموضوعات صحفية، وقد اقترح محمد حياوي علي عدم نشر اسمي الثلاثي، وبالفعل بدأتُ أنشر موضوعاتي وقصائدي بالاسم الذي ظلَّ معي حتى هذه اللحظة.

• الطليعة الأدبية

وقد كتبتُ دراسة نقدية عن ديوان الشاعر «كمال سبتي» (ظل شيء ما) وأرسلتها إلى مجلة الطليعة الأدبية، وكان رئيس تحريرها الشاعر «منذر الجبوري»، الذي حصلتْ لي مفارقة معه عندما ذهبتُ لمبنى المجلة الواقع آنذاك قُرب سوق الشورجة، حيث دخلتُ إلى مكتبه بريبة وخجل، فنظر إلي وقال: (شتريد عمو). قلتُ له: (أستاذ، يقولون إن لي مكافأة في المجلة). فنظر إلي مُتفحِّصًا إياي باستغراب وقال: (مكافأة شنو بابا؟). قلتُ له: (نشرتُ دراسة في مجلتكم). فضحك بصوتٍ عالٍ وقال مُتعجبًا: (دراسة!! عن شنو؟ عن لعب الدعبل مثلاً؟). فقلتُ له: (لا أستاذ، عن ديوان الشاعر كمال سبتي).

كنتُ فعلاً أبدو أصغر من سني، وكنت حليق الشارب، أرتدي ملابس شبابية...

قال لي الجبوري: (ما اسمك؟). ذكرتُ له اسمي، فقال: (معقول؟! اعطني هويتك). فأخرجتُ له هوية الطالب، نظر بها طويلاً وقال: (أي والله، عفوًا يا بني، اعذرني فلم أتوقع أنك كاتب). فقلتُ له: (وشاعر). فقال لي ضاحكًا: (وعلى اسمي). ثم قال: (اعطني قصيدة طويلة لأنشرها لك في الأعداد المقبلة). فسلّمته قصيدة كانت معي. نظر

إليها وقال: (ستُنشر قريبًا). ثم قال لي: (اِذهب للحسابات لتسلّم مكافأتك).

وفعلاً ذهبتُ وتسلَّمتُ مبلغ ثلاثين دينارًا. شعرتُ بنشوة كبيرة وأنا أتسلم مثل هذا المبلغ مكافأة عن كتابة لي، ثم عُدتُ إلى منذر الجبوري لأشكره، وما أن شاهدني حتى قال لي جُملة بقيت معي ترن في رأسي، وهي: (سيأتي يومٌ تكون أنت مسؤولي فيه، وأكون أنا مُحرِّرًا معك). طبعًا ضحكت وشكرته وقلت: (ستبقى أستاذنا الذي نحبه).

الغريب ان هذا الأمر تحقَّق فعلاً، ولكن بعد مدة من الزمن، حين أصبحتُ أنا مسؤول القسم الثقافي في جريدة القادسية، وكان هو محررًا للشعر فيها.

وفي إحدى المرات ذكَّرته بقوله هذا، وقلتُ له: (هذه نبوءة عجيبة حقًا).

• قسوة خالد علي مصطفى

من المفارقات التي حدثت معي، وغيَّرتْ تفاصيل مهمة في تجربتي الأدبية، هي أنني أرسلتُ قصيدة طويلة لصفحة أدب الشباب في جريدة الثورة التي كانت تصدر كل ثلاثاء، وبعد أن طال انتظاري لها، أرسلتُ قصيدة طويلة أخرى، وانتظرتُ أسابيع ولم تُنشر أيضًا!

وفي أحد أيام عام ١٩٨٤ ظهر ديوان الثلاثاء خاصًّا بي، وقد نُشرتْ كلا القصيدتين مع مقدمة لخالد علي مصطفى مُحرِّر الصفحة المعروف بصرامته وقسوته على الشعراء عمومًا وعلى الشباب بشكل خاص.

أمَّا ديوان الثلاثاء فهو تقليد شهري يُخصِّصه لأحد الشعراء الشباب مُحتفيًا مُبشِّرًا بتجربته، وقد فُوجئتُ حقًّا بتخصيصه لي مع مقدمة قاسية، والحقيقة شعرت بالحزن بعد أن قرأتُ ملاحظاته، لكن أصدقائي الشعراء قالوا: (هو احتفاء بك على طريقته).

بعد ذلك تعرَّفتُ على الشاعر خالد علي مصطفى، وسألني: (هل لديك قصيدة جديدة؟). قلتُ له: (لا يا أستاذي). مع أنني كنت أحمل معي أكثر من قصيدة، لكنني خشيت إحراجه لي. لذلك تركت له قصيدة في استعلامات جريدة الثورة.

وبعد مدة كنتُ مع الصديق محمد حياوي في مقهى حسن

عجمي، ناداني الأستاذ خالد، وقال: (وصلت قصيدتك يا منذر). وهزَّيده موضحًا لي أنه غير راضٍ عنها...

لكنني بعد أيام وجدتُها منشورة في الصفحة الثقافية للجريدة وليس في صفحة الشباب، وهذا الأمر أفرحني جدًا، لأن الصفحة الرئيسية كانت بعيدة عن متناول أيادينا نحن الشعراء الشباب.

• السير وحيدًا !

أيام الناصرية بالنسبة لي كانت حافلة مثمرة مضيئة، تركت آثارها المهمة في كل تفاصيل حياتي، وما زال الأصدقاء والأحِبَّة الذين تعرفتُ بهم فيها من أقرب الناس لي، وما أن انتهت الدراسة في المعهد حتى دخلتُ الخدمة العسكرية، والتي بدأتها بمفارقة خلافي مع ضابط تجنيد المدينة، في البصرة، لذلك جعل تسويقي مختلفًا عن جميع أقراني، وبدلاً من أن يسلمني كتابًا التحق بموجبه بمركز التدريب في المسيب، سلمني كتابًا موجهًا إلى مركز تدريب مُشاة البصرة في الناصرية.

في مركز تدريب مُشاة البصرة، صادف أن يكون الملتحقون معي في نفس الفترة عدد من سُكان البادية الذين لا يجيدون القراءة والكتابة، ومن الذين تمَّ تقدير مواليدهم، أو من الهاربين الذين تمَّ إلقاء القبض عليهم... كان تدريبنا شاقًّا، من قِبَل مدربين من العُرفاء ونوّاب العُرفاء المتطوعين، من الذين بالكاد يجيدون كتابة أسماءهم.

كان معي فقط زميل جليل اسمه جعفر وهو خريج كلية التربية، وقد كان الأقرب لي من جميع جنود الفصيل الذي كنت ضمن صفوفه. وبعد أن قضيتُ أكثر من ثلاثة أشهر، تعرَّفتُ على عريف متنور مثقف، صار صديقًا لي وكان

يعرفني وقد سأل عني بعد أن أخبره الأصدقاء في الناصرية بوجودي في هذا الفصيل، وهذا العريف هو الرائع حامد الشطري الذي أوصى الجميع بالتعامل الخاص معي كوني مختلفًا عن الآخرين، لأنني شاعر وكاتب.

في هذه الأيام كانت هناك حملات نقل من المركز إلى جبهات الحرب، بينما بقيتُ أنا بسبب شهادتي ووضعي الذي جاء تسويقًا للمكان الخاطئ حيث أرسلوا بي كتابًا إلى التأهيل العلمي، من أجل نقلي إلى مركز التدريب في المسيب أسوة بزملائي الذين أكملوا دورتهم ونُقِلوا إلى الوحدات المتقدمة في جبهات الحرب.

وبعد انتظار وصل كتاب نقلي إلى المسيب، وكان معي في الدورة التي التحقتُ بها عدد من المهندسين المتخرجين حديثًا، لذلك كان يُطلق على فصيلنا «فصيل المهندسين»، مع عدد قليل من خريجي إعداديات الصناعة.

وقد التقيتُ في المسيب بالشاعر زعيم عبد السادة النصار الذي قضيت معه أيامًا جميلة بحوارات أدبية وشعرية مازالت نكهتها حاضرة في وجداني.

لكنني نُقِلتُ إلى معمل تصليح الدروع والعجلات الثقيلة الغربية في المحاويل، لأبدأ منه رحلة جديدة في عالم الكتابة والرياضة، ولاسيما بعد أن تعرَّفتُ فيه على الشاعر البهي المتقد حيوية ركن الدين يونس، الذي قضيت معه أيامًا مثمرة جميلة، حيث توطدت علاقتي به منذ أول لقاء بيننا،

كنتُ أنا أقيم في مبنى المعمل، وقد كان مُهيئًا بشكل ممتاز، فيما كان ركن الدين يقيم في غرفة استأجرها في منطقة الحيدرخانة في بغداد، خلف مقهى حسن عجمي مباشرة.

• العريف ركن الدين يونس

كانت حياتنا في المعمل الغربي بعيدة بعض الشيء عن العُقد المعروفة في الوحدات العسكرية الأخرى، باعتبار المعمل يضم كوادر هندسية وكوادر يعملون في برادة وتصليح العجلات والدروع ذات المنشأ الغربي، بينما كان العريف ركن الدين يعمل في إدارة قلم شعبته، بينما تمَّ اختياري لأعمل في قسم الاستلام والتسليم الذي يقع مكانه خارج أسوار المعمل، كونه معنيًا بالتعامل مع مأموري الوحدات الذين يراجعون المعمل لغرض تصليح السيارات العاطلة أو تصنيف ما تحطم وتدمر منها، أو لتسلّم بعض الأدوات الاحتياطية.

وقد تمَّ اختياري للعمل ضمن لجنة تصنيف العجلات، حيث كنتُ كاتبًا فيها، أُدرِج ما تقرِّره لجنة التصنيف المؤلفة من أربعة ضباط مهندسين، وكانت هناك فقرات محددة، ومعادلات رياضية استطعتُ أن أجيد التعامل بها بوقت قياسي، وكان يشرف على عملي نائب ضابط شاءت الظروف أن يُنقل إلى وحدة أخرى لأبقى وحيدًا في هذا التخصص، واستطعت من خلاله أن أحصل على فسحة واسعة من الحرية، أولاً لأن موقعي خارج إطار المعمل، وثانيًا هناك ارتباط لي بمديرية الهندسة الآلية الكهربائية في بغداد،

حيث أجمع عددًا من معاملات التصنيف وأذهب بها مأمورًا إلى المديرية وهذه المهمة تأخذ من وقتي ساعة واحدة، أما الوقت الباقي فأقضيه في مقهى حسن عجمي، واتحاد الأدباء في الغالب برفقة محمد حياوي أو ركن الدين يونس، الذي عرَّفني على أصدقائه علي السوداني وحسين علي يونس وجمال السوداني وجان دمو ونصيف الناصري ورياض إبراهيم وعلي بدر، وغيرهم.

كنتُ في تلك الأثناء نشِطًا في عملية النشر في كل الصحف العراقية، وكنتُ أتسلَّم مكافآت جيدة نهاية كل شهر عن منشوراتي من قصائد ومقالات، وكتبنا أيامها أنا وركن الدين يونس قصيدة مشتركة اسميناها (٣٦٢) نُشِرت في جريدة القادسية.

• مهرجان تموز الشعري... وكزار حنتوش

في عام ١٩٨٧ تمت دعوتي من قبل الأصدقاء محمد حياوي وعلي الشلاه وعبد الرزاق الربيعي للمشاركة في مهرجان تموز الشعري، الذي شهد مشاركات واسعة لشعراء من جميع محافظات الوطن، وقد كانت إقامتنا في فندق عشتار شيراتون، كان معي في الغرفة الشاعر كزار حنتوش.

صراحةً لم أكن أعرف كزار شخصيًا، لكنني كنتُ قد قرأتُ له أعذب وأرقّ القصائد، لذلك حسبتُ نفسي محظوظًا إذ أقيم معه أيام المهرجان في نفس الغرفة.

كان رئيس المهرجان يومها الشاعر لؤي حقي، الذي وفَّر مع طاقمه المؤلف من علي الشلاه وعدنان الصائغ وجواد الحطاب وفضل خلف جبر وعبد الرزاق الربيعي، أفضل الظروف وأعلى درجات التنظيم، وقد شهدت الجلسات الشعرية قراءات متنوعة، قرأتُ أنا قصيدة تفعيلة في حينها.

من الجدير بالذكر أنني قضيت الليلة الأولى في غرفتي في الشيراتون وحيدًا، فلم يكن كزار حنتوش قد حضر، وفي صباح اليوم الثاني ذهبت مع الوفود المشاركة في المهرجان إلى القاعة التي شهدت الجلسات وهي قاعة ابن النديم المجاورة لمبنى المكتبة الوطنية في الباب المعظم مقابل وزارة الدفاع، وبعد الجلسة ذهبنا لوجبة الغداء، وتجولت

برفقة الأصدقاء، وعند عودتي بعد الظهر إلى الفندق، وحالما وصلت إلى الطابق الذي تقع فيه غرفتنا أنا وكزار حتى سمعت الجلبة والضجيج وروائح الخمر، وإذا بها من غرفتنا، التي دخلتها لأجد فيها أكثر من عشرة أشخاص ومعهم الشاعر كزار حنتوش، ألقيتُ التحية عليهم، وعرَّفتهم بنفسي فنهض كزار وعانقني بكل مودة واحترام وتواضع، وجلستُ معهم.

كنتُ في هذه الجلسة أتعرَّف لأول مرة على الشعراء: هاشم معتوق وحسن النواب وأحمد المانعي والصحفي عبد الزهرة الركابي، وتوطدَّت علاقتي بهم جميعًا.

وهناك مفارقات جميلة حصلت في الأيام التالية لهذه الليلة.

وبعد انتهاء المهرجان عدتُ إلى دوامي في المعمل الغربي، وإلى حياة العمل البسيط نهارًا، والقراءة وتبادل الأحاديث والحوارات مع الأصدقاء في القاعة؛ وبالذات مع المهندس مازن هرمز المثقف الظريف الذي هضم نظريات علم النفس وقرأ كما ممتازًا من الروايات العالمية، والآخر خالد الجميلي الذي كان يجيد اللغة الفرنسية ويحمل ثقافة أدبية رائعة، وفي بعض الأيام كان الصديق الفنان محمد عبد الجبار الذي يجيد العزف على آلة الكمان عزفًا مُبهرًا، يعزف مقطوعات من بعض الاغنيات المعروفة، وكنت أنا أُدندن معه.

وشاءت الأقدار أن يتم نقل الصديق محمد عبد الجبار إلى الجبهة، ليختفي طقس العزف والدندنة من ليالينا.

• رحلة غناء طريفة

لم أكن أتصوَّر أن أصدقاء لنا من البصرة يتابعون طقس الموسيقى هذا ويصغون لدندنتي، ففي إحدى الليالي فوجئتُ بأربعة من الأصدقاء الذين أعلم أنهم منتمون للفرقة البصرية للفنون الشعبية يزورونني ويجلسون على سريري والسرير المقابل لي، وقد جاءوا بمقدمات تُشير إلى انهم يطلبون مني شيئًا محدَّدًا... بدأت مقدمتهم في الحديث عن كونهم أصحاب عائلات ويحتاجون الأجازة كي يقضوا فيها بعض أعمالهم.

حتى هذه اللحظة كنت مستغربًا لحديثهم معي وأنا جندي مثلهم، ولا سبيل لي للحصول على أجازة لغيري، لكنني فوجئت أنهم يريدون مني أن اشاركهم في احتفال أعلنت عنه دائرة التوجيه السياسي في المعمل، وأنهم فرقة فنية كاملة ينقصها مطرب!! وأنهم سمعوا صوتي ويريدونني أن أنقذهم وأحصل معهم على أجازة عشرة أيام عند المشاركة!

طبعًا أنا ضحكت بصوتٍ عالٍ وقلت لهم: (أنتم حتمًا تمزحون). لكنهم أصروا وقالوا: (أرجوك أنقذنا وحقِّق أمنيتنا حتى نبدأ بالتمرين والإعداد على الأغنيات التي ستغنيها).

بصراحة رفضتُ الأمر، ولكن بعد إلحاح يومي وافقت، وغنيت معهم في يوم الاحتفال لنحصل جميعًا على أجازة

مُجزية حقًا، وكانت هذه أطرف تجربة في حياتي، وكان ركن الدين يونس دائمًا يُذكِّرني ضاحكًا بهذه الحادثة، التي لم تكن تخلو من مفارقات لا أحب الخوض فيها.

في هذه الفترة تمَّ شمولي بالذهاب إلى جبهة الحرب لأعيش شهرًا من المعايشة، قضيتُها في الحجابات التي تقع في الأرض الحرام، وقد كانت هذه التجربة التي شاهدت فيها الموت وعشت معه مرارًا، تجربة في غاية القسوة والاهمية، وقد جسَّدتُها في نصوص أدبية عديدة لي، كما نشرتُ يوميات منها في جريدة القادسية.

• مُلتقى الإسكندرية الأدبي

بعد مدة تمَّ انتداب ركن الدين يونس للعمل في الإسكندرية القريبة جدًا من المحاويل، وكان يومها قد تزوّج، وحصل على بيت مستقل، وكنت أزوره دائمًا، حتى تولَّدتْ لديه فكرة انشاء ملتقى الإسكندرية الأدبي مع الأدباء باقر جاسم محمد وعلي الإسكندري والراحل حسين السلطاني وهشام العيسى وخالد البابلي وفاضل القيسي ورياض الغريب، مع بعض المبدعين الآخرين.

وبدأت نشاطاتهم التي أصبحتُ من متابعيها و المشاركين فيها، وأُقيمت لي جلسة خاصة في الملتقى، كما نشرتُ موضوعًا عنه وعن نشاطه في مجلة «حُرّاس الوطن».

• مجهر السلطة الثقافية

كانت هناك متابعة دقيقة «خفيّة» لكل ما يكتبه جيلنا، لذلك اقترنت طروحاتنا بردود فعل رسمية، ستتضح من خلال قرارات الاحتواء التي شملت كل شعراء الجيل، ومنها توفير فرص عمل ومنابر تعبير تكون تحت مجهر السلطة، وهذه مقالة لي نشرت في «أدب وثقافة... في جريدة العراق يوم ١٠ تشرين الأول عام ١٩٨٧» حملت عنوان (مبدعو الصمت) عرفتُ بعد مدة أنها سبب منعي من النشر في الصحافة العراقية فترة ليست قصيرة...

(مُبدعو الصمت)

كلّما أقرر هجر الشعر ملتفتًا للحياة، يدكّني الموت، فأبكي قصيدة جديدة، أُريدها الأخيرة، لكنها تخذل قراري وتأسرني زمنًا... أعيدها... وأزوّقها وأحجرها بين أوراقي المتكدسة لتكون عنوانًا جديدًا - لمجموعتي الشعرية المزعومة -...

وهكذا مع كل قصيدة جديدة، وإذ أُفكِّر في الانفلات من الخمول، أمرُّ على الصديق الفلاني في الصحيفة الفلانية، والآخر في المجلة الفلانية ووووأنتظر مجموعة القصائد التي وزّعتُها على الصحف، ليكون اسمي مألوفًا حتى أدفع للنشر

بتجاربي الحقيقية التي أراها متفردة، بعد نشر القصائد... ولا تبزغ تلك القصائد إلا نادرًا وبعد شهور أو سنوات أراني فيها غريبًا عنها...

أقرأ تجربة تثير نقاشًا لأنها جديدة، وأُقلِّب أوراقي فأجدني قد كتبتُ بمنحاها قبل كذا شهر أو كذا سنة... لأمزِّقها غاضبًا!

وأظل بنظر من قرأ لي سابقًا في قصائد مهملة (شاعرًا تقليديًا يكتب القصيدة الموزونة غارقًا في غنائيته بعيدًا عن التجارب الحديثة)!

وأردتُ مرّة أن أُبرِّر نصًا قديمًا لي نشر بعد ثلاث سنوات من تسليمه للقسم الثقافي في إحدى الصحف، مع مقدمة نقدية تتحدث عن النص باعتباره التجربة الأخيرة لي!، وصل «ردّي» إلى المطبعة - حسب ما قيل لي - وشذّ عن التصميم فأُجِّل... إلى الأبد!

وبقيتْ تجربتي المنشورة تحت هذا الإشكال هي الأخيرة في نظر الآخرين.

تجاوزت الحالة... علّها تكون طارئة أو «شخصية»... وأبحرتُ في جنوني الشعري متجاهلاً كل هذه الأشياء معتبرًا إيّاها ترهات آنية لا بد أن تنزوي بمرور الوقت.

وما حفّزني لكتابة هذه السطور مقال الأستاذ الناقد محمد صابر عبيد في زاوية «ما وراء الأفق» في صفحة «آفاق - جريدة الجمهورية ١٩ أيلول ١٩٨٧» والذي طرح فيه تساؤلات دقيقة عن الشعر الحديث ومدى وصوله إلى

حداثته ومعاصرته وضرورة تقييمه فنيًا...

لا أختلف مع الناقد في ما طرحه، لكنني أتساءل: أين شعر الشباب من كل هذا؟ أو قبل ذلك؛ أين الشعراء الشباب؟

أقول: هناك تجارب جديدة للشباب ما زالت أسيرة أدراجهم البائسة! والسبب يعرفه جيدًا القائمون على أمور النشر في بعض الصحف والمجلات، وإذا لم يعرفوه لحدِّ الآن، فليقلّبوا أوراقهم المتراكمة على مكاتبهم «الوثيرة» وليتفرغوا لها ساعة أو أقل كلّ أسبوع أو كلّ شهر، حاجبين الأسماء متطلّعين إلى القيمة الفنية للعمل الإبداعي الذي تضمه بعض التجارب الجديدة.

وإلا لنسأل عن أسماء بدأت متوهجة شعريًا ثم هربت من مرارة هذا الواقع الثقافي، أين ماجد البلداوي مثلاً؟ أو جمال حامد الفريح أو مديح صدام أو جمعة لازم أو منصور مذكور أو رعد رحمة السيفي ووووو إلخ؟

قد لا تعرفون هذه الأسماء التي شاركت في مهرجانات شعرية قطرية ونشرت نهاية السبعينات في أرفع المجلات والصحف الأدبية، نتاجات متميزة كانت ستؤدي إلى تجارب رائعة لو وجدت الجوّ الثقافي النقي، وأساليب النشر البريئة، هذا إضافة إلى عشرات المبدعين الذين يقرأون بنهم ويكتبون بوعي رصين، ليخلقوا تجمعاتهم الأدبية الرائعة في مقاهيهم أو بيوتهم في مدنهم البعيدة أو حتى في مواضعهم القتالية... يحلمون بالنشر وبالصحف التي ستحمل أسماءهم يومًا ما،

والمجلات التي يراسلونها دومًا دون فائدة، لأنهم لا يعرفون أين تذهب رسائلهم الكثيرة المحمّلة بنتاجاتهم العزيزة... هذا لأنهم يقرأون يوميًا في «بعض» صفحاتنا «بعض» النصوص التي لا ترقى حتى إلى مستوى القراءة العابرة... فيلجأون إلى الصمت والابتعاد وإصرار المواصلة والكتابة خارج هذا الضجيج المبهم.

• توثيق الأدب الإنساني للحرب

في عام ١٩٨٩ تمت دعوتي مع عدد من الأدباء للمشاركة في مشروع «توثيق الأدب الإنساني للحرب» من خلال اللقاءات مع جنود الجبهات وحديثهم الصريح عن تجاربهم، وهي تجربة وفَّرت لي فسحة من الحرية، لأني أبدلت ملابسي العسكرية بالملابس المدنية، مجازًا ومتفرغًا لهذه المهمة، حيث تمَّ تقسيم الأدباء إلى مجموعات، كل مجموعة تذهب إلى قاطع محدد من قواطع الجبهات، التي مازالت آثار المعارك واضحة على معالمها.

كنت ضمن المجموعة التي ذهبت إلى قاطع الفاو، وتم تقسيمنا إلى زمر صغيرة، تتألف كل زمرة من ثلاثة أدباء، صار موقعي مع الروائي جاسم الرصيف والشاعر أديب كمال الدين، حيث نلتقي المقاتلين ونُدوِّن حكاياتهم ثم نعيد صياغتها صياغة أدبية.

وهكذا قضينا أيامًا وليالٍ بين المقاتلين، حتى انتهت المهمة التي دامت بحدود شهرين، عندها عدتُ إلى مكاني في المعمل الغربي في المحاويل.

• جيل الثمانينات الشعري

كانت زياراتي إلى بغداد تبدأ من مقهى حسن عجمي وتنتهي في نادي اتحاد الأدباء، وكانت لقاءاتي دائمة بحسن النواب وأحمد المانعي، حيث كانا عائدين من مغامرة، حيث رافقا هاشم معتوق إلى كوردستان «السليمانية» محاولة للهرب من العراق، ثم عادا إلى بغداد وهما يحملان هويتي طالبين جامعيين مزورتين، لانهما كانا هاربين من الخدمة العسكرية. أمَّا هاشم معتوق فقد واصل مغامرته حتى وصل إلى «إسلام آباد» وأقام هناك.

في هذه الفترة كان ضجيج الجيل الثمانيني يعلو، وكانت هناك جماعات متآزرة، بدأت تعقد جلسات أدبية وتنشر نتاجاتها وطروحاتها بمؤازرة الشاعرين زاهر الجيزاني وخزعل الماجدي، وإلى حدٍّ ما سلام كاظم. وقد برز وفق هذا المسار الشعراء: محمد جاسم مظلوم ومحمد تركي النصار ونصيف الناصري وسعد جاسم وعبد الحميد الصائح وصلاح حسن، وهم كانوا طلبة في بغداد، تجمعهم أروقة الجامعات ومقهى حسن عجمي واتحاد الأدباء.

وهناك إحصاء شخصي لي يخص أسماء هذا الجيل ألخصه في بعض الإشارات والأسماء التي عرفتها شخصيًا وقرأت لها في تلك الفترة وقد صنَّفتُها بالشكل الآتي:

محمد تركي النصار
محمد جاسم مظلوم
نصيف الناصري
باسم المرعبي
خالد جابر يوسف
أحمد عبد الحسين
شعلان شريف
عبد الرزاق الربيعي
ريم قيس كبه
لهيب عبد الخالق
دنيا ميخائيل
أمل الجبوري
إبراهيم زيدان
عمار عبد الخالق
ليث الصندوق
علي رحماني
قيس مجيد المولى
عبد الحميد الصائح
لؤي حقي
أحمد حمدون
عبد العال مأمون
كمال عبد الرحمن
حسين علي يونس
وسام هاشم
سهام جبار
زعيم النصار

صباح العزاوي
عدنان الصائغ
فضل خلف جبر
علي حبش
كاظم الفياض
رباح نوري
ناجي إبراهيم
ريم قيس كبة
وهاب رزاق شريف
زياد طارق
سلام سرحان
سعد جاسم
هشام العيسى
ركن الدين يونس
رياض الغريب
خالد البابلي
حسين السلطاني
علي الاسكندري
علي الشلاه
صلاح حسن
رسمية محيبس زاير
رحمن غركان
ناهضة ستار
طارق حربي
أجود مجبل
كمال السعدون

خضر خميس
محمد الكعبي
رعد بندر
طالب عبد العزيز
عادل مردان
مديح صدام
رعد السيفي
منصور مذكور
توفيق حنتاو
ماجد كاطع
عدالة العيداني
حبيب السامر
وديع شامخ
علي الامارة
علاوي كاظم كشيش
حسن النواب
علي الخباز
سلام محمد عبد الحسن «سلام البناي»
خضير درويش
هاشم معتوق
عبود الجابري
مهدي هادي شعلان
عبود الجابري
فارس حرام
ماجد البلداوي
جمال جاسم أمين

يحيى البطاط
غني العمار
حسن سالم الدباغ
عامر عبد الأمير
عزيز الواسطي
أديب أبو نوار
إبراهيم البهرزي
عمر الدليمي
أحمد المانعي
رعد مطشر مسلم
بشار عبد الله
فيصل القصيري
هشام عبد الكريم
مزاحم علاوي
عبد الجبار الجبوري
كرم الأعرجي
حامد الراوي
حمد شهاب الانباري
كريم محسن الخياط
علاء المعاضيدي
استناد حداد
كمال عبد الرحمن
حسن النصار

لابد من الإشارة إلى أن هناك شعراء أسرى أطلقوا قصائدهم في نهاية سبعينيات القرن الماضي وبداية الثمانينات، ومنهم: محمود حسين موسى وشاكر الخياط وفاضل عباس الكعبي، وغيرهم. وكانت لهم نشاطات ونصوص منشورة في مجلة الطليعة الأدبية.

ومما كتبته عن شعراء الثمانينات في العراق:

لم يكن جيل شعراء الثمانينات جيلاً عاديًا بين أجيال الشعر المتعاقبة في العراق، ذلك أنه جيلٌ إشكاليٌّ بمعنى الكلمة، فهو قد شهد شراسة الواقع والمتغيّرات الحادة في الحياة الثقافية والسياسيّة والاجتماعية في العراق، وقد عاش معظم شعراء هذا الجيل محتدمين وجدوا أمامهم ميدانًا مكتظًا بمشاريع الخروج عن السائد من خلال إعادة قراءة التجربة الشعريّة في العراق، قراءة بعيدة عن الثوابت وعن القناعات المتفق عليها، وكان هذا السعي مقترنًا بعدد من شعراء السبعينات الذين فتحوا باب المشاكسة ومنه المغايرة.

إن تداخل التجربة، بين شعراء جيلي السبعينات والثمانينات، أدَّى إلى إثراء منجز الجيلين معًا، وإلى قوّة مشروعهم وجديته، رغم أنه جوبه بالرفض الشديد من المؤسسة الرسمية التي كانت تُدار كُليًا من قِبَل الأجيال التي سبقتهم، وهم جيلا الخمسينات والستينات الذين كانوا يُشكلون الحضور الثقافي الرسمي المتعارف عليه، فيما

انسجم شعراء السبعينات معهم باعتبارهم شعراء شبابًا لهم تطلعاتهم وأمنياتهم ورغباتهم في إثبات وجودهم بين الأسماء التي شكّلت بينهم استقرارا إعلاميا متفقا عليه.

وهكذا كان النموذج السبعيني في الشعر، في بدايات انطلاقه نموذجًا يتوافق مع السائد، ولا يختلف عنه إلا في طروحات خجولة مستندة على رؤى جاء الكثير منها من خارج البلاد، فوجد تلقيًّا متحمِّسًا من الشعراء المتواجدين في النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي.

ولا أُريد هنا تقليل أهمية التجربة السبعينية التي احتشدت بالقدرات الإبداعيّة الطيبة والحضور الإعلامي اللافت للنظر، ولكن المغايرة ظلّت في حدود مقبولة من الآخر، كونها لم تخرج عن الثوابت وظلّت أسيرة الشروط الفنيّة المتعارف عليها في القصيدة، وهي قصيدة التفعيلة التي كانت سائدة سيادة كُلية آنذاك، وظهرت طروحات وبيانات ورؤى جماعية، لعلَّ أولها بيان القصيدة اليومية، الذي التقى فيه شعراء أذكر منهم: غزاي درع الطائي وخزعل الماجدي وعبد الحسين صنكور، ولعل المتفحص لهذه الأسماء الثلاثة سيكتشف أنهم، لا يمكن أن يلتقوا تحت قناعة مشتركة، فقصيدة غزاي، متنافرة تمامًا مع قصيدة خزعل الذي كان من أنشط شعراء السبعينات وأكثرهم تنقلاً وسعيًا باتجاه الجديد، حدَّ أن كل بيان أو تجمع أو ملتقى يخص السبعينات كان لخزعل الماجدي الحضور المتقدم فيه، وقد أصدر عددًا من الرؤى والطروحات النظرية والأسئلة التي أثارت الكثير من

ردود الفعل المتناقضة. أما تجربة عبد الحسين صنكور فقد توارت مبكرة دون أن تفصح عن ملامح خاصة من الممكن الحديث الدقيق عنها.

اللافت في الأمر أن قوة الشعراء الثلاثة، جاءت من قوّة أوضاعهم الاجتماعيّة آنذاك، وهذه القوة أعطتهم دفعًا معنويًا، وحضورًا مقبولاً، لا تشكيك فيه من قبل مفاتيح المؤسسة الثقافية التي كانت تعيش وضعًا سياسيًا محتدمًا، شهد أحداثًا ومتناقضات هاجر على أثرها الكثير من المثقفين، فيما ظل المثقفون الآخرون تحت مجهر الرقابة، أو على الأقل تحت تأثير هذا الهاجس، فباتوا يخشون الدخول في مطبَّات المغايرة والتجديد التي قد تضعهم في خانة سيّاسيّة ضيقة، وهذا الأمر أثَّر تأثيرًا كبيرًا على مشروعات شعرية وأدبية وحتى فنية متنوعة، ليظل هؤلاء المبدعون مؤجلين أو محصورين في خانة ضيقة.

أمَّا الذين تركوا البلاد (وأكثرهم من الأجيال التي سبقت جيل السبعينات) فقد وجدوا ضالتهم، إلا أنهم انقطعوا عن تواصلهم مع الداخل.

هذا المؤشر الثقافي، ولَّد فجوة واضحة، لعلها اتضحت في النصف الأول لسنوات السبعينات، التي شهدت حضورًا طاغيًا لشعراء الستينات الباقين في البلاد، فيما بدأت ملامح تشكُّل جيل جديد انطلقت من المقاهي والتجمعات إضافة إلى التجربة الرائدة للطليعة الأدبيّة التي تسلّم مسؤوليتها منذ عددها الأول القاص والروائي أمجد توفيق، ليشكّل هدفًا

مزدوجا لاحتواء التجربة، فهو مفتاح للاطمئنان والثقة من قِبل المؤسسة الرسمية التي رعت المجلة، وهو أديب شابّ في حينها وكان يمتلك هواجس وتطلعات الشباب الذين وجدوا في هذه المجلة وفي شخص رئيس تحريرها منبرًا ممتازًا للتعبير عن طموحاتهم، ونجحت الطليعة الأدبية، واحتوت الهموم الأدبية والثقافية لجيل كامل، لأنها فتحت الأبواب الجديدة ومنحت الأدباء فُرصًا كانوا يحلمون بها، كما أنها اقترنت بالشباب الأمر الذي أعطاها مدًّا من القوة والجرأة في تقديم الجديد بلا حسابات سياسية متزمتة.

لا نريد هنا الخوض في تقويم وإبداء الآراء في تلك المرحلة، ولا في مجلة الطليعة الأدبية التي كانت مشروعًا مهمًا وناجحًا لاحتواء التجارب الجديدة، إضافة إلى فتح باب للبراعم تحت تسمية (بريد القراء) شهد تواصلاً مع المتابعين من الشعراء الجدد آنذاك، والذين صار الكثير منهم من نجوم شعراء الثمانينات لاحقًا، المهم أن هذا الباب ولَّدَ حركة دائبة في الوسط الأدبي الثقافي، وصار بالضرورة حاضنة جيدة لجيل السبعينات الشعري، والأجيال اللاحقة له، حتى توقفت المجلة عام ١٩٩٠، ثم عادت للصدور ثانية بعد أكثر من عشر سنوات.

• إصدارات ضمَّتْ شعراء الثمانينات

صدرت بعض الأعمال التي جمعت عددًا من شعراء السبعينات وشعراء الثمانينات ومنها كتاب «الموجة الجديدة /نماذج من الشعر العراقي الحديث ١٩٧٥ - ١٩٨٦» إعداد وتقديم: زاهر الجيزاني وسلام كاظم

من شعراء الثمانينات فيه:

١- عدنان الصائغ
٢- محمد تركي النصار
٣- قصيدة مشتركة لإبراهيم زيدان وقيس مجيد المولى
٤- ليث الصندوق
٥- عبد الحميد كاظم الصائح
٦- إبراهيم البهرزي
٧- رعد فاضل
٨- هشام عبد الكريم
٩- سعد جاسم
١٠- نصيف الناصري
١١- باسم المرعبي
١٢- عمار عبد الخالق
١٣- علي عبد الأمير
١٤- محمد جاسم مظلوم

١٥- صلاح حسن
١٦- استناد حداد
١٧- كاظم الفياض
١٨- كريم شغيدل
١٩- أحمد عبد الحسين

الكتاب صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة التابعة لوزارة الثقافة والإعلام عام ١٩٨٦.

في حينها كتب الشاعر أديب كمال الدين في الصفحة الثقافية لجريدة القادسية يوم ١٩٨٦/٨/٢٤ مقالاً طويلاً، تحت عنوان (مناقشات - سلامًا أيتها الموجة الجديدة)، أورد مقاطع مما جاء فيه:

(كان من الممكن أن تمر المسألة بسلام، أن لا أكتب أي حرف بشأن ما حصل في كتاب «الموجة الجديدة»، إذ ليس مُهمًا بالنسبة لي على الأقل، أن يظهر لي نص فيه أو لا يظهر، رغم أن هذا من حقي الكامل، إذ أنني - كما هو معروف - بدأت أكتب وأنشر شعري ضمن جيل السبعينات للأسف، ولكن... لماذا للأسف؟

الجواب ببساطة إن في جيل السبعينات ظهرت ممارسات لم تحدث، على حد علمي، في الأجيال السابقة لعلَّ من بينها الممارسة الشهيرة لقيام نفر من شعراء الجيل بتنصيب أنفسهم - في مقابلة أجرتها مجلة الوطن العربي - ممثلين وحيدين له، وشعراء مجددين فيه، وألغوا دون أن يراجعوا

أنفسهم لدقيقة واحدة، جميع شعراء الجيل دونما استثناء، بيد أن هذا إن حدث في مجلة عربية، وفي مقابلة صحفية، فإن من المستغرب جدًا، أن يتكرر الأمر مع مجلة الطليعة الأدبية التي قوَّمت بدأب وحرص شديدين الانتاج الإبداعي وبمختلف أجناسه، لهذا الجيل منذ صدورها ولحد الآن، أعني أن يتم منح بعض أولئك الشعراء، فرصة جديدة ليعاودوا الكرَّة في رسم من يمثل ومن لا يمثل خارطة الشعر، وكأن الأمر مركون، فقط، بما يشتهون، بالأدق بما يكرهون ويحبون...

وإذا كانت إنجازات المجلة طيبة، وقد لمسناها من قبل في دعم جميع الشباب دون محاباة لأحد، فإن النتيجة في هذا الكتاب الصادر عنها على العكس من ذلك، فقد ظهرت عشرات الأسماء الشعرية لشعراء تساءل عنهم الناقد حاتم الصكر: (وكيف تحسب مياه بعض الشعراء في هذه الموجة وهم يتكونون قطرة قطرة حتى هذه اللحظة) - جريدة الجمهورية ١٤ آب ١٩٨٦ - في حين غابت عنه أسماء لها حضورها الشعري في جيل السبعينات وما تلاه وكما هو معروف تاريخيًا، من هذه الأسماء:

١- عبد الزهرة زكي
٢- باسم حسن
٣- علي الأنباري
٤- لؤي حقي
٥- بشرى البستاني
٦- فاروق سلوم

٧- منذر آل جعفر
٨- ساجدة الموسوي
٩- مجبل المالكي
١٠ - كاظم الحجاج
١١- أمين جياد
١٢ - خالد جابر يوسف
١٣ - شكر حاجم الصالحي
١٤ - فاضل عزيز فرمان
١٥ - هادي الربيعي
١٦ - وسام هاشم
١٧ - حامد حسن الياسري
١٨ - جاسم التميمي
١٩ - عبد الأمير خليل مراد
٢٠ - شاكر مجيد سيفو
٢١ - زهير بهنام بردى
٢٢ - فضل خلف جبر
٢٣ - عبد الحسن مراد الجناح
٢٤ - غني العمار
٢٥ - سعيد الغانمي
٢٦ - كمال عبد الرحمن
٢٧ - عبد الرزاق الربيعي
٢٨ - عبود غانم
٢٩ - علي رحماني

فها أن جميع هذه الأسماء الشعرية التي ذكرناها – على اختلاف طرائقها التعبيرية وحجم نجاحها الإبداعي – هي أسماء لا تستحق أن يختار لها مُعدّا الكتاب: سلام كاظم وزاهر الجيزاني نصًّا بسبب مستواها الفني «الهابط» أو «المتواضع»!

أيمكن أن تكون قصائد عبد الزهرة زكي وباسم حسن وفاروق سلوم وكاظم الحجاج وساجدة الموسوي والعديد من الأسماء التي ذكرناها هي قصائد أسوأ من جميع ما نُشر في كتاب «الموجة الجديدة» بحيث كان من المحال – حِفاظًا على المستوى الإبداعي للكتاب – اختيار نص شعري لهم ولو بحجم صفحة واحدة لكل شاعر منهم؟

لقد تحدّث المُعِدّان في مقدمة الكتاب عن «خطأ غير مقصود» جراء اختيارهم، فهل يعقل أن الخطأ غير المقصود هذا جاء على ثلاثين شاعرًا دفعة واحدة ليحصل الكتاب على منتهى الموضوعية والتفاؤل كما يقول مُعداه؟

••••

إن غياب أكثر من ثلاثين شاعرًا من الجيل السبعيني وما تلاه لهم مستوياتهم المتعددة وطرائقهم التعبيرية المتنوعة وربما مواقفهم من مسألة «التألق» على حساب الآخرين في كتاب أُعِدَّ ليوثِّق للسبعينيين وما بعدهم، مع مقدمة تنوء

بالأخطاء التي أشرها وناقشها بدقة الناقد حاتم الصكر في مقالته الكبيرة «شعراء الموجة الجديدة... النوايا والإنجاز»، تلك الأخطاء التي اشتملت عنوان الكتاب، وفهم المُعدّين لمسألة المخيلة والمكان والرمز والوضوح والغموض والاختيارات، ومن هم الذين أُختير لهم وكيف، وكيف بدا هذا النسيج الغريب من القصائد في صورته النهائية.

• ملف مجلة «حُرَّاس الوطن»

أمَّا مجلة حراس الوطن وفي العدد المزدوج ٣٨٧ عام ١٩٨٧ منها، فقد قدَّمتْ ملفًا بعنوان «جيل الثمانينات... جيل الحرب» شارك فيه الشعراء: (*)

١- محمد تركي النصار: شعراء السبعينات جيل بلا حلم شعري، تنقصهم المعاناة الحقيقية.

٢ - باسم المرعبي: علينا أن نجترح لغتنا الخاصة وأشكالنا الجديدة.

٣ - صلاح حسن: نحن أبناء غير شرعيين، لأن النقاد لم يعمدونا بعد.

٤ - عبد الرزاق الربيعي: نحن جيل ينمو بهدوء وبلا ضجة، بعيدًا عن الأضواء.

٥ - فضل خلف جبر: كفانا تنظيرا وتجريبا، دعوا القصيدة تكتب نفسها.

٦ - سعد جاسم: ندخل في قفص الأسئلة - ونخرج بضوء الآراء.

* العبارات المذكورة أمام كل اسم مشارك في الملف، نقلتها نصًّا من المانشيتات التي جاءت مع الاسم.

٧ - لهيب عبد الخالق: أترك التحدث عن جيلنا للنقاد الذين مازالوا مصرين على الصمت

٨ - علي رحماني: رجحت كفة الحرب على كفة التجربة النظرية

٩ - إبراهيم زيدان: نطمح أن يدرسنا النقاد بشكل منهجي وعلمي بعيدًا عن الإشارات السطحية

١٠ - محمد جاسم مظلوم: نحن في رهان، نعاني تأجيلا على الصعيدين الإبداعي والإعلامي

١١ - دنيا ميخائيل: الحداثة هو أن تكتب أدبا لكل العصور

١٢ - وسام هاشم: مازلنا نتلمس خطواتنا الأولى - بعيدًا عن أخطاء الأجيال الماضية

١٣ - خالد جابر يوسف: الثمانينيون... أم شعراء الخطيئة؟!

١٤ - أديب أبو نوار: الجيل الذي ولد في آتون الحرب أكثر اقترابًا من الشعر

مما جاء في المقدمة لهذا الملف بتوقيع «حُرَّاس الوطن» والتي كتبها كما أظن الشاعر عدنان الصائغ الذي كان يعمل مسؤولاً للقسم الثقافي في المجلة:

ماذا بعد جيل السبعينات؟

هناك جيل جديد وُلِد في أتون الحرب يُسمِّيه النُّقاد - على حذر - جيل الثمانينات أو بجيل ما بعد السبعينات...

ما هي ملامح هذا الجيل - أي الثمانينات - ومدى اقترابه أو ابتعاده عن الأجيال التي سبقته من جهة وصلته بالتراث والتيارات الحديثة من جهة أخرى، وما هي أهم خصائصه وأسمائه ومشكلاته؟ وما الذي قدَّم أو أضاف إلى مسيرة الشعر العراقي الحديث بصورة خاصة والشعر العربي بصورة عامة؟

هذا الملف قد يُقدِّم جوابًا - أو بعض جواب - في انتظار أن يقول «تاريخ الشعر» كلمته الفاصلة.

....

وتضمنت واجهة الملف «الصفحة الأولى منه» مقطعين شعريين: الأول للشاعر عبد الحميد كاظم الصائح من قصيدة بعنوان الدوارق جاء فيه:

في دورق...
هبط الضجيج على الفناء
فآثرت ريح بحجمك أن تقف
وتزيل من وجع الزجاج المرِّ لحمك
في الأواني..... بين بحر من حوامض
... أو حناجر من ضجيج
هبط الضجيج...
هبط الغناء، الصوت يعلو الصوت
يعلو ثم يعلو، ثم يدخل في الخفوت.

أما المقطع الثاني فهو من قصيدة للشاعر علي رحماني عنوانها «استدراكات الطفولة النائمة»:

هو نهرٌ

سيبقى يعلمهم

لهفة الماء

يبقى يصب لهم

لهجة الصبر

من حكمة النبلاء

هو نهر...

سيرضى يعاتب أوراقهم

خلف رعشة

هذا الندى المستظل

ويبدأ الملف بعنوان لافت:

«بيان أول للحرب... بيان أول للجيل» رجاء... الثمانينيون قادمون...

(ثمة أشياء كثيرة تحدث في هذا العالم، وعليك أن تختصر كل هذا في جملة أو سطر، اشطب... اشطب فليس من وقت كافٍ لأن تكمل صراخك، الطبول في الخارج، الطبول في الكتب وفي صالة رأسك، وصراخك يتصاعد من بين الأنقاض، من بقايا الروح والحرب، ثقيلاً رماديًا، ومثخنًا

بالدم والصفير، يحاول أن يغطي مسامات الورقة التي أمامك، والجدران واللا شيء.

العصر يلهث، والخطى تلهث والإعلانات أيضًا، والأرصفة تلهث وأنت أيضًا، وحدك تبحث عمّن يصغي، عن فسحة للتأمل، لا وقت، فدقائق الحرب تلتهم دقائقك البطيئة، وأنت والقذائف على مفترق طريق مسدود تحاولان التفاهم أو على كفتين، وبينكما وطن بمساحة القبلة الأخيرة، وطن وأطفال قادمون من الحرب وإلى الحرب...)

ثم تمضي المقدمة الطويلة بهذا الانثيال، حتى تصل إلى:

(الرواد اتهمهم الجيل السبعيني بالسلفية، والرواد أو نقادهم - على وجه الخصوص - اتهموا السبعينيين بأنهم انتهوا إلى لا شيء، والستينيون ضائعون لازالوا بين الوجود والعدم، بين الغموض والوضوح، لم تبق من أكداس الأسماء سوى عدد الأصابع النحيلة. إن ما نقرأه منذ سنين بتدفقه الكمي ليس شعرًا إلى حد يجعل واحدًا مثلي متورطًا في الشعر منذ ربع قرن مضطرا لإعلان ضيقه بالشعر وأكثر من ذلك، يمقته يزدريه ولا يفهمه، إن العقاب الذي نتعرض له يوميًا من جراء هذا اللعب الطائش بالشعر يدفعنا أحيانًا إلى قبول التهمة الموجهة إلى الشعر العربي الحديث - محمود درويش - .

وصولاً إلى:

(في البدء أعلن انحيازي التام لهذا الجيل، أصدقائي

الطيبين «إبراهيم زيدان، مزاحم علاوي، عبد الحميد كاظم الصائح، صلاح حسن، محمد تركي النصار، محمد جاسم مظلوم، لهيب عبد الخالق، سعد جاسم، علي رحماني، لؤي حقي، وسام هاشم، فضل خلف جبر، عمار عبد الخالق، قيس مجيد المولى، ليث الصندوق، هشام عبد الكريم، أديب أبو نوار، علي عبد الأمير، كاظم الفياض، نصيف الناصري الصعلوك العبثي، كمال عبد الرحمن، رعد فاضل، فاضل عزيز فرمان، علاوي كاظم كشيش، ريم قيس كبه، محمد حميد الهجول، باسم المرعبي، خضير ميري، رعد فاضل، شاكر مجيد سيفو، رعد بندر، رباح نوري، أمل الجبوري، علي الشلاه، دنيا ميخائيل، عبد الرزاق الربيعي... وو.....»

في البدء لم تكن لعبة صحفية - صدقوني - كانت أشبه بعواء أول، عواء أو صراخ له مساحة العالم أو أكثر، ولكن النقاد بدأوا يحاصرونني بالأسئلة، الأصدقاء أيضًا، وسكرتير التحرير أيضًا، ماذا تبغي وراء زرع كل هذه الألغام في أرض الشعر الهادئة (ليس هناك فنان يستطيع أن يحتمل الواقع لأن من طبيعة الفنان أن يضيق ذرعًا بالعالم... نيتشة).

ألوذ بطيبة قلبي وحصاري - أيها الأصدقاء - مهلاً، سأحاول توضيح الأمر بهدوء هذه المرة، سأترك للأصدقاء فسحة للتحدث، أوراقهم المبعثرة أمامكم، أما أنا فسأكتفي بالبحث عن مصطبة منعزلة للنوم، النعاس يداهمني، والفنادق موصدة في جيبي تمامًا، ريثما يكملون صراخهم البري غير المهذب، أو المشذب تقريبًا، وبعدها سنترك

القاعة للآخرين، أوراقنا، جراحاتنا للآخرين لشتيمتنا مثلاً أو لمواساتنا...

لا تطلقوا الرصاص رجاءً... فالثمانينيون قادمون) (*).

* حرصتُ على نقل محتوى الملف أعلاه كما هو، ليكون وثيقة دالة على حضور جيل الثمانينات وطبيعة التعامل معه والإشارة إليه، ولا تعليق لي على ما ورد فيه من تصريحات وأفكار وآراء.

• الطلائع الأولى للجيل

بدأ جيل الثمانينات بعدد من الشعراء الذين كانوا يُشكلون شبه تجمُّع بُني على تشابه في الكثير من السمات، وكتب شعراؤه قصيدة التفعيلة المتوافقة مع المسار الطبيعي للتجربة الشعريّة في العراق، ونشروا قصائدهم في الصحف والمجلات وبعضهم أصدر مجاميع شعرية مبكرة مثل الشاعر إبراهيم زيدان، بينما ظل الآخرون متواصلين في نشاطهم في النشر والحضور الثقافي والمشاركة في المهرجانات، ومن هؤلاء الشُّعراء: علي رحماني وليث الصندوق وقيس مجيد المولى وإبراهيم زيدان وعمّار عبد الخالق ولهيب عبد الخالق في بغداد ورسمية محيبس زاير في قضاء الشطرة في ذي قار.

ومن المجموعات الشعرية المشتركة المبكرة والتي ضمَّت عددًا من شعراء الثمانينات مع شعراء السبعينات، المجموعة الشعرية «قصائد جديدة... لبغداد وبيروت... مجموعة من الشعراء الشباب» صدرت عن دار الرشيد للنشر التابعة لوزارة الثقافة والإعلام عام ١٩٨٢، وقد كتب مقدمتها الناقد حاتم الصكر، حيث قال في جانب منها:

(لقد كانت بعض قصائد الشباب تدور في فراغ، متعثرة، ضعيفة البناء، لا تعكس وعيًّا فنيًا أو فهمًا للأدوات اللازمة في الشعر، فضلاً عن محاولات الاجترار والتقليد والوقوع في

وهم التجاوز والاستعلاء على الميراث الشعري الذي أكَّدته أصوات شعرية جادة في قطرنا والوطن العربي... كما أن بعض قصائد الشباب عكست جهلهم أو تجاهلهم للتراث بوصفه عاملاً مساعدًا في تنشيط دم القصيدة، وصار التراث في نظر بعضهم جزءا من ماض قدم عليه العهد ولا مجال للإفادة منه، وهذا هو المقصود بالوقوع تحت وهم الحداثة، ومجافاة الصدق والأصالة، إذ أن رواد الشعر الحديث لم ينجحوا في تأصيل اتجاههم إلا بالانتماء إلى التراث والتماس منابعه الأصيلة وذلك ما تشهد به دواوينهم الأولى التي كتبوها وهم في سن الشباب، ومثلت الأرض الصلبة التي انطلقوا منها غير أن هذه العثرات لن تحول دون عطائهم كما أن تجاوزها سيمكنهم من إيجاد أصواتهم الحقيقية.

ومن الشعراء الذين ينتمون إلى جيل الثمانينات وشاركوا في هذه المجموعة هم:

١- عمار عبد الخالق في قصيدة «سيد البحر» وهي من شعر التفعيلة «على تفعيلة البحر الكامل»:

احرق أساك وخلّنا
في البحر نمسك جمرة
ونعيد للنار المعتقة السلافة

٢ - إبراهيم زيدان في قصيدتين، وهما من شعر التفعيلة، الأولى عنوانها «الصفي». «على تفعيلة البحر الكامل»:

ولأنها نار ستدخل في الرماد

وتعيد للروح البهية
دورة الأجرام
والمطر الكريم

أما القصيدة الثانية فقد حملت عنوان «باتجاه الندى... باتجاه القمر» وهو عنوان مجموعته الشعرية الأولى، وهي من شعر التفعيلة أيضًا ومن تفعيلة البحر الكامل أيضًا.

سأدير وجهي للندى
وأصاحب الغزلان
أفتتح الصراط
إلى فلاة الأنبياء

٣ - ليث الصندوق في قصيدة من شعر التفعيلة، صورة لوجه بيروت»، وهي من تفعيلة «الخبب المتدارك»:

ورسمت جبالك بالأبيض مثل هلال
ورسمت يديك كشمسين وراء سياج

٤ - علي رحماني وقد حملت قصيدته عنوان «الطريق» وهي من شعر التفعيلة «على تفعيلة البحر المتقارب»:

هي الأرض شوق تورد فوق الجباه
هي الأرض عشق تغني

٥ - لهيب عبد القادر رشيد، وقد ورد الاسم خطأ هنا، فهي الشاعرة لهيب عبد الخالق كما ورد اسمها في الفهرست، وقصيدتها من شعر التفعيلة، أغنيات إلى صافون «على

تفعيلة البحر الكامل»:

الشمس تحرث صدرها
والأرض شدقا مقبرة

٦ - نصيف الناصري وقد حملت قصيدته عنوان «الصلصال» وهي النص النثري الوحيد في المجموعة:

في الخشخاش...
أتضرع بجلد الكوكب المائي،
أرغب في ضراعة البهرج النائم في خواتم الطبيعة.

• جائزة يوسف الخال

جدير بالذكر أن الشاعرين خالد جابر يوسف وباسم المرعبي قد فازا في مسابقة يوسف الخال للشعراء الشباب عام ١٩٨٨ والتي أقامتها دار رياض الريس للنشر في لندن، عن مجموعتيهما «بحثًا عن المهب» للشاعر خالد جابر و«العاطل عن الوردة» لباسم المرعبي، المشاركتين بين عشرات المشاركات العراقية والعربية، وقد أخذ فوزهما صدىً كبيرًا في الوسط الثقافي العراقي والعربي، الأمر الذي حفزّ أكثر من مائة شاعر عراقي للمشاركة في دورة العام التالي، ولكن لك يفز فيها أي شاعر عراقي بعد خالد وباسم.

• أهم النُّقاد الذين كتبوا عن الجيل

ولابد من الإشارة إلى أبرز النقاد الذين كتبوا عني وعن جيلنا بشكل عام وهم:

حاتم الصكر وسعيد الغانمي وعبد الجبار البصري وياسين النصير وفاضل ثامر وموسى زناد سهيل وعلي الفواز وريسان الخزعلي وسعيد عبد الهادي وخضير ميري والدكتور رحمن غركان والدكتورة ناهضة ستار وناجح المعموري ومحمد الجزائري وحميد قاسم وخزعل الماجدي وزاهر الجيزاني وكمال سبتي وخالد علي مصطفى وحمزة مصطفى وباقر جاسم محمد والدكتور محمد صابر عبيد وجمال جاسم أمين ومحمد الياسري، والدكتور عبد الإله الصائغ والدكتور سلام الأوسي وداود سلمان الشويلي.

• تداخُل التجربة

وفي غمرة الحديث عن جيل الثمانينات الأكثر صخبًا بين الأجيال هناك أدباء تداخلت تجاربهم مع هذه التجربة، على الرغم من أنهم نشروا نتاجاتهم في السبعينات لكنها كانت قليلة ومتباعدة ومنهم الشعراء: عبد الزهرة زكي، زيارة مهدي، جمال حامد الفريح، وغيرهم.

أما المجموعات التي أصدرها جيل الثمانينات وكانت مبكرة، وتنتمي نصوصها إلى تجربة شعر التفعيلة - عدا الشاعرتين دنيا ميخائيل وأمل الجبوري - فهم:

سعد جاسم
عبد الحميد الصائح
حسن النوّاب
أحمد المانعي
إبراهيم زيدان
عبد الرزاق الربيعي
دنيا ميخائيل
يحيى االبطاط
ريم قيس كبة
عدنان الصائغ
أمل الجبوري

حاتم عبد الواحد
ماجد البلداوي

أما بعد عام ١٩٩١، وتحديدًا في عام ١٩٩٢ فقد صدرت مجموعتي الشعرية الأولى «قلادة الأخطاء»، وهي من تجربة قصيدة النثر، وبعد عام من صدورها صدرت ثلاث مجموعات مهمة هي «السائر من الأيام» للشاعر محمد تركي النصار، و«اليد تكتشف» للشاعر عبد الزهرة زكي، و«الشاعرة» للشاعرة سهام جبار. والمجموعات الثلاث من إصدارات مجلة أسفار، وقد صدرت المجموعات تباعًا.

• رواية «زائر الماء»

لم نكُن أنا وركن الدين يونس وبعض شعراء المحافظات قريبين من مركز إعداد الملفات التي كانت تشمل الشعراء المتواجدين في بغداد، دراسةً أو إقامةً أو عملاً، وقد كنتُ في أكثر زياراتي إلى بغداد ألتقي الشعراء ونتحاور ونتبادل الأفكار والرؤى التي أصبحنا متقاربين فيها بشكل كبير.

وبعد أن أنهيتُ الخدمة العسكرية عام ١٩٩٠، سرعان ما شددت الرحال إلى بغداد، بحثًا عن فرصة عمل وتواجد، وأيضًا بسبب صعوبة وجود عمل مناسب لي في البصرة، فالصحافة والإعلام والعمل فيهما تتوفر فرصتها في العاصمة.

وفعلاً حالما وصلت والتقيت الصديق محمد حياوي الذي تسرَّح هو الآخر وترك العمل في جريدة القادسية ليعمل في قسم التحقيقات في جريدة الجمهورية، حتى عملتُ أنا في مجلة الطليعة الأدبية بصفة مصحح، كان رئيس التحرير القاص وارد بدر السالم، ومدير التحرير القاص عائد خصباك، والمحررون أديب كمال الدين وعدنان الصائغ وعبد الزهرة زكي، وأنا معهم، وقد أعددنا لإصدار عدد متميز مشاكس، لكنه لم يصدر، لأن كارثة دخول الكويت قد حلَّت واجتمع بنا مدير عام الشؤون الثقافية الدكتور محسن الموسوي، وألغى عددًا من المجلات ومنها مجلة الطليعة الأدبية، وبالتالي عدم الحاجة لخدماتنا.

وهنا كان لابد من البحث عن عمل جديد، وكانت الفرصة هذه المرة مع جريدة بابل التي أسَّسها عدي صدام حسين بعد جريدة البعث الرياضي، كنتُ أنا في الوجبة الصباحية مع الصديق المترجم سمير العادلي، وكانت وجبة المساء يعمل فيها محمد جاسم مظلوم وعبد الزهرة زكي، ولم يدم عملي سوى شهرين، حيث تمَّ استدعائي لأداء خدمة الاحتياط، وهكذا عدت إلى البصرة ومن ثم إلى دائرة تجنيد المدينة ليتم تسويقي إلى معمل الدروع والعجلات الثقيلة التابع للحرس الجمهوري، وبقيت فيه حتى شن الهجوم الأمريكي وقوات التحالف هجماتها الجوية على القطعات العسكرية، وقد ضربوا المعمل وكان موقعه في الزبير قرب مركز تسليم الشهداء الذي شاهدت فيه مناظر مرعبة لكمٍّ هائل من الجثث المحترقة والمهشمة.

بعد أن ضُرِب موقعنا انتقلنا إلى منطقة الشافي الواقعة بين قضاءي الدير والقرنة، وبقينا أيامًا في موقع جميل بين رعاة الجاموس قرب النهر، وبعد أيام على مكوثنا هنا تعرض موقعنا الجديد إلى ضربات جوية، وأعلن في حينها انسحاب القوات كافة، وحدثت الفوضى التي أودت بحياة الآلاف من أبناء الجيش، وقد شاهدتُ سيارات محترقة وجُثثًا متناثرة وأشلاء ممزقة، وأنا انسحب مع زملاء لي في الوحدة، حيث مشينا مسافة كانت مكتظة بالأحداث والمشاهد، وقد عبرنا الجسر المحطم بصعوبة بالغة وذهبنا مع صديق لنا يقيم في قضاء الهوير حيث قدَّم لنا وجبة من السمك وما

لذ وطاب من الغذاء، وبعد ساعات معه قرر زملائي الذهاب شمالاً إلى بغداد، بينما عدتُ أنا إلى الجنوب حيث أهلي في البصرة، وكانت عودتي شاقة مضنية عجيبة، قد أشرت إليها في كتابات عديدة، تصف هذه الليلة المحتدمة الصعبة التي نجوت فيها من الموت بأعجوبة كما حدثت لي مفارقات ذكرت بعضها، بل أسسّتُ عليها أحداث روايتي الأولى «زائر الماء».

وصلتُ البصرة وبقيتُ في البيت في الحيانية أترَّقب ما يحدث، وفعلاً سمعتُ جلبة وضجيجًا في منطقتنا، وعند خروجي من البيت شاهدتُ عددًا ليس قليلاً من الشباب وقد حملوا شعارات إسقاط النظام والموت لصدام حسين.

خرجتُ كي أتبين حقيقة الأمر، وذهبت إلى بيت صديقي الشاعر عبد الرحيم السوداني، وقد رافقني في جولة نستطلع فيها حقيقة ما يجري، كانت هناك فوضى وجلبة ومحاولات لاقتحام مراكز الشرطة والمقرات الحزبية، حيث تمَّ قتل عدد من الحزبيين وتم حرق مركز الشرطة الواقع في سوق الحيانية، وكان الشباب يتوجهون إلى الحسينية الواقعة في شارع ٦٠ كما يُسمى، ذهبت معهم ومعي عبد الرحيم، دخلنا الحسينية التي تجمع فيها عدد من الشباب حول رجل دين شاب، كان يقول للجميع عبارة واحدة كرَّرها مرارًا: (اصمدوا واستمروا، فالسيد على وشك الوصول). سألت عبد الرحيم: (هل تعرف أي سيد يقصد؟). قال: (لا والله، ولكن أقترح ان يعود كل منا إلى منزله).

وفعلاً عُدتُ إلى البيت، وقد سمعنا أن قوات الحرس الجمهوري جاءت وتدخلت، وقد هدموا مبنى الحسينية التي وقع تحت ركامها عشرات الضحايا من الشباب، وبعدها دعت قوات الجيش المحتشدة عن طريق مكبر للصوت الجميع إلى المكوث داخل منازلهم.

في هذه الأثناء تفقدتُ إخواني، فكان أخي منصور غير موجود، فيما جلس حازم وكنعان في البيت وأمرتهما بعدم الخروج إطلاقًا، وكان والدي المريض المقعد بسبب إصابته بجلطة دماغية أقعدته الفراش وصار نطقه صعبًا قلقًا ينقل نظراته بيننا، فيما كانت والدتي تبكي وتقرأ الآيات والدعاء، قلتُ لهم لابد أن أعثر على أخينا منصور لأعيده إلى البيت.

خرجتُ حذِرًا، ووصلتُ إلى مبنى كلية التربية الرياضية الواقع في مدخل منطقة الحيانية، كان هناك قائد عسكري مع قوة كاملة، وقد تمَّ إلقاء القبض على بعض الشباب ووضعهم على الجدار ثم إطلاق النار عليهم أمام الجموع المحتشدة، كنت في غاية القلق وأنا أتفحص الشباب عن بُعد خشية أن يكون منصور - لا سمح الله - معهم، لكنني وأنا غارق في تصوراتي المعقدة جاءني منصور، وقال: (لقد تبعتك لأنني دخلت البيت بعد خروجك منه بدقائق، كي أُعيدك وأُطمئنك علي). عانقته وبكينا معًا، فيما بقيت في بالي صورة الشباب الذين أُعدموا على جدار كلية التربية الرياضية، لتخرج مني قصيدة «غورنيكا»، التي نشرتُها لاحقًا في مجلة الطليعة الأدبية، وأدخلتها في مجموعتي الشعرية

الأولى «قلادة الأخطاء».

بعد انتهاء الانتفاضة، والهلع والرعب والاعتقالات والإعدامات التي تبعتها، ذهبت أنا إلى مقر وحدتي في الشافي، وكان وصولي إليها صعبًا بسبب ندرة المواصلات، وجدتُ ضابطًا برتبة رائد، هو الوحيد الذي كان يجلس في باب الوحدة، وقد سلَّمني نموذجًا يشير إلى التحاقي، ثم أخبرني بالمكان الجديد لوحدتنا وهو معسكر التاجي في بغداد، التي قصدتها بشق الأنفس وبأنواع مختلفة من وسائل النقل حتى وصلت إلى كراج العلاوي، وقد شعرت بعد وصولي إلى بغداد بأنني نجوت من الكارثة.

قضيتُ الليل مع عشرات الجنود في ساحات كراج العلاوي، كلٌّ توسَّد حقيبته ونام عليها بانتظار حلول الصباح، حيث ذهبتُ إلى وحدتي الجديدة في التاجي، وبعد سؤال عن معمل تصليح الدروع والعجلات الثقيلة الحرس الجمهوري، استطعت الوصول، واللقاء بمن تبقى من الجنود، وقد سجلت التحاقي، وحصلت على إجازة قصيرة، ذهبت فيها إلى بيت عمتي في مدينة الحرية دور نواب الضباط، وقد اغتسلت وبدلت ملابسي، وذهبت إلى مقهى حسن عجمي.

في الطريق صادفني الصديق الكاتب حمزة مصطفى، وقد سلمت عليه، فبقي صامتًا يتأمل وجهي، وحين ضحكت، قال: (مستحيل أنت منذر، يا للهول، ماذا حلَّ بك؟ لقد كان محمد حياوي يبكي عليك وسمع أنك أُستشهدت، وها أنت بنصف جسمك تعود إلينا). ثم قال مازحًا: (لقد بقي منك

«من» فقط والـ«ذر» لا أدري أين ذهبت؟).

تمشينا معًا إلى المقهى، حيث التقينا أصدقاءنا هناك، ومنهم محمد حياوي الذي قال لي: (فعلاً سمعتُ خبرًا سيئًا عنك أحزنني، ولكن ها أنت ذا مثل طائر الفينيق).

وبعد أيام قليلة في وحدتنا الجديدة صدر أمر تسريح مواليدنا لنعود إلى حرب الحياة في المُدن، وإلى مغامرات الشعر وأحلامه، وأوهامه أيضًا.

• العمل بتوزيع الصحف اليومية

أخبرني الصديق محمد حياوي أن لديه مشروع عمل جيد بالإمكان أن أكون معه فيه، وهذا العمل هو وكالة لتوزيع الصحف، وقد فتح مكتبة ومحلاً في منطقة اليرموك الأربعة شوارع، قُرب المسكن الذي استأجره قريبًا من نفق الشرطة مع زوجته الجديدة، وفعلاً حصل على الوكالة.

كنا نخرج فجرًا إلى المطابع لتسلُّم صحف الثورة والجمهورية والقادسية والعراق، وفي منتصف الأسبوع كانت تضاف لها مجلة ألف باء، كنت مع سائق في سيارة، بينما حمزة خال زوجة محمد مع أخيها في سيارة أخرى، وقد تمَّ توزيع المهام في قاطعين، حيث كنا مسؤولين عن التوزيع في قاطع الكرخ.

كانت إقامتي حينها في بيت عمتي في الحرية دور نواب الضباط، وبعد أن شعرتُ بأن هناك حرجًا في حركتي فجر كل يوم، فضَّلتُ المبيت في مكتبة التوزيع وقد حملت اسم «مكتبة أور لتوزيع الصحف والمجلات»، وكنا صباح كل يوم نتنقل بين المكتبات لتوزيع الصحف، حتى وقت الضحى حيث نعود إلى المكتب لنبدأ عملية الحساب وتسليم الوارد لمحمد حياوي، وينتهي عملنا في هذا اليوم.

بقيتُ في هذا العمل مدة، رغم التعب إلا أنه كان عملاً جميلاً، ومع هذا اضطررت لتركه لأسباب خاصة.

ثم عملتُ في قسم التصحيح في جريدة العراق عن طريق صديقي الشاعر حسن النواب الذي سبقني للعمل فيه، وقد تمَّ اختباري من قبل رئيس القسم واجتزت الاختبار بنجاح، ليكون عملي في الوجبة المسائية، التي كانت تنتهي بعد الساعة الواحدة ليلاً، وهو توقيت يشعرني بحرج طرق أي باب للمبيت، وبما أنني لا أمتلك ما يكفي للمبيت في فندق لذلك فضَّلتُ أن أقضي الليل في السفر من علاوي الحلة في سيارات الريم الكبيرة، وكنت أنام فيها حتى تصل الحلة، ثم أعود نائمًا في سيارة ريم أخرى عائدة إلى بغداد، وهكذا ينقضي الليل.

وكانت معي حقيبة صغيرة تحتوي على كل مستلزماتي التي أحتاجها، حيث أصل صباحًا إلى مقهى حسن عجمي لأغتسل وأحلق ذقني وأستبدل ملابسي، وأجلس في المقهى بانتظار الصديق الشاعر النبيل حسين علي يونس (حسين الصعلوك) ليجلب لي من بيته صمونة أو قطعة خبز، نتقاسمها مع استكان شاي كان أبو داود الجايجي الصارم في أغلب الأحيان يتغاضى عنها فلا ندفع ثمنها.

تحت هذه الضغوط والأجواء المشحونة، نشرتُ مقالاً لا أخفي أنه كان منفعلاً بعض الشيء لأنه كان ردًّا على أحد «الشعراء» الذين تمادوا في طروحات استعراضية في حينها، والمقال عنوانه «ثقافة الزعيق» نُشِر في جريدة العراق، الأربعاء ٢ تشرين الأول ١٩٩١:

ثقافة الزعيق

لكي يعرف الآخرون أنك شاعر مهم؛ عليك أن تزعق!

أن تدّعي بأنك تبني نصّك خارج السياق التاريخي لأقرانك، لأنه يحتوي على فرادة خاصة احتوت أفكار «شتراوس» و«جوليا كرستيفا» و«جاك دريدا» و«الغزالي»، واستفادت من «رولان بارت» و«محي الدين بن عربي»، وتستعرض أسماء أخرى لم يسمع بها الآخرون، فضلاً عن تصريحاتك (العريضة) بأنك الشاعر الأوحد في (جيلك) الذي لا ينتمي إليه كل من هبَّ ودب، ولا يخرج عن نطاق ما ترتئيه، ويصدّق جلساؤك ما أتيت به، وتقنعهم أن لك نصًّا خاصًا سيوصلك حتمًا إلى (نوبل) في الأيام القليلة المقبلة، ولا يسألونك عن الصياغة الأخيرة لذلك النص (المختفي) دومًا، لكنهم يشيعون عنك ما يذهل الآخرين وما يجعل النقاد عاجزين عن التصور (الميتا ثقافي) لنصك المزعوم.

ولا يفوتك وأنت تطالع ملامح أحدهم وطريقة (ضجيجه) ونوع ملابسه!! أن تضيفه إلى (جيلك) لأنه يستحق ذلك، ولا تتوانى عن إهمال الآخرين ممن ينشر هنا وهناك لأنه (مُتواطئ) مع الصحافة الأدبية ولا يفسر الأشياء بماهياتها، وتراهن على لعبة الشائعة التي يروّجها (جلساؤك) ممن عاشوا في (ظلك) ليقول عنهم (التاريخ) ما قاله عن أصدقاء «رامبو» أو «حسين مردان»...

ويمكنك وأنت في زحمة إدارتك (للجيل) أن تفصل من لا يتردد على (مقهاك المتقاعد) ولا يحاجج وبشدة ولا يبني نصه في الهواء، ولا يخطيء بالفعل والفاعل!!

أيها (الشاعر)... نسيتَ أنك في مقهى من مئات المقاهي في بغداد، وأن بغداد عاصمة ثماني عشرة محافظة عراقية تمتلئ بالمبدعين. ونسيتَ أن النص المكتوب هو المُراهَن عليه، وأن الضجيج والزعيق لا تولده إلا (العربات الفارغة) كما يقولون، وأن القلق الإبداعي الحق هو ما يتمحص داخل المبدع الحقيقي، وأن (نباتات الظل) من المشجعين لم يجدوا ما يرتكنون إليه في حياتهم سوى الإصغاء البائس لإدعاءاتك التي يبجِّلها (أولياؤك الصالحون).

ورغم كل هذا، ما زلت متربعًا على قمة وهمك الراسخة، تنظّر لهذا، وتسبُّ ذاك، وإذا ناكدك أحد من (أوليائك) وذكر لك (شاعرًا زاعقًا آخر) فإنك تضع ساقًا على ساق، وتسحب نَفَسًا من سيجارتك، وتردد قولك الساحر: (إن في القمة متسعًا للجميع).

• قصة «ومن ثم يصحو الكلام» للقاص عبد الستار ناصر

وهكذا كانت حياتي في هذه الفترة شاقة جدًا، وقد كتب فصولها القاص الكبير عبد الستار ناصر في قصة من أجمل قصصه كانت تحمل في البداية اسم «النائم الأبدي»، لكنني اعترضتُ على العنوان، فاستبدله بـ«ومن ثم يصحو الكلام» مُنِعتْ من النشر في صحفنا ومجلاتنا، فنشرها خارج العراق، وضمتها مجموعته القصصية «من أي بلاد أتيت» الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة عام ١٩٩٩.

وفي الواقع فإن القاص عبد الستار ناصر قد أدخل جموح خياله في بعض أحداث وحقائق القصة، قال لي: (كي لا تكون قصة تسجيلية». لذلك «أسطر» حادثة غرقي في البصرة، كما أضاف إلى الحدث بعضًا من انثيالاته التي لا تخلو من إثارة، ومع هذا فقد وثقت في عمومها هذه التجربة المثيرة في حياتي.

ارتأيتُ هنا أن أنشر هذه القصة الجميلة حقًا، والتي حملت إدانات واضحة للحرب والواقع وما يحدث في البلاد.

ومن ثم يصحو الكلام

هاج بحر الناس وماج، احترق الأخضر بسعر اليابس، مع أن الحرب ما بدأت بعد، لكنها أنذرت.

من «علاوي الحِلة» ليلاً، إلى «بابل» بعد منتصف الليل، ومنها ثانية إلى بغداد... المسافة تكفي أن يشبع فيها من النوم ما دام الإفلاس هو الذي يأمر وينهي، كم سنة مرت على تلك الطفولة المخربة؟

هارون الرشيد مسألة حظ، وثور الطاحونة سوء حظ، وما بينهما أو أمامهما، يمشي الزمن من باب إلى باب، ومن كرب إلى كرب أكبر... ريح شرقية وأمطار، ثم عواصف من حالوب وبرد يتراكم فوق الروح كما التلال... هكذا الحال في الشتاء (رحمة من الله) لا يفهم أسرارها إلا من ابتلي بصيف العراق، شحم يسيح وليس من ملاك رحيم، لا عصافير تغني ولا أحد في الطرقات، الحرب تقترب ولا يعلم غير الله متى ستنهمر؟ رمل وتراب وأسمنت يفوح منه الجحيم، إنها الخيانة الكبرى بالنسبة لطفل يولد بين البراكين، الملائكة منذ أيام الحرب المرهونة غادرت البلاد وهي تعتذر:

– جئناكم عُراة، أعطيناكم الطمأنينة والمحبة، وعدنا عُراة كما جئنا، ارحمونا من عتابكم، صحيح أننا لا نموت، لكن الحرب التي رأيناها فوق بيوتكم ذبحت إيماننا بالحياة.

الحرب المرهونة قتلت عشيرة من الملائكة، لا إبليس

يرغمها على السجود، وليس من أحد يفهم أسرار موتها سوى طفل هنا - يوشك أن يغرق - أو طفل خديج هناك كاد أن يموت، أول مرة في تاريخ الدنيا (يموت الملائكة في الحرب)!

سقط القتيل على القاتل، واهتزت أركان المعنى، قيل منذ مئات السنين (اهتزت أركان الكعبة) لكن القاتل يومها هو الذي سقط فوق القتيل... فزع وأقفاص وهلاهل مكبوتة، في الثالث عشر من مايس ١٩٦١ غازلته الحياة فجرًا، مئات (الديكة) شاركته صراخ الولادة، عجوز بيضاء الشعر رمته إلى الصيف تحت سلالم خشبية من بيت آل -منذ عامين- إلى السقوط، كلب الجيران جاء يلحس بُقع الدم المهملة فوق الفخذين، لا اسم لهذا الطفل برغم الساعات التي مرَّت بين الصمت والظلمة والجوع... الأب السكير (عبد الحر) دخل غرفة النوم وأغلقها عليه، كم هو مرعب أن يصحو المرء على كتلة لحم وشهيق وفم يريد أن يشرب الحليب.

هناك قطعة من البطيخ تبرعت بها (العلوية) وهي تسأل عن صحة الجنين:

- إنه جميل بارك الله فيه.

وما أن تسللت أصابعها بنصف دينار تحت المخدة حتى سألت:

- هل اعطيتموه اسمًا؟

- غدًا صباحًا إن شاء الله.

لكن (العلوية) مطّت شفتيها غضبًا، وقبل أن تفتح باب البيت راحت تكرر مرتين:

- الولد اسمه معه، الولد (منذور) للرحمن.

من تلك الساعة، طلع الزنبق في البيت وصار (منذر) أول دمعة مالحة تحت اللسان... تحس بها أمه في الليل كما في النهار، لا طريق أمامها غير أن تبلط الطريق لمنذر، ولا صوت في الحنجرة غير أن تنطق اسمه كمن تبكي... بينما اختفى (عبد الحر) بخمرته وراء جدران الغرفة يحتسيها ويسأل نفسه:

- كيف جئتُ به إلى غابة المسعورين؟ ولماذا جنيتُ عليه أن يبقى حيًّا بين هؤلاء؟

••••

تحت قصف الصواريخ، انحسر الظالم والمظلوم، صار الأعمى والأطرش والفرحان بملامح واحدة، لا فرق بين غني وفقير، لا فرق بين داعر وطاهر، لا فرق بين جائع وشبعان، فات أوان الندم على الجمال الذي كان، والخير الذي انقطع، فات أوان الحسرة على جبال الرز والسكر والشاي التي انشطرت إلى وديان وسفوح وحفر...

- الليلة سأشرب كل ما تبقى في البيت من عرق الشمال، مادام هذا الطفل الوقح الجميل جاء مختونًا بفعل الشياطين.

كاد (عبد الحر) أن يتحرر من الحياة فعلاً، وهو يضرب

كأسه بالحيطان ويصرخ:

- في صحة، صحتي أنا.

لم يصدّق أبناء المحلة أن هذا الأب المخمور ما يزال حيًّا - حتى صباح الخميس - برغم أنه (بلع) الخمرة دون ماء وبلا حمص أو لبنة أو طعام...

ماذا حلّ يومها بالوالد والمولود، بالساحر والمسحور؟ ماذا جرى للمقامر تحت سقف الخسارات وماذا حلّ بالراكب الوحيد في الزورق المعطوب؟

الحرب هي التي صنعت تاريخ الهجرة والتشرد والبكاء والزنى وتاريخ هذا المرض الذي لا اسم له.

- في صحة عبد الحر.

المركبات في الليل لا تسأل عن زبائنها أبدًا، وأغنيات الطريق البلهاء تشطب (المخ) وتضرب الرأس، ولن يبقى من قصائد (منذر) غير بيت لقيط يتكرر عند الفجر ولا شيء في الحقيبة سوى كلام (مخلوط) بالنعاس سينتهي في أقرب مقهى...

هذا موت يتكرر وليس من أحد يدري بأسرار هذا الرجل السامق مثل النخيل، يكفيه أنه تخلص من الموت غرقًا ذات عام في أرياف البصرة الحزينة، كان ذلك في التاسعة من العمر، لكن الذاكرة تسابقه ويرفض أن تسبقه إلى النسيان، لهذا سيبقى منذر عبد الحر على تلك الحالة المسحورة من الفرح (إنه ما يزال حيًّا وإن كل يوم يجيء هو فائض نعمة من

السماء). كيف تخلص من أمواج الشط، هو النائم المهمل الذي لا يدري به أحد؟ كان الزورق الخشبي العتيق قد انقلب فعلاً، والشط عميق، وما كان يعرف العوم أبدًا، لكنه رأى نفسه فوق تل من الرمال الصخرية، يسمع فوق رأسه من يُكرِّر:

- هذه معجزة من الله حقًا، انظروا، يموت الكبار وينجو هذا الصغير البائس.

••••

الحرب تبدأ اليوم؟ الحرب ستأتي غدًا؟ متى تبدأ البلوى وتنشقّ السماء؟ إنها أول حرب في الكون لا تدري بها الشعوب ولا أحد يعلم ميقاتها سوى الكومبيوتر...

حتى هذه الساعة لا يدري (منذر) من راح يقول:

- ربما كان هذا الطفل هو السبب في انقلاب الزورق، وإلا بالله عليكم كيف يموت (البلام جعفر) والمعلم حسون والشيخ سالم أبو الحيتان ولا يبقى منهم غير هذا ال......؟ أستغفر الله.

وبرغم السنوات الطوال التي مرَّتْ والتي سحبت (عبد الحر) إلى المقبرة في الثالث عشر من مايس - أيضًا - لكن الكلمات التي رماها عليه ذلك الصوت المجهول ما زالت تصفع نبض قلبه وترميه إلى حالة من الحسرة والجزع لا يملك أيما نجاة منها. ها هو الفقر يمشي معه ليلة بعد

أخرى... أتراه يدفع ثمن الذنوب التي ألصقوها بطفولته: إنه كان السبب وراء موت البلّام جعفر والمعلم حسون وسالم أبي الحيتان؟ في وجه اليتيمة غاب القمر... والحروب أرادت أن تفرح بالنصر، لكن جرى ما جرى، هناك يد عنيفة كانت تمسك به وترفعه بقوة نحو الشاطئ البعيد... أجل، إنه يتذكر ما جرى، ثمة أكثر من (يد) رحيمة أرادت له النجاة من ذاك المصير الرهيب... لم يكن يومها غير قطعة لحم وزنها أقل من شبح الموت، ربما انقذه المعلم حسون أو الشيخ سالم أبو الحيتان، أجل صار منذر أسطورة أهل (التنومة) وهم أول من أطلق عليه تلك التسمية المخيفة، طبعًا من العيب على منذر أن يشطب على جعفر البلّام الذي كان أول من ابتسم له وهو يصعد إلى زورقه - ببلاش - في تلك الساعة من الليل، بينما الأسماك تتحرك عند سطح (الشط) تسامر القمر الكبير الذي يسقط فوق المياه وهم في طريقهم إلى الفراش بعد أخر (نقلة) من صوب العشّار إلى بقية الشعاب البصراوية الناعسة.

منذر عبد الحر عاش غريبًا برغم اختراقه العاصمة معصورًا من تلال الحرب وسفوحها، مسكونًا بالخوف من الشظايا والأصدقاء... هل كانت الحرب قد بدأت فعلاً؟ من جاء سهوًا بهذا الحرامي الوسيم وأعطاه الأمانة؟ من علّم الحكمة للحاكم، ومن فرض على الصالح الأمين نهب ما تبقى من الطفولة والمحرمات والنفائس؟ هل تراها بدأت؟ لا يدري - وقد جاء بغداد عشية ليل الصواريخ - كم ليلة فارق

فيها الفراش؟ كم ساعة راح يسأل خلفها عن حقيقة اسمه وأحلامه وأكاذيبه التي أشعلت مختبرات رأسه، فما نفعت معها غير (وظيفة) حقيرة في قسم التصحيح، قل ولا تقل، اكتب الكلام هكذا ولا تكتبه كما جاء به العبقري الجاثم فوق قصور الغباء. من الجريدة - وقد أغلقت أبوابها ليلاً - إلى كَراج الحلة فورًا ينام ثمة في المطر أو ينام في السطر الأخير من حافلة (الريم) العملاقة، بأجرة فقيرة وسيجارة واحدة أكثر فقرًا... ليعود بها نحو بغداد ثانية عند الرابعة فجرًا على أمل مضحك في الروح: إن العالم يمكنه أن يتغيّر... فما تغيّر العالم وما تغيّر منذر.

••••

أسنان وضفادع، بشر وعباءات، ربما تحت الثياب ما يزيد على كمية المسموح به من الشعر والعنبر، كل ركاب الريم يعرفون هذا النائم الأبدي، يقطعون الليل بالضحك على مؤخرات المركبات التي تقطع المسافة بين بغداد ورأس الحلة، تلك الشاحنة (محبوبة عبود الفحل) تنهب الطريق خلف (الكرخية الحلوة المحروسة) كلاهما تسابق (دخيلك يالعباس) بينما النائم الذي دفع الأجرة ذهابًا وإيابًا يكتفي بنظرة واحدة إلى نمط الركاب، وبعدها سيقرر شكل الليلة أو محتواها...

إنه -كما في أيام الصبا - خير من يراوغ أمام الحياة وينزع

منها فتيل الدهشة، يمكنه احتواء اللعبة وخداع اللاعبين (لا ينبغي الندم على كرة القدم التي عافها يوم جاء الشعر إليه) صحيح أنه خسر ما يكفي، لكن الحياة في (الريم) لها طعمها الغرائبي المخلوط بشيء من السحر وانتظار العجب.

ربما تتكرر تلك الليلة الربانية التي أخذته فيها (إحداهن) إلى بيتها عند ذيل الحلة ليقطع بقية الليل في أحضانها ويهتز حتى الصباح فوق طعم الأناناس والكمثرى والموز (على عناد الريم أحب التويوتا) يضحك معها على مؤخرة من أجمل ما كتب المجانين والشعراء.

في أول الصباح نزلت عليه القصيدة:

(لا الزمن ولا الأنهار يمكن أن يعودا إلى الوراء)

ماذا كان اسمها، تلك السيدة التي اختفت ملامحها وراء اللحم المكنوز؟ غريب أنه عاش واحدة من أحلى ليالي إنسانيته ولا يعرف اسم التي تنام تحت شهيقه وتصرخ خلف زفيره المخبول!

الحرب يمكنها أن تفعل المستحيل، فقد انسكب الإبريق على الزنديق، ولاذ الجار بالفرار، ولم يعد في الزقاق غير السرّاق. صارت بغداد محض خراب تفح على أطلالها الأفعى وينعق الغراب...

النائم الأبدي وحده يعرف أن الليالي لا تتشابه إطلاقًا، منذ إنسان العصر الحجري حتى الإنسان الذي (قُدَّ) من حجر... إنه برغم اهتزازه عبر الممرات وإشارات المرور، يدري في

قرارة النفس، إنه سيهدأ ذات يوم على فراش من حرير ونساء من حرير، وستهطل عليه الدنانير ذات الرصافة وذات البصرة وذات الكرخ، وأن الطريق إلى (بابل) ليس سوى محطة في الذاكرة حالها حال ما جرى مع (يوناسيس آرسطو طاليس) قبل أن يربح نصف الدنيا بين يديه.

هكذا سيأتي نصيب الفقراء، مرة واحدة وينفجر البركان الذهبي (كان منذر قد سمع انفجارًا أيقظه من النوم فعلاً)... إذا به أمام مركبة (محروسة بسبع الدجيل) طار إطارها وتناثر ركابها وانقلبت على تلال صغيرة بعيدًا عن الطريق واستقرت هناك بين عويل بشري رهيب وشظايا زجاج... ذلك ما أعطى الركاب صحبة منذر فرصة البوح بما في النفوس:

- السرعة هي السبب، البلاء والشر كله من السرعة يا ناس.

- الله يستر

ثم نظر أحدهم إلى السائق بكثير من الخوف والغضب:

- أخي، الله يخليك، سُق على مهلك، لا نريد أن نموت الليلة.

كان هناك من راح يقرأ مؤخرة المركبة المنكوبة (حبيبة جسّام محروسة سبع الدجيل) ثم التفت إلى الركاب ضاحكًا:

- ولا (سبع) واحد طلع منهم.

هل جُنّ هذا الرجل الذي ما يزال يركض خلف الذئاب

والغزلان ومؤخرات المركبات الكبيرة، الحرب لها نكهة الدموع والعرق الزحلاوي يباع في كل شبر من المدينة، كأس واحدة تكفي، والرب قريب من العباد، هل تراها بدأت هذه الحرب التي ينتظرون؟

••••

الملائكة ولَّت وعافت الدنيا وما فيها، لكن الرَّب عزيز رحيم، لماذا يركض منذر عبد الحر خلف القصائد والنساء والمركبات؟ أي مؤخرة أجمل؟ (سيارتي أحلى من البقلاوة) لكن المؤخرة التي يسافر فيها مساء كل يوم إلى الحلة كانت أحلى، فقد كتبوا عليها (الريم تمساح التماسيح ادفع الأجرة واستريح)... وهل يستريح (المنذور) إلا ساعة الخلاص من النذر؟

إنها الحرب... كل شيء يقول ذلك: نباح الكلاب، صافرات الإنذار، الهلع الذي يمسك الرقاب، اختلط الحابل بالنابل، الأهوج بالأعرج والضابط بالخابط... طرف هنا وكتلة لحم هناك، امتزج اليقظان بالنعسان، ونام الرصاص ما بين الأحضان وبين الأكفان، لم يبقَ من الطمأنينة غير ذكرى، بعد أن ساح الراح في العروق، واندلق الشروق في مجرى الغروب.

هي الحرب ثانية، ولا أثر للحلة من خلف التلة، لا أحد من جيش الجراد يعلم ما حلّ في باب المراد، تخلَّت الأعظمية عن الكاظمية، وانشقت جبال البطيخ على مرمى شبر من

(باب الشيخ).

كانت الحرب قد بدأت فعلاً، ثمة من ذهب إلى اللحد من المهد فورًا وما رأى الكوارث والجوع والمهالك، ومنهم من انتظر حتى... انفجر، كان (منذر عبد الحر) قد تحرر من إدمان أبيه، وصار عليه أن يرى السماء تشتعل وهو يبتسم باكيًا... ذلك يعني إنه سينخرط حتمًا في الحرب شاء ذلك أم أبى.

صار (كَراج العلاوي) يعج بالفقراء المسلحين وأبناءِ الواوي، المركبات تكتب على مؤخراتها كلامًا لا يشبه الكلام القديم، فهذه (بنت الفيلق السابع) وتلك (عزيزة ماشية للحرب) بينما تختفي (محروسة آل البيت) عند نهاية الطابور، إذ فرّ سائقها من مفارز الضبط التي جاءت تأخذه إلى سعير المعارك.

صارت المؤخرات مقدسة جدًا، لا سلطة لشرطي المرور عليها، ذلك أن المركبات جميعها تمضي إلى الجنوب، إلى العمارة والبصرة والشطرة وهي تحمل الجنود الفقراء وتعود... بالصدى.

••••

- هل رأيتموه في المقهى؟

- إنه يجلس خلف الزجاج... ويقرأ.

أجل، منذ انتهت الحرب ولا شيء يثير هذا المقاتل الجميل سوى ما يكتبه السواق على مؤخرات مركباتهم الجميلة:

(حبيبتي شبح، وأنا الراكب الوحيد) وهناك (محروسة العباس حلوة وسريعة)... يضحك عفوًا من زمن القصائد العظيمة التي سيأتي من يحميها ويحرس مؤخراتها كما تحرس الشاحنات المحملة بالجوع.

ما بين ثور الطاحونة وهارون الرشيد، خيط رفيع جدًا، كلاهما يأتي سهوًا إلى المكان الذي سيموت فيه، وسيبقى سهوًا في صميم المكان الذي صار خاضعًا إليه... ولعل منذر عبد الحر قد أيقن - يوم سرّحوه من الحرب في الثالث عشر من مايس - إنه ما عاد بحاجة إلى أن يصبح (هارون الرشيد) لكن، من يضمن له، أن يتخلص من شراك (الطاحونة) التي يمر بها كل يوم؟

••••

١٣ مايس ١٩٩٦

• دار الأمد للنشر

عرف بعض الأصدقاء المقربين حكاية مبيتي مسافرًا، وجاءني الصديق الشاعر رياض إبراهيم في أحد الأيام وأخبرني عن دعوة السيدة «حكمية جرار» للعمل معها في دار الأمد للنشر، لأن الشاعر والمترجم حكمت الحاج الذي كان يعمل معها قد ترك العمل، وقال لي رياض إن هناك مكانًا لمبيتي في المشغل الفني التابع للدار والذي كان يديره الفنان فاضل جواد.

وافقتُ فورًا على دعوة الصديق رياض وذهبت معه لبيت السيدة حكمية جرار وهي قاصة وكاتبة ومناضلة فلسطينية تعيش في بغداد وقد توفي زوجها الذي كان أحد القادة الأمنيين في منظمة فتح الفلسطينية، وكانت علاقتها وطيدة بالصديق رياض إبراهيم، البصري النبيل الذي ينتمي عُمريًا إلى جيل السبعينيات وتربطه بالشاعر البريكان علاقة قوية، وكذلك كان قد أجرى أيام السبعينيات حوارات مهمة مع رموز الشعر والثقافة العربية ومنهم شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري، وظل يحتفظ بصوره معه أثناء الحوار.

كان رياض على علاقة وطيدة بالشاعر ركن الدين يونس الذي عرفني به وتواصلت معه، وقد شهد تسلم عملي الفوري

وتكليفي بمهامي من قِبل السيدة حكمية التي خصَّصتْ لي راتبًا جيدًا في حينها، مع ضمان المبيت المناسب في مشغل الدار، الأمر الذي منحني استقرارًا نفسيًا وفسحة طيبة للقراءة والكتابة،

في دار الأمد كان هناك توجه لإعادة طباعة بعض الكتب التراثية، وقد تمت طباعة كتيب صغير هو (الطواسين والمناجيات) وقد طبع غلافه بتقنية السكرين، وقد اقترحت على الدار بالاتفاق مع الفنان فاضل جواد الذي يمتلك ثقافة رصينة ومتابعة دقيقة للمشهد الثقافي العراقي، أن نتبنى طباعة الأدب الحديث وبالذات الشبابي منه مع الانفتاح على التجارب الأدبية المعروفة بعطائها، فكان مشروعنا الأول في هذا السياق، جمع قصائد نثر تحديدًا وتقديمها على أنها المشهد الجديد في الشعر العراقي، وبما أن دار النشر أهلية فسيتحمل المشاركون جزءًا من نفقات الكتاب، بشراء خمس نسخ منه مقابل مبلغ مناسب هو ثلاثون دينارًا.

وهكذا جمعنا القصائد بعد نشر إعلان وتحديد شرط أن تكون القصيدة المقدمة ضمن تجربة قصيدة النثر، وقد تسَّلمنا عددًا من القصائد شارك فيها شعراء من أجيال مختلفة وقد حمل عنوان (شعر ٩٢... المشهد الجديد في الشعر العراقي). كتب مقدمة قصيرة له الشاعر عبد الزهرة زكي باسم الناشر. ثم تبعناه بكتاب قصصي حمل عنوان (قصص ٩٢... المشهد الجديد في القصة العراقية) كتبتُ أنا مقدمة قصيرة له تحت اسم الناشر أيضًا.

ورغم بساطة طباعة هذين الكتابين، بتقنية طباعة الرونيو وغلاف السكرين، وقد تمَّ توزيعه، أما شراء النسخ ودفع المبلغ، فلم يلتزم به إلا الشاعر علي عبد الأمير، لذلك تمَّ توزيعه مجانًا على الشعراء والقصاصين المشاركين، وتمت المشاركة بهما في بعض المعارض والمكتبات المتنوعة، كذلك تمَّ بيع نسخ منهما للدار الوطنية للنشر والتوزيع والإعلان.

بعد ذلك وبينما كنا نتمشى أنا وفاضل جواد، باتجاه المكتب الذي كان يقع في ساحة الحرية، الكرادة خارج، قال لي: (كم قصيدة نثر منشورة عندك يا منذر؟). قلت له: (أكثر من تسعة نصوص طويلة). قال: (عليك بجمعها الليلة، كي تطبع ديوانك الشعري الأول).

وبين مصدق ومكذب، قضيت ليلتي في المشغل الفني الذي يقع في شارع السعدون في مدخل أحد الفروع المؤدية لمنطقة البتاويين الصاخبة، نقلت القصائد ورتبتها واخترت عنوان «غورنيكا». وعندما جاء فاضل قلت له: (هذا ديواني). قال: (ممتاز، ولكن ما هذا العنوان؟ عليك أن تستبدله بعنوان آخر). عندها اخترت عنوان قصيدة «قلادة الأخطاء».

قال: (الآن من الممكن أن نأخذه للرقابة كي نجيزه من أجل طباعته ضمن منشورات الدار، وأنا سأتفق مع السيدة النبيلة أم لؤي «حكمية جرار» على دفع تكاليفه من راتبك كل شهر خمسون دينارًا). وافقته الرأي وذهبنا إلى وزارة الثقافة والإعلام وقدمته بعد أن ملأت استمارة معلومات...

بعد أيام اتصل بي الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد عن طريق هاتف المكتب، وقال: (أُريدك أن تحضر عندي)...

ذهبتُ فورًا، وكان قد وضع مجموعتي الشعرية أمامه، فقال لي:

- ما هذا «الخرط» يا منذر؟

قلتُ له:

- لماذا؟

- أنت تكتب نصًّا موزونًا سليمًا، لماذا تُقدِّم هذه المجموعة؟

- أُفضِّل أن أظهر بأول مجموعة بهذا الشكل.

- سأُجيز المجموعة، ولكن لا على أساس أنها شعر، لكنها نصوص سليمة في اللغة والصياغة.

- أستاذ، المهم أن تجيزها لي.

وهكذا تمَّ منحي إجازة طباعتها، وما إن تسلم الصديق فاضل جواد النسخة المختومة حتى أرسلها لتنضيدها، وبعد اكتمالها وتصحيحها من قبلي بدأ بتنفيذها بشكل مبتكر هو عبارة عن الورق الزائد من المطابع، حيث سأل مرة الطبَّاع الذي أنجز كتاب «الطواسين»: (ماذا تفعل بالورق المتبقي من الطباعة؟). فقال: (ارميه في القمامة). قال له فاضل: (أنا أشتريه منك). ليجيب ضاحكًا: (بل خُذه مجانًا وخلصني منه).

وهكذا بدأ يطبع بأشكال مبتكرة، فكانت «قلادة الأخطاء» بعد كتابي الشعر والقصة، المشروع التجريبي الأول في هذا الاتجاه. وقد صدرت مجموعتي مع اليوم الأول من انعقاد ملتقى الشعر الثمانيني عام ١٩٩٢ الذي شارك فيه أكثر من مئة شاعر وشاعرة من جيل الثمانينات وكذلك جيل التسعينات، وكان تظاهرة مهمة أحدثت أصداء مختلفة، قرأت في الملتقى قصيدتي الأولى التي ضمتها المجموعة، وعنوانها «لأنكِ لذّتي... لن أُسمِّي الأشياء بوضوح». تحدث عنها مع قصائد الجلسة الناقد علي حسن الفواز - للأسف لا يتوفر في أرشيفي ما قاله عنها - إلا أنني أحتفظ برأي مهم كتبه عنها الأستاذ الناقد والمترجم فاضل ثامر ضمن دراسة بعنوان (شعراء الحداثة يعيدون تسمية الأشياء) نشرها في مجلة «عمّان» في ١٥ آب عام ١٩٩٤، ومما قاله عني ضمن هذه الدراسة:

(ويبدو أن شاعرًا شابًا آخر شاء أن يتمرّد على نظام التسمية هذا عن طريق سلسة من لاءات النفي، وهي صياغة جديدة ومبتكرة أيضًا:

... هذه خطاي
لا أسمّي البحر صديقًا
ولا أتلو ينابيع صمتي
وأوقف التسميات على راحتي

فالشاعر هنا يرفض أن يسمّي الأشياء بوضوح - عنوان القصيدة (لأنك لذتي... لن أسمّي الأشياء بوضوح) - ويصرّ

على أن يوقف التسميات على راحته، وهو في هذا يقف موقف «المعارضة» في الشعر للقالب الصياغي ذاته، لكنه بالتأكيد يظل منتميًا إلى هذا القالب نفسه.

من هنا نجد أن وراء هذا القالب الصياغي للفعل «سمّى» وتصريفاته المختلفة دافعًا قويًّا وهو ليس مجرد لعب لغوي، أو توظيف لمفردة لغوية أو معجمية عابرة، وإنما له مبرراته المقترنة بموقف الشاعر الحديث وعلاقته بالأشياء والعالم ورغبته في أن يمارس فعل التغيير والخلق والإضافة والتسمية، لأنه يمارس عن طريق فعل التخييل وعن طريق سلطة الكلمة والشعر، سلطة الإبداع والخلق لعالم تخييلي من صنعه وابتكاره كليًّا، وهذا الأمر ينطبق، بدرجات مختلفة على الكثير من القوالب الصياغية التي جاء بها الشعر الحديث ومنها استخدام بعض أفعال الصيرورة مثل صار وأصبح وكذلك الفعل: استحال، فهي تمتلك القدرة على التحويل والتغيير وإعادة صيرورة الأشياء، ولا شك أن أمام النقد العربي الحديث مهمة الحفر عموديًّا في أسرار اللعبة الشعرية لسانيًّا ودلاليًّا بغية الوصول إلى أسرارها الرؤيوية المغيبة).

• تعيين الأدباء العاطلين عن العمل

قبل الملتقى بعام كان قد صدر أمر من وزارة الثقافة والإعلام بتعيين الشعراء الشباب العاطلين عن العمل في المؤسسات الإعلامية والثقافية للدولة، وتم تعيين الجميع، وكان نصيبي التعيين في جريدة الثورة، فيما تعين زملاء آخرون في الصحف الأخرى ومجلة «ألف باء» والمؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون.

كان في الأمر الوزاري معي في التعيين في جريدة الثورة:

نزار عباس
حسب الشيخ جعفر
فيصل عبد الحسن
كزار حنتوش
فاضل الكعبي
نعمان مجيد
عمار يوسف المطلبي
باسم حسن
حنون مجيد
جهاد مجيد
شاكر السكري
شكر حاجم الصالحي

مجيد ياسين
موسى العبيدي
سلمان السعدي
محمد جاسم مظلوم
منذر عبد الحر
صلاح حسن حمزة
محمد حسين عداوي
أحمد الصالح

والأمر هذا صادر من مكتب الوكيل (حميد سعيد) بالرقم ٢٠٥ في ٢٧ / ٧ / ١٩٩١ الموافق ل ١٦ محرم ١٤١٢ هجري.....

في البدء كان هذا التعيين شكليًا، ولكن بعد انتهاء الملتقى، تحدثت مع رئيس القسم الثقافي آنذاك وهو القاص محمد عبد المجيد عن إمكانية منحنا صفحة لأدب الشباب، فاعتذر، لذلك طلبت من الناقد ناظم السعود الذي جاء أمر تعيينه بعد الأمر الذي صدر، والذي لم يلتحق به الشاعر محمد جاسم مظلوم لسفره المفاجئ إلى سوريا عن طريق كردستان كما علمنا من خلال الأصدقاء، أقول طلبت من ناظم السعود أن يرافقني في طلب اللقاء برئيس التحرير طه البصري، الذي رحَّب بنا وتحمس لطلبنا واتصل بالسيد محمد عبد المجيد مدير الشؤون الثقافية في الجريدة ليمنحنا صفحة أسبوعية، فوافق بشرط أن تكون يوم الجمعة، وأن يكون اسمي أنا مع اسم ناظم السعود على الصفحة كمشرفين عليها كي تكون خارج مسؤولية القسم.

وهكذا تسلمنا صفحة يوم الجمعة التي قدَّمنا فيها، حوارات ونصوصًا وتجارب ودراسات، وهي بمثابة تمهيد لعقد ملتقى الشعر الثمانيني، علمًا أن هذه الصفحة التي أثارت ردود أفعال إيجابية، لم تستمر طويلاً كونها مشاكسة وصنعت فضاء من القُراء كون يوم الجمعة يعني تظاهرة شارع المتنبي ومقهى حسن عجمي.

بعد توقف الصفحة، ابتعدتُ عن العمل اليومي في جريدة الثورة وصرتُ أحضر فيها بتباعد لأنني انشغلت بمشروع دار الأمد الذي توسعت إصدارته لتشمل المجموعة القصصية «شمبارة الميمونة» لعبد الستار ناصر، وطبع الشاعر علي الشلاه مجموعته الأولى «ليت المعري كان أعمى» على حسابه الخاص. وتواصلت الإصدارات لإرادة الجبوري ومحمد رشيد وخزعل الماجدي الذي قدَّم قصيدة طويلة عنوانها (عكازة رامبو)، حتى قررنا أن نطبع للكبير محمد خضير كتابًا جديدًا، اتصلنا فاضل جواد وأنا ورياض إبراهيم بالكبير محمد خضير، وطلبنا منه تقديم مسودة كتاب جديد له بشروط هو يضعها هو، ولأنه متواضع تواضع الكبار، قال لا شروط عندي سوى سلامة الموقف وطباعة الكتاب بشكل جيد، وحين أخبرنا السيدة حكمية جرار بالأمر، قالت نذهب له إلى البصرة ونوقع معه عقدًا أُصوليًا يناسب مكانته.

وفعلاً ذهبنا للبصرة أنا ورياض إبراهيم وفاضل جواد والسيدة حكمية جرار وابناؤها لؤي ولجين ولواء، ووصلنا إلى بيت أبي مناف ليغدقنا بكرمه المعهود وتواضعه الجم،

ووقعنا معه العقد وأخذنا مسودة كتابه «بصرياثا/ سيرة مدينة»، وبدأت رحلة طباعته في مطبعة جيدة يمتلكها الأستاذ عدنان الجبوري، وكتب مقطوعة نثرية جميلة على غلافه الأنيق الفنان المبدع فاضل جواد الذي صمَّم الكتاب واختار لوحة الغلاف.

وأتذكر هنا موقفًا مهما عندما أخذت الكتاب للحصول على موافقة من الرقابة، أن الشاعر حميد سعيد كتب رسالة للسيد أمير الحلو رئيس تحرير مجلة ألف باء، الذي أُختير خبيرًا للمخطوطة، كان فحوى الرسالة يشير إلى أنه من العيب على وزارة الثقافة والإعلام أن يُطبع مثل هذا الكتاب المهم في دار نشر أهلية، مهما كانت قيمة هذه الدار ومكانتها.

المهم صدر الكتاب وأقمنا له حفل توقيع رائع قدَّمته أنا، وشارك فيه المبدعون لطفية الدليمي وعبد الستار ناصر ودنيا ميخائيل وبعض النُّقاد والأدباء، وكان في قاعة جميلة من قاعات مركز صدام للفنون، بحضور كبير شمل مثقفين وإعلاميين وكُتَّاب قصة ورواية وشعراء.

ومن الجدير بالذكر أن هناك أصدقاء عديدين من الأدباء كانوا على تواصل مع الدار ومنهم القاص علي السوداني والشاعر عبد الزهرة زكي والروائي حميد المختار.

• وليد صوالحة

قالت لي السيدة حكمية جرار ذات يوم من عام ١٩٩٣: (سأُعرِّفك بشخصية فلسطينية مهمة جدًا في الوسط الفلسطيني، فهو شاعر ومقاتل ومناضل، اسمه «وليد صوالحة أبو العبد»، وهو يود طباعة مجموعة شعرية له عن طريق دارنا.

وفي مساء يوم صيفي، اتصلت بي السيدة حكمية وكنت في المكتب الذي انتقلنا فيه قبل شهور بديلاً للمكتب الواقع في ساحة الحرية في «الكرادة خارج»، وموقع المكتب الجديد يقع خلف فندق السدير نوفوتيل جوار مكتب استيراد وتصدير الأفلام السينمائية، وفي نهاية الشارع المؤدي إليه يقع مقر «منظمة مجاهدي خلق»، قالت لي السيدة حكمية: (أُريد منك الآن ترك كل شيء والحضور إلى بيتي لأمر هام)...

كان بيتها يقع في شارع ٥٢ قرب مديرية الجوازات العامة، استأجرتُ سيارة أجرة صغيرة ووصلت البيت، كان هناك ثلاثة أشخاص يجلسون على الكراسي في الباب المؤدي إلى صالة الجلوس داخل البيت، ألقيتُ التحية عليهم ودخلت الصالة برفقة لؤي الابن الأكبر للسيدة حكمية والذي استقبلني في الباب لحظة وصولي، وجدتُ في الصالة السيدة حكمية مع شخص ذي حضور مؤثر، تبدو عليه مظاهر الترف والنعمة

والعُمق أيضًا، كان شديد التأنق، تكاد سيجارة الروثمان النادرة في حينها لا تفارق أصابع يده... قدَّمته لي أم لؤي قائلة: (الأخ أبو العبد الشاعر والمناضل الفلسطيني وليد صوالحة). فيما قدَّمتني له تقديمًا رائعًا.

جلستُ قريبًا منه مُرحِّبًا به، وبعد الضيافة وعبارات المجاملة، قالت لي: (الأخ وليد لديه قصائد عديدة كتبها في معتقله الواقع في منطقة العزيزية جنوب بغداد). والمعتقل في معسكر لتدريب الجنود الفلسطينيين التابعين لمنظمة التحرير، وفيه سجن خاص، أما سبب اعتقال أبي العبد كما يروي هو، ويؤكده معارف له، أنه كان يعمل سفيرًا لدولة فلسطين في أكثر من دولة، بعد أن كان آمر مدفعية الجيش الفلسطيني، فقد مثَّل فلسطين في إيران ومصر وبعدها ليبيا، وقد التقى هناك بالشاعر مظفر النواب وصار من أصدقاء معمر القذافي، الذي قدَّم له دعمًا ماليًا باسمه الشخصي وليس لمنظمة التحرير الفلسطينية التي كان القذافي قد منحها مبلغًا آخر، وخشية أن يستولي ياسر عرفات على المبلغ الممنوح لوليد صوالحة، فقد طلب من القذافي أن يحوِّله بحساب اسم مستعار اتفقا عليه ورتبَّا الأمر مع المصرف الذي تعاملا معه.

وهكذا سارت الأمور، حتى اكتشف أبو عمار سر المبلغ فاستدعى وليدًا، وجلبه معه على طائرته الخاصة إلى بغداد، وقد واجهه في قصره في الجادرية وحدثت بينهما مشادة كلامية، بل تجاوزت الكلام، مما أدَّى إلى إصدار ياسر عرفات

أمر اعتقال فوري لوليد صوالحة في معسكر العزيزة، ولا يطلق سراحه إلا بعد أن يتنازل عن المبلغ.

هذه رواية الشاعر وليد صوالحة... أما الرواية الأخرى التي تتحدث بها منظمة التحرير الفلسطينية فتقول إنه استولى على مبلغ كان مُخصَّصًا لصفقة للسلاح، وادعى أن السفينة التي أقلت السلاح قد غرقت في البحر.

أنا شخصيًا كنتُ مقتنعًا بما رواه أبو العبد، الذي تكرَّر لقائي به، لقراءة قصائده ومراجعتها، وبعد ذلك كتبت مقدمة طويلة لها، وتم تقديمها إلى قسم الرقابة في وزارة الثقافة والإعلام لأخذ الموافقة على طباعتها، علمًا أنه تحمل نفقاتها كافة، وكانت في حينها ٣٠٠ دولار، وكان هذا المبلغ ليس قليلاً أيام الحصار.

أما زياراته لمركز مدينة بغداد ولقائي به فقد كانت تحت ذريعة المراجعة الطبية، وكان متفقًا مع مرافقيه من جهاز المخابرات العراقية على عدم البوح بسر لقاءاته ونيته طباعة مجموعة شعرية كان عنوانها «ويبقى الرهان» التي تمَّ احالتها للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد، الذي اتصل بي وطلب مني لقاء الشاعر.

وفي إحدى زيارات أبي العبد أخذته لبيت عبد الرزاق الواقع في حي القادسية على نهر دجلة، وقد صعدنا إلى مكتبه الفخم الذي يحتوي على مائدة بليارد ومكتبة فخمة ومكتب أحد جدرانه من زجاج يطل على نهر دجلة... رحَّب بنا أبو

خالد وضيَّفنا خير ضيافة وأثنى على مجموعة الشاعر وليد صوالحة التي كانت من الشعر ذي الشطرين (العمودي) الذي ينحاز إليه، وقد شاكسني بالقول: (مو مثل بعض الناس، رايحين لقصيدة النثر).

المهم خرجنا مطمئنين منه على إجازة المجموعة التي تسلمناها موقعة من الوزارة في اليوم الثاني، وبدأت رحلة طباعتها.

واظب أبو العبد على الحضور إلى مركز بغداد، قادمًا من معسكر العزيزية وكنا نلتقي أنا وهو مع جماعة الحراسة الذين يرافقونه، حيث نجلس في كافيتريا فندق فلسطين ميريديان، نجلس أنا وهو على طاولة، فيما يجلس مرافقوه في مكان منعزل عنا، وهم في الغالب ثلاثة شباب، كنا نقرأ القصائد الجديدة، من أجل إعداد مجموعة شعرية أخرى نختارها من كم الدفاتر الصغيرة التي كان يحملها معه. وفي زياراته الأخيرة بدأ يحضر مع السائق الذي يأتي به فقط، بدون أفراد الحراسة.

وفي أحد الأيام الممطرة، عند المساء، وحين كنا جالسين كعادتنا، اقتحم عزلتنا رجلان أنيقان يرتديان البدلات الحديثة، منظرهما يفصح عن هوية كل منهما، ألقيا السلام بتهذيب، وجلسا بيننا، وبدون مقدمات قال أحدهما: (أنا العقيد فلان، وهذا زميلي المقدم فلان، من جهاز المخابرات، جئنا لنصطحب الأستاذ وليد صوالحة بسبب تبليغ منظمته عنه، لا نريد الأمور تأخذ شيئًا من الضوضاء)... ثم وجَّه

كلامه لي: (أما أنت أستاذ منذر فنحن نعرفك ونُكن لكتاباتك الاحترام والتقدير، فأرجو أن تغادر المكان بهدوء، وألا تتحدث لأحد عمّا حصل الآن).

ابتسم أبو العبد برباطة جأش، وقال: (أنا حاضر، هيا بنا، ولكن اسمحوا لي أن أتحدث بشكل خاص مع الأستاذ منذر). ثم أخذني جانبًا وقال: (لا تُسلِّم مجموعتي الشعرية التي ستنجز طباعتها لأي شخص، حتى لو جاءتك ورقة مني عليها توقيعي، لأنه حتمًا سيكون تحت ضغط منهم). ثم تعانقنا، وقلتُ له: (اطمئن، أنا واثق أننا سنلتقي قريبًا). ابتسم بوجع، وصعد السيارة مع الشخصين، وأعادني سائقه إلى المكتب الذي أقيم فيه، حيث اتصلتُ بالسيدة حكمية جرار وقلتُ لها: (لقد أُلقي القبض على أبي العبد). فأطلقتْ كلمة (لا) بحزن واضح من صوتها، وقالت: (أرجو حضورك عندي كي تشرح لي ما حصل، ونضع خطة عمل للتعامل مع الوضع الجديد لأنني أعرف «جماعتنا»).

خرجتُ من المكتب تحت المطر، واستأجرتُ سيارة وذهبت إلى بيتها وشرحت لها ما حصل، قالت: (عليك الحذر يا منذر، وحاول أن تُخفي المجموعة الشعرية عند تسلّمها من المطبعة، ولا تخبر أي كائن في العالم بمكان طباعتها، فالأمر الآن أخذ مسارًا آخر، ومجموعة وليد، معظم قصائدها تتحدث بوجع عن معاناته مع «جماعتنا»).

بعد أيام، جلبتُ نسخ المجموعة وكانت خمسمائة نسخة، وأخفيتها في مكان مهمل، واتصلتُ بالسيدة حكمية، قالت:

(حسنًا فعلت إذ أخفيتها).

وبعد يومين من تسلمي لها، جاءني شابان تبينتُ من لهجتهما أنهما فلسطينيان، قال أحدهما:

- حضرتك الأستاذ منذر.

- نعم، تفضل.

- هناك مجموعة شعرية طبعتها داركم للشاعر وليد صوالحة، عنوانها «ويبقى الرهان».

- نعم طبعنا هذه المجموعة.

- أين هي؟

- عند المؤلف.

- هذا الكلام غير صحيح، وأنا أُريد شراء جميع النسخ بالسعر الذي تحدده أنت.

عندها نهضتُ من مكاني وقلتُ لهما بانفعال:

- اخرجا من المكتب فورًا.

- وإذا لم نخرج؟

- أُخرجكما بطريقتي الخاصة.

نظرا لبعضهما، وخرجا من المكتب.

اتصلتُ فورًا بالسيدة حكمية، قالت: (تأكد من مغادرتهما المكان، واجلب سيارة ومعك النسخ كاملة إلى بيتي).

فعلاً خرجتُ وتفحصتُ المكان، وحصلت على سيارة أجرة، حملت فيها صندوقي النسخ، ومضينا إلى بيت أم

لؤي. أخفينا الصندوقين، ورفعتْ أم لؤي سماعة الهاتف واتصلت بالسفير الفلسطيني «ع. أ» قالت له: (اسمعني جيدًا، ابعد كلابك عني، وإلا أنت تعرف أن الشهيد أبا لؤي لم يترك لي سوى مسدسه الشخصي، وأنا أجيد استعماله، أما المجموعة الشعرية للمناضل وليد صوالحة فقد نُقِلت من المكتب إلى مكان آخر، لن تستطيع معرفته). ثم أغلقت الخط، وجلست على الأريكة، وبدا عليها التعب والحيرة.

من المؤكد أن خبر صدور المجموعة ومحاولة الاستحواذ عليها من قبل جهة معنية بها قد وصل إلى وليد صوالحة في معتقله، فقد كانت له علاقات طيبة مع عدد من الضباط والجنود في المعسكر، وبالذات الضابط اليمني طه حسن الذي صار صديقًا مخلصًا له، لذلك أرسل شخصًا أمينًا من قبله ليبلغنا رسالة أن نسلِّم نسخ المجموعة إلى رجل يعمل في شارع المتنبي، كان أبو العبد قد تعرّف عليه من خلال قريب له يعمل في المنظمة. وفعلاً حضر الرجل الكيّس المحترم السيد غانم، الذي أصبحت ابنته زوجة لوليد وأُمًّا لابنه وائل وابنته ورد، تسلم معظم النسخ ليخفيها بعيدًا عن أنظار المتربصين وليخلص بيت حكمية جرار وأبنائها الصغار من موقف لا تحسد عليه، مع أنها كانت تصر على إطلاق المجموعة وعدم بقائها في حالة الاخفاء، عندها قلتُ لها: (خطرتْ لي فكرة ربما تنجح). قالت: (افعل ما تشاء من أجل أن نطلق المجموعة). قلت لها: (ربما في فكرتي إطلاق المجموعة وتحرير صاحبها معًا، وأرجو منك أن توافقيني على

الفكرة، وهي أن نحمل خمس نسخ بمظروف ونقدمها هدية باسم الشاعر، لرئيس الدولة صدام حسين). نظرتْ إلي وقالت: (والله فكرة رائعة، ولا أظن أن الشاعر يرفضها).

وهكذا أخذتُ النسخ الخمس وكتبتُ إهداءً على المظروف باسم الشاعر والمناضل الفلسطيني وليد صوالحة، وذهبت به إلى القصر الجمهوري، وسلَّمته إلى الاستعلامات، ثم عدتُ منتظرًا النتائج التي سرعان ما تحققت، حيث أعلن نبأ الإهداء في نشرة اخبار الساعة العاشرة ليلا، وبأسلوب احتفالي من قبل مقدم النشرة، وكان هو الخبر الأول، الذي أثار ضجة بين المعنيين، وكان صدام حسين قد أوصى بتكريم الشاعر والسؤال عنه، وبعد أن علم انه معتقل أصدر أمرًا بإطلاق سراحه فورًا مع تكليف طارق عزيز شخصيًا بمتابعة أوضاعه وتذليل كل العقبات التي يتعرض إليها.

وهكذا أُطلق سراحه، وجاءنا بين مصدق ومكذب للخبر، وحين علم بفكرتي قال لي: (لقد أنقذتَ حياتي بهذه الخطوة الذكية).

وبدأت إجراءات ترتيب وضعه، واستحصاله على جواز سفر، لأنه حين دخل مع الرئيس ياسر عرفات، لم يؤشر دخوله باعتباره مرافقًا لرئيس دولة.

وفي الفترة التي كان فيها ينتظر انهاء هذه الإجراءات أقام في بيت السيد غانم بعد أن تزوج ابنته، وهي إنسانة رائعة مثقفة ملتزمة ذات شخصية قوية، وكنت في هذه الفترة

على تواصل دائم معه، حتى حصل على الجواز وموافقة السفر، كي يتابع ثروته الكبيرة التي تقتضي منه مراجعات قانونية ومحاكم.

وفي سفره ضاعت أخباره عني، سوى علمي بأنه يقيم في عمان وإنه ينتظر انفراج أموره، إذ لم تكن وسائل التواصل الاجتماعي متاحة في حينها.

• كاظم غيلان

الشاعر والناقد، وقبلهما الإنسان النبيل «كاظم غيلان»، كان مقيمًا في غرفة في فندق «الأردن» في ساحة الميدان، وهو أكثر تواضعًا من فندق العش الذهبي القريب منه والذي أقيم فيه أنا.

كان كاظم يعمل على آلة الطابعة التقليدية في مكتب للاستنساخ والطباعة في الباب المُعظَّم، وكان مثابة وملجأ لعدد من الأدباء والنقاد وبعض الفنانين، وكان يحمل أخر أخبار أدباء ومثقفي المنفى، وخصوصًا صديقه الشاعر الكبير مظفر النواب الذي كان يتواصل معه بسرّية تامة.

وكانت لكاظم مواقف في غاية الشجاعة والنبل مع الجميع، وكنا نتزاور أنا وهو، وخصوصًا بعد هجرة زميله في غرفة الفندق الشاعر المبدع محمد تركي النصار إلى عمّان.

وفي تلك الأيام المريرة كتبت عنه قصيدة نشرتها في أكثر من جهة إعلامية بعنوان (لسنا موتى):

لسنا موتى

(إلى كاظم غيلان)

عبثًا هذا الهديل
مسراتنا أقبية
ووقتنا رماد
نمضي ـ كل غروب ـ إلى النهر
نحمل نعوش أيامنا
نشذب دموعنا
ونكفن القلق.

••••

لسنا موتى
لنا...
بكاؤنا، نطيل به العناق مع الأضاحي
نضمد تقاويمنا
وخيباتنا
وشرفات حبيباتنا
و... تحت خيمة عنكبوت
لنا أن نتعانق

ونفتح المدن بالقبلات.

••••

نعود إلى مصحاتنا
نضيء الندم
ونتلو المرثيات.

••••

أعمارنا... زوارق ورقية
دفعتها يد طفل عابث إلى الموج
وطية... طية
يأخذ البحر أحلامنا
ويلفها بالنشيج
أعمارنا
ورق... ذابل
داهم الشمس بالخرائب
وانزوى
يضرم الانكسار
ويرتق أسماءنا
التي طرزتها الشظايا..

••••

ظلّ كاظم غيلان عصاميًّا صادقًا، لم يتنازل يومًا عن ثوابته الإنسانية والفكرية، ولم تثنه الحياة عن نُبله، وبقي ذلك المبدع المكافح، الذي يعمل طول النهار من أجل ألا يحتاج نزول قلمه الشريف إلى مستنقع اضطر غيره من المثقفين إلى النزول فيه... وظلّ معي سندًا حقيقيًا وأخًا وفيًّا.

كان يكتب القصيدة الشعبية وقصيدة النثر، كما يمارس النقد الأدبي والفني بكل حِرَفيّة وكفاءة وثقافة رصينة، ويتمتع بصداقات طيبة مع أمهر المطربين الذين يطلبون رأيه دائمًا بأعمالهم الجديدة.

• من مفارقات جيل الثمانينات الشعري أيام (الزمن الجميل)

- أحد الشعراء كان يتمشى معي في ساحة الميدان، وشاهدنا برميلاً للقمامة، وكانت فيه بقايا سندويتش «فلافل»، تناولها صديقي الشاعر، ونفض التراب والأوساخ عنها وأكلها بنهم، قلتُ له: (لماذا يا فلان؟). قال: (هي وجبتي الوحيدة هذا اليوم).

- ثلاثة من الأدباء الصعاليك، بعد أن أنهوا جلستهم البائسة على شاطئ نهر دجلة، لم يجدوا مكانًا للمبيت غير ساحة كراج العلاوي، وبعد أن رقدوا، جاء كلب سائب يتشمم أحدهم، فسقط الأمر بيدهم، وانهالوا عليه ضربًا خفيفًا لا يخلو من مزاح، وقالوا له: (كيف غافلتنا وأكلت الكباب؟ وقد كشف فضيحتك هذا الكلب السائب).

- أحد الأدباء كان يجلس في مقهى حسن عجمي، ويحمل معه كمية من «بذور عين الشمس» الرخيصة، وكان يتناول الحبات بنهم، وحين طلب منه أحد الأصدقاء قليلاً من هذه البذور، احتدَّ وقال له بعصبية: (إنه وجبة الغداء لي، فلا تنافسني عليها).

- كان النبيل يوسف الزبيدي لا يسمح لبعض الأدباء من المبيت في حديقة نادي الأدباء، وفي إحدى الليالي، وهو يبحث بين العشب بين المختفين فيه، اصطدم بالجسم الضئيل لجان دمو، الذي قال له: (شتريد مني؟... اعتبرني قطة نائمة على العشب... يا......)

وعشرات الحكايات الطريفة الموجعة التي تدلُّ على البؤس الذي عاشه الأدباء آنذاك.

• أسمال «جان دمو»

في هذه الأثناء فكَّرنا بطباعة منجز الشاعر المثير للجدل «جان دمو»، وقد أخبرتُه بالأمر، وقال: (سأزوركم في الدار ونتحدث).

وفعلاً في اليوم التالي جاء به الشاعر حسين علي يونس إلى مقر الدار، وجلست معه لنتفق... في البداية أطلق قاموس شتائمه علينا جميعًا، ثم قال: (لدي شروط تعجيزية).

وبعد الاخذ والرد بين الجدية والمزاح اتفقنا على جمع قصائده مع كتابة مقدمة لها، والذي تحمل العبء الأكبر في جمع القصائد الشاعر حسين علي يونس، أما أنا فطلبتُ من جان أن يقيم معي في المكتب وأن أوفِّر له كل ما يريد على أن يكتب شيئًا جديدًا، وقد تطوَّع بمرافقته والبقاء معه حسين علي يونس، وهذا الأمر دام يومًا واحدًا انقضى بشق الأنفس لأن جان لا يريد أن يخضع لأي شيء يمس حريته وسلوكه.

وتحت هذا الظرف كتب قصيدة، أشار إلى أنها كُتِبتْ في دار الأمد، وكان قد أسمى ديوانه (أسمال الملوك) وكانت لديه رغبة أن يكتب مقدمة الديوان الناقد حاتم الصكر، ولكن في حينها لم أحصل عليه كي أُبلِّغه رغبة جان، وكتبتُ أنا مقدمة عامة عن ظرف جمع الديوان مع شيء عن تجربته هو وأبناء جيله، وكانت المقدمة باسم الناشر.

أرسلنا المخطوطة للرقابة، فاعترضوا على العنوان ليصبح (أسمال) فقط، كما اعترضوا على قصيدة عنوانها «مياه سعدي يوسف»، فحذفنا «يوسف» ليبقى العنوان «مياه سعدي».

وهكذا صدر الديوان، وأقام الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق في حينها جلسة له، وكانت مليئة بالمفارقات، فقد تخلف عن الحضور، وذهب الشاعر عريان السيد خلف بسيارته إلى مقره اليومي (حانة روافد دجلة) في ساحة النصر وسط بغداد ليأتي به وتقام الجلسة التي قرأ فيها قصائده الشاعر حميد قاسم، وكانت من أكثر جلسات اتحاد الأدباء طرافة.

بعد مجموعة «أسمال لـ«جان دمو»، بدأت دار الأمد تعاني من العامل الاقتصادي، بسبب الوضع العام، وعدم تعاون الجهات الثقافية معها، ومع هذا التحدي فقد تمت طباعة أعمال مهمة، ولكن لم يدم الأمر طويلاً، لذلك اضطرت السيدة حكمية جرار إلى إغلاق الدار والسفر مع عائلتها للإقامة في عمَّان، أما كميات الكُتب التي بقيت في مخزن الدار فقد سُلِّمت للشاعر منصور عبد الناصر لبيعها في مكتبته (على التصريف). لتنتهي أجمل تجربة ثقافية مغامرة حدثت في سنوات حصار التسعينات.

أمَّا فاضل جواد فقد افتتح دار نشر صغيرة لطباعة الكتب ذات الأشكال الغريبة والتقنيات التي اعتمد فيها على الاستنساخ والسكرين وبقايا ورق المطابع.

• حل منتدى الأدباء الشباب

منتدى الأدباء الشباب، حسب معلوماتي؛ تأسَّس عام ١٩٨٢، وقد بادر الشاعر لؤي حقي مع مجموعة من الشعراء الشباب آنذاك والذين كان أغلبهم من طلاب الكليات في بغداد بتأسيسه، واتخذ من بيت كبير في الطالبية مقرًّا له. وبعد مخاضات عديدة، ترأس مجلس إدارته الشاعر لؤي حقي، ومعه الشعراء جواد الحطاب وأديب كمال الدين وعبد الرزاق الربيعي وفضل خلف جبر وأمل الجبوري وعلي الشلاه، مع شعراء آخرين.

وتمَّ إصدار مجلة أسفار عنه، بهيئة تحرير ترأسها الشاعر لؤي حقي، وكان مدير التحرير فيها الشاعر جواد الحطاب، وقد بدت المجلة أنيقة رصينة ذات طباعة فاخرة، ونشرت نصوصًا جديدة لكبار الأدباء العراقيين.

وبعد انتقال الشاعر عدنان الصائغ من جبهات الحرب إلى مجلة «حُرَّاس الوطن» انضم للمنتدى أيضًا. وقد قام المنتدى بنشاطات كبيرة مهمة، حتى حصلت متغيرات خرج على أثرها الشاعر لؤي حقي، وتسلَّم مكانه الشاعر علي الشلاه، الذي أحدث بعض التغييرات وضم لإدارة المنتدى أدباء آخرين. وحدث أن اقتحم عليه الشاعر لؤي حقي مكتبه وضربه لأنه أخذ مكانه.

وبعدها تسلّم رئاسة المنتدى الشاعر عدنان الصائغ، وفي هذه الفترة تغيرت مجلة أسفار وبدأت تنشر للأدباء الشباب وأصدرت عددًا ضخمًا ضمَّ كمًّا كبيرًا من شعراء الثمانينات.

وبعد التسعينات حصلت متغيرات في المنتدى، حيث سافر علي الشلاه للدراسة في عمَّان، وسافر الشعراء عدنان الصائغ وعبد الرزاق الربيعي وفضل خلف جبر للعمل خارج الوطن، ليُكلَّف الشاعر رعد بندر بالإشراف عليه، وفتح باب الترشيح لرئاسته وعضوية المكتب التنفيذي فيه، وكنت أرى في نفسي قبولاً لدى زملائي من الأدباء الشباب، لذلك قَرَّرتُ الترشُّح، ولكن فوجئت أن الشاعر خالد مطلك يبلغني بأن الموافقة الأمنية على ترشيحي لم تحصل من وزارة الداخلية، لذلك لم أشترك في الانتخابات التي جرت في الطالبية وفاز فيها الشاعر خالد مطلك رئيسًا مع عدد من الأدباء الشباب.

وبعد مدة تمَّ استدعائي للعمل في مجلة أسفار التي تصدر عن المنتدى بصفة مصحح، ثم رشحني الشاعر خالد مطلك عضوًا في المكتب التنفيذي بعد انسحاب بعض الأعضاء، وقد أصدرتْ المجلة مجموعة شعرية للشاعر محمد تركي النصار بعنوان (السائر من الأيام) عام ١٩٩٣، وأصدر بعده الشاعر عبد الزهرة زكي مجموعته التي حملت عنوان (اليد تكتشف) التي صمَّم فاضل جواد غلافًا جميلاً لها طبعه بالسكرين.

في هذه الأثناء حصل أمر في غاية الأهمية والخطورة، حيث حضر الشاعر لؤي حقي في أحد الأيام إلى المنتدى،

وقد استقبله أحد الزملاء الذين لم يكن على معرفة به، مما حدا بلؤي حقي أن يتجاوز عليه ويصفعه ثم يخرج، بعد أن قال له: (أنا الذي أسَّستُ منتدى الأدباء الشباب).

وصلت هذه الحادثة إلى رئيس اللجنة الأولمبية عدي صدام حسين الذي كان يضمر كراهية عجيبة للشاعر لؤي حقي، حيث أمر عدي بإغلاق منتدى الأدباء الشباب وحل المكتب التنفيذي والحضور لمقابلته، مع اعتبار جميع أعضاء الهيئة العامة للمنتدى أعضاء في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

وهكذا ذهبنا جميعًا لمقر اللجنة الأولمبية، كنا مع خالد مطلك أنا وسعد جاسم وعبد الأمير جرص ونصيف الناصري وعبد الخالق كيطان واسماعيل عيسى بكر، ولا اتذكر أسماء زملائي الآخرين، وكان على يمين عدي عباس الجنابي وعلى يساره الشاعر وسام هاشم، وبدأ خالد مطلك بالتعريف بنا والحديث مع عدي عن طبيعة منتدى الأدباء الشباب، بعدها تحدث عدي وقال: (كيف يدخل عليكم..... «قال كلمة نابية عنه»، ويضرب شخصًا وتتركونه؟). أجاب خالد (لم يكن أحد منا موجودًا، أو سمع بما حصل). فقاطعه عدي قائلاً: (أنا هنا وسمعت بالحادث). فقال له خالد: (أنت عدي صدام حسين كيف لا تعرف؟).

بعدها بدأنا بالحديث واحدًا واحدًا، وكان الأسلوب الغالب على الحديث هو العفوية والتلقائية، مع ملاحظة تواضع ملابسنا التي نرتديها وهي من البالات الرخيصة، كما أن

بعض زملائنا قدَّم ما يشبه الشكوى على تعامل الصفحات الثقافية في الصحف الرسمية مع الأدباء الشباب، عندها عرف عدي مشكلتنا، وقال: (أنتم تحتاجون إلى صماخ كبير... وأنا هذا الصماخ).

أدَّى هذا الأمر إلى متغيرات عديدة مهمة، أولها إجراء انتخابات فورية لاختيار قيادة جديدة للاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، وبعدها تسليم الصفحات الثقافية في كل الصحف لمحررين شباب، على ألا ترتبط هذه الصفحات بإدارات الصحف بل باللجنة الأولمبية ويشرف عليها عباس الجنابي.

بعد اللقاء بابن الرئيس وقراره المزاجي المنفعل غير المدروس الذي اتخذه بحل منتدى الأدباء الشباب ودمج أعضائه الذين لا يمتلك معظمهم أهلية القبول في اتحاد الأدباء، حدث احتلال حقيقي لاتحاد الأدباء وغدت الفوضى وغياب تطبيق القانون واللوائح هي السائدة. وقد ترك قادة الاتحاد حينها الأمر خشية غضب ابن الرئيس والنتائج المترتبة على هذا الغضب الذي يخشاه الجميع.

بدأ عباس الجنابي بقيادة المرحلة اللاحقة التي بدأت بإجراء انتخابات مضحكة في نقابة المهندسين الزراعيين، حيث شارك فيها عدد كبير من الذين انضموا وفق «القرار المزاجي» للاتحاد، وتم وضع قائمة من قبل المقربين من ابن الرئيس، ولن أذكر اسماءهم هنا لاعتبارات عديدة، المهم وزعت القائمة على المشاركين، وعلى غير عادة انتخابات

الاتحاد فقد تمَّ الترشيح مباشرة للرئاسة مع ترشيح آخر للمجلس المركزي وهو أمر غير معمول به وفق قوانين الاتحاد التي يتم فيها انتخاب ثلاثين عضوًا ينتخبون من بينهم رئيسًا وأمينًا عامًا ومكتبًا تنفيذيًا، وعلى ما أتذكر فقد ترشَّح للرئاسة ثلاثة من الأدباء، أو أربعة وهم: رعد بندر (المطلوب للمرحلة الجديدة) وكزار حنتوش وعبد الستار ناصر وخزعل الماجدي. أما أنا شخصيًا وبعد رغبتي بالترشّح؛ أخبرني الصديق وارد بدر السالم أن اسمي غير موجود مع القائمة الموزعة بينهم، لذلك لا يمكن أن افوز، فالذي يقرأ أوراق الاقتراع عباس الجنابي، وهو يقرأ ما يرغب لا ما هو مكتوب. لذلك فاز الذين ارادهم عباس الجنابي وتسلموا زمام الأمور، فكان الأمين العام هو الشاعر وسام هاشم الذي لم يبقَ طويلاً في موقعه هذا، حيث تسلَّم الموقع الشاعر الراحل رعد عبد القادر، مع مجموعة من الأدباء، بعد أن تمَّ شطر الاتحاد خلافًا سافرًا للقوانين، ليتحول إلى اتحادين هما اتحاد الأدباء ورئيسه رعد بندر، واتحاد الكتاب ورئيسه الدكتور عماد عبد السلام رؤوف.

وهكذا أخذت الأمور والممارسات تسير بأسلوب ارتجالي، ثم أعيدت الانتخابات بعد أن وصل اللغط على مهزلتها إلى مسامع ابن الرئيس، وتم التنافس من جديد، فكنت أنا من الفائزين هذه المرة، مع الشاعر رعد بندر الذي ظل رئيسًا، فيما تسلم موقع الأمين العام الشاعر جواد الحطاب، وتألف المجلس المركزي الذي هو يقود الاتحاد تنفيذيًا من الشعراء:

هادي ياسين علي وخالد مطلك وأمين جياد وسعد جاسم والدكتور علي الياسري والقاص وارد بدر السالم وأنا.

وتمَّ تسليمي أمانة الشؤون المالية والإدارية التي رفضتها، وبعد شهرين أو ثلاثة تسلمت أمانة الشؤون الداخلية، فيما تسلم الشاعر هادي ياسين علي أمانة الشؤون الثقافية.

وبعد مدة تمَّ ترشيحي للعمل في جريدة القادسية بديلاً للمترجم أحمد حميد، بينما تسلم صفحة جريدة الثورة الشاعر جواد الحطاب، وصفحة جريدة العراق تسلمها الشاعر سعد جاسم، فيما تسلم الشاعر خالد مطلك صفحة جريدة الجمهورية.

وفي هذه المرحلة حدث شرخ حقيقي بيننا نحن الذين جئنا بقرار مزاجي من ابن الرئيس، وبين قيادة الاتحاد وأيضًا الأدباء ذوي التاريخ المعروف والبصمات الواضحة في المشهد الثقافي، ورغم أن هذا التحول كان لا يمت للقوانين المعمول بها بصلة، ويحمل آثارًا سلبية، إلا أن له حسناته أيضًا، حيث فتح الباب واسعًا للأدباء الشباب وصاروا هم من يُديرون دفة الثقافة من خلال الهيمنة على الصفحات الثقافية والمؤسسات الإعلامية.

وفي هذه المرحلة أيضًا تمَّ تأسيس التجمع الثقافي في العراق التابع لعدي صدام حسين والذي يضم كل النقابات والاتحادات في العراق، وقد تمَّ اختيار مجلس قيادي له تمثل برؤساء الاتحادات والنقابات.

ومن المواقف الثقافية التي أعتز بها تقديمي لعدد من شعراء ذي قار المبدعين في الصفحة الثقافية لجريدة العراق يوم ٢٠ تشرين الثاني عام ١٩٩٣ وقد جاء في التقديم:

قصائد من ذي قار

تقديم: منذر عبد الحر

لا أحسب أن في تقديمي القصائد التالية أنني أكتشف شعراءً جددًا من ذي قار «الشاعرة الكبيرة» فإن إشارة إلى الشعر وبالذات ما لم يُقرأ لشعرائه من قبل، يعني التنبيه للآخر كونه غائبًا عن الساحة الإعلامية التي لا تُمثِّل -دائمًا- وجود الأفضل فيها، ولا يعني هذا أيضًا أن النصوص التي بين يديّ هي نصوص خالية من العيوب الفنية، إلا أنها تعلن عن أصوات ستُقدِّم الكثير إذا ما دخلت إلى محكّ الحوار والتأشير والنقد والإضاءة والاستدلال وغير ذلك.

ولأنني لم أقرأ سابقًا لشعراء هذه النصوص، ربما لم ينشروا نتاجاتهم هم، أو لعدم متابعتي الشخصية لما نشروا، سأقول رأيًا لا يخلو من الفحص النقدي والتنبيه إلى ما ذهبتْ إليه النصوص آمل أن تكون هذه النصوص نافذة لتجارب أخرى لشعراء نعتز بدخولهم ساحة «الاعلام الشعري» بقوة من يمتلك صدقه الفني في المقام الأول:

- في قصائد الشاعر «كمال السعدون» غنائية مقرونة بالميل إلى تجسيد فكرة صوريّة دائمًا تأخذ جانب التلميح إلى محنة ما، يرصدها الشاعر بلغة تحاول الوثوب إلى الترغيب فتسقط - أحيانًا - في مجانية تجعلها غائبة عن المعنى، ويتضح ذلك في قصيدته الأولى «عن التراحل»، بينما جاءت قصيدتاه الأخريان مركزتين حافظتا على نسق خطابي واحد.

- ويختفي الشاعر «علي مجبل الخفاجي» خلف أقنعة إيقاعية موفقة تتجمل بلغة رشيقة، تجعل قصيدته، تمتلك من الصفاء ما يجعلها قريبة إلى المناجاة الشعرية الأخّاذة، لكنه ينسى جبروت «عروض الفراهيدي» فيخرج قليلاً عنها، علمًا أن هذا الخروج بالإمكان إصلاحه بتصحيح بسيط في تركيب مفردة أو مفردتين، كذلك لا تخفت الغنائية في قصائد الشاعر علي الخفاجي التي يمكننا أن نطلق عليها «قصائد النثر الغنائية». وفي هذا التوجه يمكننا أن نقرأ للشاعر نصوصًا أخرى تتبنى هذا الجانب المهم من جوانب التناول الشعري الجديد.

- يتشابه الشاعران «قيصر خلف اللامي» و«كريم شينيار فجر» في قصائدهما القصيرة التي تعلن عن اصطياد رؤى شعرية تميل إلى الاكتشاف المباشر للأشياء ومعالجتها شعريًا، وهذا التوجه الشعري الصعب الذي ساد في الفترة الأخيرة، يجرّ الشاعر إلى الاستنباط والبحث والتنقيب، لذلك لا نرى كل القصائد القصيرة ذات وهج واحد، لأنها تغرق

أحيانًا وهي تبحث عن ملمح آخر جديد... وللشاعر «قيصر خلف اللامي» قصائد طويلة لي معها وقفة نقدية أخرى لاحقة.

- قصيدة «العراء المتفوّق» للشاعر «أجود مجبل» والتي قرأتُها أكثر من مرة، تختلف عن القصائد الأخرى، وهي من قصائد النثر الجديدة الناضجة التي تشير إلى أن الشاعر قد هضم تجربة قصيدة النثر وتخلَّص من عيوبها الفنية و- مجانياتها - ولم يمِل إلى التعبيرات الجاهزة، وبهذا فقد حقق الشاعر «أجود مجبل» نصًّا متقدّمًا، وأتمنى أن يطلعنا مستقبلاً على نصوص أخرى ستكون بالتأكيد من النصوص الجديدة والمهمة في تجربة قصيدة النثر العراقية.

جريدة العراق / ١٣ كانون الثاني ١٩٩٥

••••

حملت سنوات التسعينات بسبب الوضع الاجتماعي الذي يعيشه الأدباء الشباب، والاحباط الدائم الذي يرافقهم، تطلعات وأحلامًا وتمردًا على كل شيء تقليدي، لذلك نشأت تجمعات وجماعات أخذت تسميات غريبة، وأتذكر أننا؛ أنا وكاظم النصار؛ الذي بدأ نشاطه الثقافي شاعرًا، وعبد الخالق كيطان ونصيف الناصري، بالتعاون مع الدكتور شفيق

المهدي الذي كان يعمل أستاذًا في كلية الفنون الجميلة، قد أنشأنا تجمعًا أسميناه: «تحت المنبر» قدَّمنا فيه عددًا من الجلسات الحيوية في كلية الفنون الجميلة، لكنه تفرَّق بسبب انشغال كل منا بمشروعه الشخصي... وأيضًا بفرصة العمل التي توفرت له.

وفي منتصف التسعينات نشأت بعض التجمعات الأدبية منها تجمع الشعراء الشباب الذين كانوا يجتمعون بشكل دوري مع الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد، وهناك جماعة شعراء الرصافة،

وهناك شعراء تخصصوا بكتابة القصائد الإعلامية وقصائد المديح، وهم لم يأخذوا الشعر مشروعًا فنيًا، بل كان بابًا للارتزاق والظهور تحت الضوء.

••••

- جيل المصححين

من أطرف المقالات التي كُتِبت عن جيل الثمانينات الشعري، مقالة بعنوان «جيل المصححين» للناقد والكاتب حمزة مصطفى، وهي مقالة رصد فيها الناقد المواقع التي يعمل فيها الشعراء الثمانينيون، حيث قال بما معناه إن الشعراء الستينيين يعملون رؤوساء تحرير، وشعراء السبعينات يعملون محررين أو رؤساء أقسام، أما شعراء

الثمانينات فيعملون في أقسام التصحيح وقد نشهد جيل التسعينات وهم يعملون في الاستعلامات!

المقال طريف وفيه شيء كبير من الواقعية، فقد بتنا جميعًا في بداية التسعينات نعمل في أقسام التصحيح في الصحف والمجلات.

••••

- الصحافة الأسبوعية

بدأت عام ١٩٩٤ موجة الصحافة الأسبوعية التي تبنت تعضيدها اللجنة الأولمبية، وكان اسم ابن الرئيس على رأس كل صحيفة ومجلة تصدر، وأبرز هذه الصحف: نبض الشباب، والمصور العربي والزمن، إضافة إلى صحف المحافظات، مع مجلة الشباب وغيرها مما لا أتذكر أسماءها.

وقد ولَّدتْ هذه المطبوعات حرية ساهم في تحقيقها مجموعة من الأدباء والنقاد، ومنهم ناظم السعود الذي بدأ يرصد ظاهر أدبية ويجري حوارات مشاكسة، أما صحيفتا بلبل والبعث الرياضي فقد بقيتا بخصوصية عائديتها المباشرة لعدي، وتم تكلف الأديب عبد الستار ناصر للإشراف على صفحة بابل الثقافية ومن بعده الشاعر محمد النصار وتوالت أسماء أخرى بعده.

••••

وهناك شعراء تسعينيون كانوا متاخمين للتجربة الثمانينية وأبرز هؤلاء الشعراء:

سلمان داود محمد

عباس اليوسفي

فرج الحطّاب

سليمان جوني

فاضل الخياط

غريب اسكندر

يوسف اسكندر

عبد السادة البصري

عبد الأمير جرص

عبد الخالق كيطان

سلام دواي

كولالة نوري

خالد مطلك

محمد بدر الدين

كريم جخيور

نجاة عبد الله

علي سعدون

خالد الخفاجي

ماجد عدام

ماجد موجد

صباح عنوز

عبد نور داود

فليحة حسن

عدي ريسان

وليد الصراف

أفضل فاضل العاني

نضال القاضي

رعد زامل

••••

وعليه نستنتج أن جيل الثمانينات بصخبه وهمومه هو جيل الانفتاح والتشظي، وهو عصيّ على الإحاطة بسبب توسع خريطته، وصعوبة احتوائه، لأنه يضم توجهات متنوعة، لكنه عمل بشراسة وحماس في ميدان المغامرة الذي لم يكن آمنًا تمامًا.

••••

من الأمور اللافتة في تجربة جيل الثمانينات الشعري، أن عددًا منهم بدأ النشر في مجلات الخليج العربي، وعموم هذه المجلات لا تأبه بالمستوى الفني للنصوص المنشورة فيها، فهناك من كان يكتب القصائد ذات الشكل العمودي «الشطرين» لكنها تخلو من الأوزان السليمة وحتى القوافي الصحيحة، لذلك وبعد نشرهم عشرات النصوص، توهموا

بأنهم صاروا شعراء لديهم منجز أدبي، لكنهم اصطدموا بواقع مستوياتهم عندما توجهوا للصحف الرصينة، ولاسيما التي تتوفر فيها صفحات للشباب مثل جريدة الثورة وجريدة الجمهورية، وحتى جريدة الراصد الأسبوعية كانت ترد على الشباب وتقدم لهم ملاحظات المحرر، أما في صفحتي الثورة والجمهورية فهناك تركيز على سلامة النص والإشارة إلى الهنات التي يقع فيها أي شاعر يراسلهم، أما ديوان الثلاثاء الشهري في جريدة الثورة مع الصفحة الأسبوعية للشاعر والناقد خالد علي مصطفى، المعروف بتشدده وقسوته فقد كانت هذه الصفحة، مع ديوان الثلاثاء مختبرًا حقيقيًا لجيل الثمانينات تحديدًا، علمًا أن النشر كان للنصوص الموزونة، وبالذات نصوص التفعيلة ولا وجود لقصيدة النثر التي كانت مرفوضة بشكل حاد.

••••

من النشاطات التي أبرزت شعراء شبابًا تميزوا من بين أقرانهم «مهرجان الشعراء الشباب» في البصرة نهاية السبيعينيات، الذي شهد حضور ومساهمة شعراء من جميع محافظات العراق، وقد جرت تغطيته إعلاميًا بشكل جيد، وأكثر الشعراء الذين شاركوا فيه هم من شعراء السبعينات الذين كانوا بعيدين عن الضوء، ومنهم: سعدي علي السند وفوزي السعد وحامد عبد الصمد البصري، بينما كان الشاعر حيدر الكعبي يكتب وينشر قصائده في مجلة الطليعة

الأدبية بتجربة تكاد تكون متفردة.

أما سيادة تجربة قصيدة النثر فقد جاءت بعد منتصف الثمانينات، وكأنها انتفاضة أو تظاهرة شعرية يغلب عليها طابع التمرد، والاحتجاج من خلال لغة خاصة ونصوص تنتمي للهذيان والاستطراد واللامعنى، الذي كان سمة بارزة لنصوص عدد غير قليل من الشعراء، الذين كانوا قادرين على أنتاج نص واضح المعالم ينتمي إلى النسق المعروف، الذي قد يُمثِّل تواصلاً مع تجارب الأجيال السابقة، وأنا هنا أطلقت على هذه المرحلة من التجريب الغرائبي «مرحلة الزهو بالهذيان». وظهرت المطوّلات الشعرية، والنصوص المشتركة، واحتدام الحوار حول النص الجديد.

وفي ظل هذا الاحتدام خصَّص لنا اتحاد الأدباء أمسية من أمسياته وكانت للشعراء محمد مظلوم ومحمد تركي ونصيف الناصري وزعيم النصار ومنذر عبد الحر، وكانت أمسية مختلفة قرئت فيها نصوص من التجربة الجديدة، وشهدت حوارات مهمة... الهجرة إلى عمّان، ولادة أدب المنفى، صدمة الآخر، تغيير بعض القناعات بسبب الظروف الاقتصادية القاسية.

••••

في أحد لقاءاتي المتكررة بالشاعر الكبير عبد الرزاق عبد الواحد في مكتبه في وزارة الثقافة، كنتُ أتحاور معه دائمًا مدافعًا عن تجربة شعراء جيلي، صادف أن هناك نصًّا

متواضعًا نشر في إحدى الصحف، قال لي الأستاذ عبد الرزاق في حينها وهو يرفع صفحة الجريدة التي نشرت النص أمامي، ليقول لي ساخرًا: (هذا شعركم الذي تدافع عنه؟).

كان النص للشاعر «إ. ح»، قلتُ له: (هذا النص لا يمثل تجربتنا). ثم سألته بشيء من المماحكة: (أستاذ، هل تعرف الشاعر سعدون الجبلي؟). قال: (لا أعرفه، من هذا؟). قلتُ له: (هو شاعر كان ينشر قصائده مع شعراء جيلكم). قال: (وهل تريدني أن أعرف كل الذين نشروا قصائدهم آنذاك؟).

طبعًا كان الاسم وهميًّا، ولا يوجد شاعر بهذا الاسم، لكنني أردتُ الإشارة إلى أن الشاعر المتواضع في تجربته لا يُمثِّل السمة العامة للجيل.

قلتُ له: (هل يمكن أن أعدّ هذا الشاعر نموذجًا لجيلكم؟). قال لي: (بالتأكيد لا يمكن). قلتُ له: (لماذا إذن يا أستاذنا تجعل «إ» بنصه المتواضع هذا ممثلاً عن جيلنا؟). قال: (كلكم تكتبون هذا النمط من الشعر). قلتُ له: (لا أستاذي)، وأشرتُ لنماذج ممتازة من النصوص التي يكتبها أبرز شعراء الجيل.

بعد هذا الحوار الذي لا يخلو من الطرافة كتبتُ المقال الآتي مُنبِّهًا لظاهرة إقران النموذج السيء بتجربة جيلنا كلّه استنادًا إلى نماذج معينة:

النموذج السيء

جريدة الجمهورية / ٢٨ أيلول ١٩٩٣

لا ريب أن الظاهرة الشعرية الجديدة في العراق، وهي تضم عشرات الأسماء والتجارب - منها ما هو أصيل قوي ومنها ما هو طارئ لن يستمر طويلاً -تتعرض لطعن مستمر بدعوى أنها ظاهرة لا تمتلك المبررات الفنية والتاريخية لوجودها، ذلك أنها تبتغي التغيير غير المرتبط بهمٍّ إنساني أو جمالي عالٍ.

هذا الطعن القاسي يختار مواقعه الرخوة، فيلجأ إليها، ويستند إلى أنها نماذج التجربة الجديدة التي تواجه ما سبقها من نماذج هي (مشرقة بالتأكيد)!

هذه المعادلة المَرَضية، الغرض منها النيل من ملامح تجربة شعرية مهمة وعميقة ظهرت في العراق نتيجة لمتغيرات عظيمة جعلت القضية الشعرية قضية خاصة لها أصواتها التي خرجت من وعي وموهبة كبيرتين جعلتا تقليدية النموذج عائقًا لطوفان إبداعي قادم من إخلاص نادر للنفس، وهي تخرج بأسئلة جوهرية حسَّاسة إلى تأسيس نص إبداعي خارج القالب المرسوم.

ولأن ليس كل الشعراء كذلك، وليس هناك نُقاد مجدون في الفرز المخلص بين الأصوات والتجارب، ولا توجد سُبل إقناع

أو نوافذ توصيل يمكن الحوار فيها وعبرها وبيان الموقف النظري والتاريخي من هكذا توجه، فقد نشأت نماذج سيئة تداخلت مع النماذج الجيدة (وبيع الأخضر بسعر اليابس كما يقولون).

أقول هذا الكلام وأنا ألاحظ بعض الشعراء والمثقفين الكبار وهم يمسكون بالنموذج السيء لهذه التجربة الكبيرة ويضعونه مقياسًا – نهائيًا – لكل التجربة. وفي هذا تعسف كبير يذهب ضحيته المبدعون الحقيقيون وهم يُقدِّمون نماذج مخلصة لا تعنى إلا بالفن الشعري المقرون بالوعي والنضج الطافح بالحياة المليئة بالألم والعناء والتوق إلى المغايرة والهدم والبناء في آن واحد.

إن في كل مرحلة تاريخية إبداعية نماذج سيئة، وهي لا تؤخذ كما هو معروف مقياسًا للتجربة بعمومها، وإلا فلنسأل كم شاعر رديء عاصر أبا نواس، وكم شاعر سيء عاصر المتنبي، وكذلك الأمر مع الجواهري والسياب وعبد الرزاق عبد الواحد؟

فهل يُمثِّل شعراء النماذج السيئة وجه التجربة أم العكس؟

لذلك أدعو بإخلاص إلى تخطي الحاجز النفسي الذي يشعر به شعراؤنا ومثقفونا الكبار، ومحاولة النظر إلى الوجه المشرق للتجربة الشعرية الجديدة، وتأشير النموذج الجيد، بدلاً عن التمسك بالإشارة إلى النموذج السيء – حسب – وفاءً لتاريخهم وتاريخنا معًا، وإلا فنحن نستطيع أن نشير

أيضًا إلى الوجه السيء ونتخلى عن الوجه المشرق في مرحلتهم، وبالتالي سيظهر التاريخ ما خفي ويتهم أصحاب الآراء الخاطئة بتهم لا تليق بإبداعهم، بإقران تجاربهم بتلك السيئة.

هي دعوة مُحبة للنظر إلى النموذج الجيد ومحاولة تحجيم النموذج السيء، طالما ان الحوار الآن ممكن ومتاح بعد أن فتحت الأبواب والنوافذ وازيلت الجدران التي عانينا منها طويلاً.

••••

وتواصلت المقالات التي نشرتُها مدافعًا فيها عن تجربتنا الأدبية ومن المقالات التي نشرتُها في هذا الصدد «فتنة أدونيس»، وهو مقال لي نشر في النافذة الثقافية لجريدة العراق يوم ٢٤ آب ١٩٩٣، ردًا على مقال نشر في ذات الصفحة للكاتب هادي علي الزيادي في ٢٩ حزيران ١٩٩٣ عنوان المقال «شاعرة النثر في مزامير الغياب»...

فتنة أدونيس

أسئلة كثيرة، أفرزتها تجربة قصيدة النثر في العراق، بعد أن تجاوزت شوائب الانفعال الأول وحققت تجارب مهمة يُشار لها وتعد من التجارب الشعرية الناضجة ليس في العراق حسب، وإنما في العالم العربي أيضًا، وهذا الرأي لم

يصدر جزافًا، فالمتابع الحقيقي لصيرورة النص الشعري الحديث يلاحظ الإضاءات الواضحة التي حققتها قصيدة النثر الجديدة وهي تؤسس فضاءات، واستفادت من تاريخ الشعر العربي وتعرفت على أبرز هناته. وعبَّرتْ بأسلوب معاصر عن انتماء صريح لإنسان العصر -المتورط - وهو يعيش التحولات بكل أنواعها ومجالاتها، فالواقع المعاش الآن يفرض على الفرد المبدع حصارًا قاسيًا بينما ينشد هذا الفرد التأمل بين الدخان والضجيج والاضواء البراقة والسرعة والأرقام والكمبيوتر والفيديو، ووو.

في ظل هذا التطور - الحياتي والمعرفي معًا - هل يفترض في الشاعر -تحديدًا - أن يُعبِّر عن حيرته هذه بالعودة إلى إيقاع موسيقي مرسوم منذ مئات السنين، وبنى شعرية لا تلائم استجاباته الإيقاعية - الذاتية، التي تحاكي وضعه اليومي وهمّه الحياتي، ليؤدي قصيدته ؟

هذا جانب... والجانب الآخر: هل أن كل ما هو خارج القالب الفراهيدي يعد من أتباع أدونيس (حامل لواء الحداثة) ؟

أسوق هذه المقدمة - المحمّلة بأسئلة قد تبدو مكررة - وأنا أخرج من قراءة موضوع نقدي للسيد هادي علي الزيادي، تطرّق فيه إلى (محنة) الشعراء الشباب - وبالذات شعراء قصيدة النثر على أساس أنهم (تحت مظلة أدونيس) بشكل أو بآخر!!

الذي اعتقده أن في ذلك الرأي مجانية واضحة وغير مبررة

إطلاقا، لأن مصادرة التجربة الشعرية الجديدة بهذه القسوة، تعد غير دقيقة وتتطلب وقفة أطول وبراهين علمية لا تخضع لمنطق يتبنى قناعة مسبقة، ما لم تُبنَ على أُسس منهجية جديدة، ولها إدراك مستقل في أسلوب النظر إلى أي نص بحيادية تامة.

وإذا افترضنا - وهذا غير صحيح - أن شعراء قصيدة النثر لا يجيدون الأوزان الشعرية التقليدية، وقد التجأوا إلى هذا النمط من الكتابة لأنهم عجزوا عن استيعاب فكرة العروض والأوزان التي حُدِّدت قبل مئات السنين لتنضوي تحتها القناعة النهائية على أن ما يُكتب تحت هذه المقاييس يعد من الشعر، وأما ما فقد ركنًا من تلك الأركان المحددة فهو ليس بشعر!

أكرر، إذا افترضنا أن شعراء قصيدة النثر لا يجيدون هذه الأوزان، فهل أن (التفعيلة) المرسومة سلفًا بهذه الخطورة بحيث أنها تحدد ما إذا كان الشاعر حقيقيًا أم غير ذلك؟

الشعر - ليس عروضًا - وإنما هو هاجس إنساني معقد يرتبط بالدواخل الغامضة للنفس البشرية، والشاعر المبدع هو الذي يعي توجهات هذه الدواخل ويقودها - فنيًا - لترويض الأدوات الأخرى لبناء النص الشعري التي تدخل اللغة عنصرًا أساسيًا فيها لصناعة نص جديد يوظف كل نأمات عصره، ولا يجلس على شاطئ النهر يمسك نايًّا ويتأمل الشمس وهي تغرب بين نخلتين مائلتين على بعضهما فيكتب (الشاعر) (شمس الأصيل)!!

لقد مضى عصر الاسترخاء الشعري والكتابة البريئة التي تمثل جوانب من الإثارة العاطفية والمحاكاة الموسيقية لشعرنا الرائع القديم.

واقعنا الآن متزمت صعب، جعل الفن الإبداعي أكثر مسؤولية واصغاء للانكسار اليومي الذي يعيشه الفرد شاعرًا أم غير شاعر، ومن السذاجة التسليم بأن الشعر الحديث - أو قصيدة النثر على وجه التحديد - (تمرد على العروض والأسلوب) لأن الشعر الحديث انتماء حقيقي لواقع غير مهادن، وإن خرج عن قالبه المرسوم الذي حجّم تعبيراته وقاد جماليات أحاسيسه إلى مرافئ أكثر حسمًا، أما (أبوة) أدونيس لشعراء قصيدة النثر - فلا معنى لها ولا هي بالمعلومة الصحيحة - على الرغم من تأثر الكثير من الشعراء بهذا الشاعر والناقد الفذ - فالقراءة المخلصة للتجربة الشعرية الراهنة، تكشف عدم دقة هذا التصريح - الذي أصبح موضة لبعض النقاد - وما شعراء قصيدة النثر في العراق إلا نتاجًا واعيًا لأزمة جيل كامل توزعت همومه وتداخلت آلامه وتفجرت مناطق وعيه، ليقدم تجربة شعرية متجددة لا تشبه أية تجربة أخرى في العالم، فاقرأوا..... شعراءنا... ولكن... بحُب!

••••

كانت هناك بعض القصائد المتبادلة بيننا، نحن أبناء جيل الثمانينات، ومن القصائد التي أعتز بها للشاعر ركن الدين يونس، هذه القصيدة التي جاءت إثر حوارات مطولة بيننا حول مفهوم النص الجديد ودور شعراء الثمانينات في إعطائه سمات خاصة:

الثمانينيون

ركن الدين يونس

(إلى منذر عبد الحر...

أخي في الكتابة)

ولتجري...
هذه السنين الميلادية
بلا ضجيج
في ظلنا نمت الفصاحة
ولم يعد الشريان الوحيد
هو الطبيعة
في الظل ذاته نمت العصافير
....
الذكريات
التي الهمتنا قيامة الصبار

لم تكن ذكرياتنا
ولا المزامير
التي احتوت كلماتنا
مزاميرنا...
حتى أن النار
التي حملناها في صدورنا
سكنت طحالب ألسنة الغرباء
....
أية صورة يعدها سفر الطاعة؟
اي العناوين المناوئة؟
ولمن تترك الظل
وقد ربتت على كتفيه أكفنا؟
وهذا التاريخ الوهمي
بكل تفاصيله
يجرجر أقدامنا...
ونربيه
ولتجري...
هذه السنين الضوئية
بلا سهول
المطر الحمضي يغسل آياتنا
قبل تشكّلها...
غابات خضر
قبل تشكّلها...

أيامنا الفارعة
تتقاسم ارديتنا رياح مبللة
باسم المرايا
التي غادرتها وجوهنا
مشوهة
لنزرع الأصدقاء
الواحد
بعد
الآخر
فالظل يتسع لأكثر من بحر
....
ولتجري...
اللغات الذهبية
فوق الغيوم
اللغات التي كانت لنا
كانت لموتانا...
الغزوات التي نلناها على الأرصفة
لوحدها
سكنت جذورنا
من يمحونا؟
نحن الذين ترجلنا
من وهج الحروب

••••

في عام ١٩٩٤ أقام الاتحاد العام لأدباء والكتاب في العراق، أيام رئاسة الشاعر رعد بندر له؛ مؤتمرًا أدبيًا لمناقشة توجهات الشعر الجديد، في فندق «المنصور ميليا»، شارك فيه عدد من الشعراء والنقاد من بغداد ومن المحافظات كافة، وقد قدَّمتُ فيه البحث الذي أثار أصداء مختلفة لما جاء به من تشخيص لبعض ملامح التجربة، وكان عنوان البحث: «قوّة النص اليائس حول قصيدة النثر في العراق»... مما جاء فيه:

(لا أزعم أنني أُقدِّم هنا بحثًا خارجًا من شروطٍ علمية دقيقة للبحث، ولا أظن أنني سأحتوي بكفّ التشخيص مزايا النص الشعري الجديد وهو يتسلّق -واعيًا أُسسه ومدركًا أهدافه- جدار النظريات والقناعات المبنية على افتراضات تمَّ الاتفاق عليها ومعرفتها وبالتالي النظر العادي إليها.

ولأن رهاننا الآن ينصبّ على جانب من التأسيس الإبداعي الجديد المنطلق من فورة قصيدة النثر التي أصبحت واقعًا ملموسًا وأصبح كُتَّابها -وأغلبهم من الشباب- يتحدثون عنها بأصوات عالية، بعد أن كانت لفترة قريبة سابقة في عداد الثرثرة غير المفضية إلى نتيجة، ولابد قبل أن ندخل إلى عملية الإشارة والتشخيص من أن نحدد المؤثرات الحقيقية للمتغيّر الحاد الذي حدث في مسيرة الشعر العراقي والذي ينسبه العديد من النقاد والمعنيين إلى المؤثرات الخارجية التي يسندونها إلى الشعر الفرنسي أو اللبناني، وغيرهما.

ولأن الشاعر العراقي الشاب مسَّته حساسية جديدة قوامها الألم المتكئ على ضراوة الحرب وانعكاساتها

النفسية على الفرد الشاعر، فقد أصبحت الكتابة ترتكز على مؤهلات حارة وانفعالات خاصة أنتجت في البدء نصوصًا مزدحمة بالشظايا والموت والترقب والانتظار، وفي ظني أن هناك ملمحين مهمين في تأشير تجربة المرحلة الأولى لنص الشاعر العراقي الشاب، وهذان الملمحان أوجز اتساعهما بهاتين النقطتين:

١ - بسببٍ من الانفعال الذاتي والتوق الوجداني لتحقيق متنفسٍ خالٍ من الاحالات الفنية، ويمس الواقع من أبسط أغشيته، كتب بعض الشعراء نصوصًا تنفست الوجد والحنين والتذكّر، وهي بذلك لم تجترح أسئلة جديدة، واكتفت بالإحاطة الذاتية بحالات محددة جرّت إليها أدواتها الفنية وعالجتها بتقنيات وأساليب لا تُعدُّ مؤثرة في السياق التاريخي للنص الشعري، بل هي دعوة غير معلنة للنكوص الفني، لأنها استظلت بظلال تجارب شعرية معروفة وأصوات لا يمكن لها أن تزول بسهولة عن ذاكرة المبدع وهو ينجز نصًا مستلب الابتكار.

٢ - وهناك شقٌّ ثانٍ للتجربة ضاق شعراؤه ذرعًا بالمحددات والقيود والفضاءات المكتشفة أصلاً، ليعتلوا صهوات اللغة ويحطموا القيود، ولكن بانفعالٍ يشبه انفعال الشعراء الذين ذكرتهم في الفقرة الأولى، ولكنه يتخذ اتجاهًا آخر على الرغم من أخطائه وتسرّعه، إلا أنه يحمل في طياته نيات تجديد حققت لاحقًا ثمارًا يتفق الجميع على أنها ثمار يانعة.

وبعد أن هدأت فورة الحيرة التي أطلق فيها الشعراء دعاوى عريضة للتجديد، قابلوها بمنجز نصّي هزيل، استقرّ الحال وهدأت عواصف البحث عن مناطق جديدة، وبعد أن جُرّبت اللغة وهي تنتقل في تعبيراتها ومفرداتها وتراكيبها من همّ إلى هم، وكلها لا تؤدي - بالضرورة - إلا إلى اختلاط وأوهام، مبررها الوحيد السؤال الشعري الذي بات محاصرًا بإجابات غير مقنعة، ومنجز غير محسوبة عقباه.

أسأل الآن: إلى أين يتجه النص الشعري الجديد؟

ربما يفضي هذا السؤال إلى محاور تتقاطع في قناعاتها وافتراضاتها بشأن النص الجديد وملامحه وأسلوب الإشارة إليه والإحاطة بمدى جدته.

بذلك ندخل إلى اشتباك معرفيّ بين عدة نظريات تدّعي كلّ منها أنها تحدد وتضئ سمات النص الحديث، وبهذه التشعبات لن نصل إلى الضفة التي نريدها مكتفين بالأسئلة والافتراضات، وحسب «برادلي / a. c. bradley» : (إذا أردنا للقصيدة أن تكون شيئًا عظيمًا فيجب أن تكون ذات علاقة بالحاضر، ومهما يكن موضوعها فيجب أن تُعبِّر عن شيء في الذهن الذي تصدر عنه والأذهان التي تتلقاها، وأينما يكون جسمها يجب أن تكون روحها).

هذا الرأي النقدي المهم يشير إلى تفاصيل معروفة للنص الشعري، بضمنها الشكل والمضمون - هذا الثنائي الأزلي الذي أخضع النص للتصورات النقدية الكلاسيكية والحديثة

إلى حد ما. كذلك يحدد «برادلي» دور المتلقي الذي يشترك مع الشاعر – المنتج – بخطاب ذهني متقارب، وعليه يكون النص ملزما بالتوجهات الداخلية المتمثلة بالفكر والذهن والعمق والاحساس والظروف الخارجية المحيطة التي يتمثلها ارتباط النص بالحاضر أو الواقع الفني.

وعندما نتأمل التجربة الشعرية الجديدة في العراق، فإننا ندرك أهمية انتمائها إلى التصور النقدي الحديث للنص الشعري ذلك أنها – التجربة – في الغالب تخلصت من اشتراطات القصيدة المحددة بافتراضات تُخدِّر عنها السؤال الشعري، وتركها على ما هي عليه – كالقافية والتفعيلة – اللتين تحددان انسياب القصيدة وانتماءها العميق إلى حس الإيقاع الراهن المرتبط وجوديًا بالإنسان وانشغاله وتوقه للفواصل الفنية السابقة – كحنين إلى الماضي –والتي لم يعد لها من مبرر سوى التذكّر.

لذلك يمكن تسمية هكذا نصوص، أي النصوص التي التزمت شروطًا ومحددات بعيدة عن الحس الراهن (نصوص العزلة) لأن أصحابها يعيشون حياة منفصلة عن النص الشعري ويطربون لموسيقى –عمرها مئات السنين–، وإن أطربت، إلا أنها ما عادت تمثل إسقاطًا نفسيًا ملائمًا لوجود الشاعر وحجم تساؤلاته.

ولأن (الشعراء حسب لويس – C. D. LOIS قادرون على أن يجعلوا الصحراء تزدهر، إنهم أكثر المخلوقات حظًا لأن الخيبة والحزن وحتى اليأس محفزة وخاضعة لأيديهم

الخلاّقة). رأي لويس هذا يبدو جليًّا في تجربة شعراء قصيدة النثر في العراق - تحديدًا - لأنهم تعلموا الحياة الجديدة من موت أكيد، جعل النص الشعري لديهم يمثل مرآة يأس كامل من تحقيق مكاسب إنسانية أو إعلامية أو اجتماعية في الشعر، وغدت القصيدة متنفسًا فرديًا لا أمل (لآخر) فيه - لحظة الكتابة - حتى أصبحت توجهًا فنيًا تبنى فيه الشعراء تجاربهم الخالصة وأوغلوا في الانشغال فيها، وبالتالي خلق ملامح واضحة لتجربة شعرية مهمة كانت إلى زمن قريب مستهجنة من قبل الشعراء والقراء والنقاد على حد سواء.

هذا ما أكده الشاعر خزعل الماجدي في نصه اليائس «خزائيل» الذي مرّ دون تمحيص وفحص نقدي مخلص:

(لا شيء يقف قويًّا أمامي، وأنا أنظر أسلافي يلهجون بذكر اسمي ويقرأون كتابًا ناقصًا عني، وقد خُيِّل لهم أنني وعلٌ سيمر كما مَرَّ القطيع، هكذا يخيل للجميع، وهم شفرة واحدة من شفراتي الألف التي تعمل على إعادة بناء الجمال).

ورغم خلافي مع الشاعر الماجدي حول شعرية هذا المقطع المجتزأ من نصه الطويل «خزائيل»، فإنه يُعد من التجارب الشعرية المبكرة في هذا الاتجاه الشعري اليائس، الذي روَّض الذائقة لاحقًا وحقق - بمجموع شعرائه - تظاهرة شعرية لا تشبهها أية ظاهرة في العالم.

إن قصيدة النثر نشأت في وعي أصحابها أولاً ليتساءلوا ألف مرة قبل الشروع بتبني هذه المغامرة الجريئة وهم

الذين أجادوا التعامل مع القصيدة المُقننة (الكلاسيكية)، وتلاعبوا بصرامة قوانينها وقدَّموا نماذج مهمة في مضمارها، لذلك تمثلت تجربة قصيدة النثر الراهنة قوة لدى شعراء هذا التوجه الفني المهم.

• قوة النص اليائس

مُلخص البحث الذي حمل عنوان (قوة النص اليائس) نشر في العدد ١٦٤٩ من جريدة القدس العربي الصادرة يوم الخميس ٨ سبتمبر عام ١٩٩٤

....

بعد إغلاق دار الأمد، تفرَّغتُ للعمل الثقافي والصحفي، ومعهما المعاناة الشديدة في الحياة، وكنت عضوًا في المكتب التنفيذي للاتحاد، وقد طلبتُ من الشاعر رعد بندر رئيس الاتحاد في حينها السماح لي بالمبيت في الاتحاد، وفي غرفتي التي أعمل فيها، وافق على طلبي وبقيتُ مع الحبيب الوفي يوسف الزبيدي حُرَّاسًا للشجن والمعاناة، وشاهدي حق على أمور كثيرة حصلت.

كنا نتقاسم الطعام ومعنا ياسين الزبيدي شقيق يوسف، حصلت لنا طرائف عديدة، وكان يزورنا دائمًا الشاعر جمال ناصر والصديق صباح نوري، وكانت لدينا بدلة رسمية واحدة نتبادلها أنا وطالب كريم الذي كان يعمل مع رئيس الاتحاد وجمال ناصر، كل مرة يرتديها أحدنا حين يحضر موعدًا مهمًا.

ومضت أيام المعاناة الجميلة رغم قسوتها، عشنا فيها كأُسرة واحدة، حتى تعقدت بعض الأمور وحدثت حالات وتجاوزات، لا أُريد الخوض فيها، لأن بعضها جارح لأصدقاء

لي، المهم طلب السيد أمين الشؤون المالية والإدارية، من السيد رئيس الاتحاد عدم مبيتي في البناية، (لأنني أُعيق عمله الإداري) وهو حين يريد إصدار عقوبات على بعض العاملين، فإن وجودي بينهم يعيق هذا الإجراء، وعلى هذا الأساس تمَّ تبليغي بالمبيت في مكان آخر.

اقترح عليّ بعض الأصدقاء المُحبين أن أذهب إلى فندق مناسب يقع قريبًا من مقهى حسن عجمي، وهو (فندق العش الذهبي) الشعبي البسيط، حيث كان يقيم فيه الصديق الشاعر حسن النصار الذي سعى للحصول على غرفة مناسبة لي، والفندق يقع بالضبط مقابل مديرية الشرطة العامة في مدخل الفرع الفاصل بين شارعي الجمهورية والرشيد، حيث يقع في نهايته التمثال الضخم للشاعر معروف الرصافي.

كانت أجرة الغرفة خمسة عشر ألف دينار شهريًا، وهو مبلغ ليس قليلاً بالنسبة لي، وأنا في حينها كنتُ أتقاضى مكافآت غير ثابتة عن نشر المواد في الصحف والمجلات، وكذلك كانت مكافأتي الشهرية في الاتحاد خمسة آلاف دينار، ومن الإشراف على الصفحة الثقافية في جريدة القادسية، خمسة آلاف دينار أخرى، ومع هذا فأنا وفي بداية كل شهر أُعاني أزمة دفع الإيجار، وكنت شديد الخجل من أصحاب الفندق الذين يمتازون بأخلاق رفيعة ونُبل وكرم، كما أنني أنجزتُ أكثر من مجموعة شعرية فيه، حتى حملت إحدى مجموعاتي عنوان «قرابين العش الذهبي» الذي زارني فيه أصدقاء عديدون من بغداد ومحافظات الوطن، حين يجيئون إلى العاصمة

كان مقرهم الأول غرفتي في الفندق.

مرّت تحت رئاسة الشاعر بندر لاتحاد الأدباء أكثر من تشكيلة، حيث بدأت بالشاعر وسام هاشم أمينًا عامًا مع مجلس مركزي ضم محمد تركي النصار وعبد الزهرة زكي وجواد الحطاب وشوقي كريم، ثم تسلم الأمانة العامة الشاعر رعد عبد القادر، وبعده في الانتخابات التي جرت في مسرح الرشيد، تسلم موقع الأمانة العامة الشاعر جواد الحطاب الذي رافق الشاعر رعد بندر حتى نهاية الدورة الانتخابية التي مضت بمجلس مركزي، هو ذاته المكتب التنفيذي، يتألف من الدكتور علي الياسري والشاعر هادي ياسين علي والقاص وارد بدر السالم والشاعر أمين جياد والقاص زعيم الطائي والشاعر خالد مطلك وأنا مع ممثلي مكاتب القوميات.

استمرت هذه الدورة متفاعلة وقدمت العديد من النشاطات النوعية والمهرجانات ومنها مهرجان (إبداعنا) الذي كان مدعومًا من شيوخ العشائر، وكان ينعقد كل شهرين، وقد بدأ في مدينة النجف الأشرف، ثم انتقل إلى صلاح الدين، وهو عبارة عن تظاهرة أدبية يشارك فيها ما يزيد عن ثلاثمائة أديب ومثقف وضيف، كما شهدت هذه الفترة مهرجانات مشتركة مع التجمع الثقافي الذي كان الشاعر رعد بندر نائبًا لرئيسه مع نائبين آخرين كما اتذكر، وكانت هناك مبادرات من الأمين العام الشاعر جواد الحطاب في تحقيق مكاسب للأدباء منها الضمان الصحي والقانوني، وكذلك

تقديم المعونات اللازمة للمحتاجين، وتسهيل سفر عدد ليس قليلاً من الأدباء إلى عمَّان التي صارت تضمهم، وكنت أنا من بين الذين سافروا بدعوة من رابطة الكتاب الأردنيين، التي كان أمينها الأديب فخري قعوار الذي ساعد الكثير من مثقفي العراق ووفر لهم دعوات تجنبهم دفع مبلغ كبير جدًا في حينها وهو أربعمائة ألف دينار من أجل إصدار جواز سفر.

أما سفري فقد صادف مع انشغال الاتحاد بمهرجان (المناطيد) الذي ولَّد ردود أفعال متضاربة، قضيتُ شهرًا من الحيرة والضغط على الأعصاب والمعاناة في الأردن، كنتُ فيها أقيم مع الرائعين فاضل جواد والشاعر عبود الجابري وكانا بمنتهى النبل والكرم والتضحية وهما يتعاملان مع جميع الأدباء والمثقفين العراقيين المهاجرين إلى عمان، وكانا يسكنان في شقة صغيرة على سطح بناية في وسط البلد عن الصعود باتجاه جبل الحسين، وكان المبدع فاضل جواد يعمل في التصميم والطباعة في شركة ساعات معروفة، فيما كان الشاعر عبود الجابري يعمل في مهنة التمريض في أحد المستشفيات، وكنا نلتقي يوميًا، ونذهب إلى مقهى السنترال للقاء الأصدقاء، علمًا أن هذه السفرة ليست الأولى لي إلى عمان، فالسفرة الأولى كانت عام ١٩٩٢، حين دعاني مع الصديق محمد حياوي، القاص عباس داخل حسن، القادم من أوربا، وفعلاً ذهبنا أنا ومحمد ووالدة عباس، وكنت حينها أعمل في دار الأمد، وقد سلمتني السيدة حكمية جرار رسالة لنقلها إلى عائلتها في عمان وكان محتواها يتضمن طلب دعم

مالي لها منهم.

وما أن وصلنا إلى الشقة الصغيرة لعباس داخل حسن، حتى شعرت بالحرج وأنا أقيم معهم في غرفة صغيرة مع صالة صغيرة أيضًا، لذلك اتصلتُ بعائلة السيدة أم لؤي وتحدثت مع أخيها، ثم ذهبت إليه وسلمته الرسالة التي قرأها وقدم اعتذاره عن توفير الدعم في الوقت الحالي.

وبعد لقائي به عدتُ إلى شقة عباس وأخبرتهم بانني عائد إلى بغداد في صباح اليوم التالي، وفعلاً كانت أسرع رحلة في حياتي.

أما زيارتي الثانية إلى عمان فقد كانت بصحبة القاص وارد بدر السالم، وقد أقمنا في فندق بائس وسط البلد قرب الساحة الهاشمية، كان هو ينتظر حوالة مالية من دولة الإمارات، وكنت أنا أنتظر فرصة عمل وُعِدتُ بها، وقضينا أيامًا وليالٍ من الانتظار، فلا هو وصلته الحوالة، ولا أنا حصلت على العمل، بينما تراكمت علينا إيجارات الفندق التي وجدنا نفسينا غير قادرين على دفعها.

كنت تلك الأيام ألتقي بالشاعر عبد الرزاق الربيعي الذي كان قد غادر البلاد وعمل في الصحافة الأردنية بعد أن ترك العمل في جريدة الجمهورية، وقد كنت أثناء سفره في كراج العلاوي الذي كان منطلقًا لعمان عن طريق باصات النقل الكبيرة، وقد كان معه المخرج وديع نادر، الذي نزل قبل حركة الباص بلحظات وهو يبكي، لأنه غير قادر على مغادرة الوطن،

وكان أيضًا في تلك الأيام الشاعر علي الشلاه قد وجد فرصة جيدة في ملتقى الفينيق الثقافي مع السيدة سعاد دباح وقد أصدر جريدة باسم الملتقى وأقام مهرجانات مهمة، شارك فيها كبار الأدباء ومنهم الشاعر الرائد عبد الوهاب البياتي، والشاعر سعدي يوسف... المهم عرف الصديق عبد الرزاق الربيعي بأزمتنا أنا ووارد، وحاول إيجاد حل بالاتفاق مع بعض الأصدقاء الذين كان معظمهم يعيش بالكاد، ولكن دون جدوى، حتى اتصلت بالسيدة حكمية جرار وشرحتُ لها أزمتنا، فقدَّمت لنا المبلغ الكافي للحل وبعد دفعه قررنا العودة في اليوم التالي.

وما أن أعلنت العودة حتى بدأت بتسلم الرسائل الموجهة إلى الأصدقاء في بغداد، ومنها المبلغ الذي حملته من الناقد ياسين النصير لأسلمه لعائلته والسُّترات الأربع التي اشتراها الشاعر جان دمو لكل من كزار حنتوش ونصيف الناصري وعلي السوداني وحسن النواب، الذين مازالوا في بغداد، التي شهدت هجرة ثلاثة منهم فيما بعد، وبقي فقط كزار حنتوش منهم، حيث تزوج من الشاعرة رسمية محيبس زاير،

أما هذه المرة (وهي المرة الثالثة لي) فقد بقيتُ شهرًا وكانت نيتي عدم العودة إلى بغداد، رغم أنني ضمن قيادة الاتحاد وأعمل في جريدة القادسية.

وفي أحد الأيام جاءني الشاعر النبيل نصيف الناصري إلى المقهى، وقال لي: (التقيتُ بالشاعر رعد بندر الذي مرَّ على عمان عائدًا من سفر إلى دولة أخرى). وسأله عني، وأراد

أن يصحبني معه إلى بغداد، لكن نصيف قال له لدى منذر بعض الالتزامات سينهيها ويعود. قلتُ له حسنًا فعلت، فأنا هنا حائر لا عمل لي ولا شيء يلوح في الأفق، فقد التقيت بالصديق محمد حياوي الذي كان قد هاجر قبل مدة وبعد أن قضى تجربة مريرة سجن على أثرها، وظل متواريًا عن أنظار الآخرين قليل الاختلاط بهم، قد عرض علي مشروع البقاء في عمان مع توفير عمل بسيط من الممكن أن أعيش منه، وبعد قراءتي للأمر استنتجت أن لا مستقبل لي في هذا الخيار وأن الانتظار سيطول.

وفي أحد النهارات وبعد أن تناولنا وجبة غداء فقيرة أنا والأصدقاء عبود الجابري وفاضل جواد، شممتُ رائحة شاي عراقي، فقلت لهم كأني أشم رائحة مقهى حسن عجمي، وفعلا توجهنا إلى محل صغير يبيع الشاي العراقي المهيل، شربت قدحين منه وقلت لهم سيكون القدح الثالث في بغداد.

• هدايا جان دمو

بعد عودتي من عمَّان إلى بغداد، حملت الأمانة التي حمَّلني إياها جان دمو، وسلمتها إلى المعنيين، بصراحة فقد سلمت نصيف الناصري وعلي السوداني السترتين وتركت سترتي كزار حنتوش وحسن النواب عند أبي رشا صاحب المقهى، ليسلم كل واحد منهما سترته، وكنت قد جلبت معي عددًا من الدعوات الموقعة من فخري قعوار، رئيس رابطة الكتاب الأردنيين في حينها، لتسهيل سفر بعض الأصدقاء الذين كلفوني بهذه المهمة، وبدأت بتوزيع الدعوات على المعنيين لاكتشف بأن هناك وشاية ضدي يقول أصحابها انني أبيع هذه الدعوات، وهو أمر بعيد جدًا عن الحقيقة التي سرعان ما توضحت، لكن الزملاء في الاتحاد عتبوا علي لأنني أسهل هجرة الأدباء بجلب هذه الدعوات.

المهم عدت إلى عملي في جريدة القادسية، التي أخذت حريتي الكاملة في نشر أي مادة جيدة فيها، بغض النظر عن دلالتها السياسية.

وفي حومة هذه الأحداث خضتُ مغامرة فيها نوع من الحماقة التي أعترف بها، والتي كادت أن تكلفني خسارة صديق عزيز هو علي السوداني، حيث جاءني السوداني في أحد الأيام إلى المقهى وقال لي: (عندي قصة مجنونة أُريدك

أن تطّلع عليها وتقرر نشرها من عدمه). أخذتُ القصة منه وقرأتُها وأنا ذاهل، فهي تشير مباشرةً إلى رأس النظام وولده النزق، والأحلام التي يعيشها، ومع هذا قلت له: (سأنشر هذه القصة). وفعلاً نشرتها وهي «أخر أحلام الفتى السعيد».

وفي ظهيرة ذات اليوم وردتني اتصالات هاتفية على تلفون الاتحاد تشير إلى جرأة هذا النص، قلت للمتصلين لا تثيروا ضجة، ودعوا الأمور تسير بشكل طبيعي، وفي نفس اليوم جاءني إلى الاتحاد عنصران من جهاز المخابرات، وبدءا معي ما يشبه التحقيق، إلا أنني دافعتُ بقوة عن النص وعن موقفي وموقف علي السوداني، وقلت إن التأويل متاح للجميع والقضية بعيدة عن التصور الذي ذهبا إليه.

وفي لحظتها شعرتُ بالخطر الذي يحدق بعلي السوداني، فسارعتُ بالذهاب إليه في شقته الواقعة ضمن الشقق السكنية للجيش الشعبي قرب ملعب نادي الزوراء في الكرخ قريبًا من مقهى البيروتي، كان علي نائمًا، فأخبرته بما حصل، وعليه عدم البقاء هنا، فهيأ نفسه وقصد الإسكندرية حيث صديقنا ركن الدين يونس، الذي كان يعرف المغامرة التي حدثت، وأزمة علي السوداني الذي قرر السفر إلى عمان، ولكن كيف يحصل على جواز سفر وهو الهارب من الخدمة العسكرية، فما كان من ركن الدين إلا أن يستنجد بحمزة شقيق عباس الجنابي، الذي بذل مجهودًا كبيرًا حيث جلب كتاب تسريح من الخدمة العسكرية، صادر من تجنيد قضاء المسيب، علمًا أن هذه الدائرة لا علاقة لعلي السوداني بها،

ولكن من أجل تمشية الأمور والحصول على الجواز الذي ترتب بعد عرض الدعوة التي كنت قد جلبتها له من عمان.

وبعد صراع نفسي عميق، استطاع علي الحصول على الجواز والسفر الفوري إلى عمان، وقد نجا فعلاً، لأنه في نفس اليوم الذي ذهبت به إليه في شقته، جاءه رجال أمن للقبض عليه.

• سمُّ التأويل

نشرتُ في وقتها مقالاً حول تأويل النص والاجتهاد فيه وكان يحمل عنوان «سمُّ التأويل»، وهو في حقيقة الأمر دفاع عن موقفي من نشر القصة:

....

للنص الحديث ملاجئ تختفي فيه إشاراته، وتحاول التمترس بممكنات اللغة الحديثة، فالنص الحديث خرج عن القوالب والأُطر التقليدية ليقترح ويولّد شفراته التي لا تعتمد إلا على حذق المتلقي ووعيه وانجذابه المخلص للنص، ولأن (الحقيقة) التي يسعى إليها المبدع عبر نصه تنضوي تحت هذه المسلّمات الجديدة، فقد أصبح الافتراض بابًا من أبواب تحديدات ماهية النص وعلاقته بالآخر، هذه الهلامية جعلت التأويل - الذي يحاول النقد الحديث تجاهله، وجعله من دواعي القراءة الساذجة للنص - عنصرًا مُزعجًا بل مُعيقًا لحرية المبدع، لاسيما وأن التأويل يذهب غالبًا إلى التوجهات الأخلاقية والتربوية والسياسية في أغلب الأحيان، لأن المبدع لا يتورع من السقوط في استدعاء الممنوع من لغة التعبير، وذلك يجر النص إلى مُساءلات تضعه في قفص الاتهام.

ولأن النص الجديد غير مشروط بانتماءات محددة لأنه بذلك سيفقد هويته - الحداثوية -فهو معني بتقديم إلماحات جديدة تسهم في نقل التعبير من مستوى فني مشخص ومعروف - تقليدي بالضرورة - إلى مستوى فني آخر يجيد المخاتلة والتمويه لنقل المتلقي إلى ضفة ذهنية جديدة هي المبرر الحقيقي لوجود النص الجديد، وعليه يبتعد المبدع -لحظة الكتابة - عن القصدية التي تفضي إلى التأويل المحدد.

ولا أعني بذلك أن المبدع يتوجه أو يتبنى فكرة (الكتابة الآلية) التي أرسى دعائمها السرياليون في بياناتهم وطروحاتهم النظرية، بل يُخضِع أدواته المعرفية وموهبته إلى سر يعرفه هو وحده، وسر الكتابة هذا لا يأتي من فراغ - وهناك تصور نقدي ونظري واسع حول هذا المفهوم سأضيئه في مرات قادمة - وإنما يتدفق من عمق الفهم الجديد والتصور الحديث للنص وكيفيات بنائه.

ولأن التأويل، عنصر مضاد ومتخلف، إذا تبناه المبدع، لذلك يمكن إقرانه بمفهومات بعيدة عن الجمال وذائقته بالدرجة الأساس، لأن النص الحديث نص جمال لا نص أيديولوجيا، وبما إنه هكذا، فهو لا يصغي لتأويلات يذهب أغلبها لتفسير الجمال، والجمال - كما نعلم - لا يفسّر.

إن سُمّ التأويل يغيِّب نصوصًا كثيرة، ذلك أنه يشير إلى أبواب يستنكرها النص ومنتجه، لأنها ضد هدفه، وعلينا -قُراء وكُتّابًا - أن نعامل النص بتصورات تنتمي للجمال،

والإحساس الفني به وفتح النوافذ على إشاراته التي تبدأ بتحديد الإيقاع الجديد للنص – ولا أعني الوحدات الصوتية للغة – بل إن هناك ترديدات ثابتة لا يمكن تأشيرها بالأسلوب الرياضي المعتاد، بل بحاجة إلى توحد موسيقي خاص مع أدوات النص، والممر الذي يسير وصولاً إلى نسغ يبتعد عن سطح المفردة ويدخل إلى روح الدلالة لا إلى علاماتها الساذجة، على اعتبار ان لغة الإبداع – في الشعر تحديدًا – لا تنتمي إلا صوريًا للغة العادية – قراءة وتعبيرًا وكتابة – وهي بالنتيجة لا تخضع للتأويل السائد الذي يسبغ عليها أخلاقية ما!

جريدة القدس العربي

يوم ٢٧ آب ١٩٩٤

....

خرج علي السوداني من العراق، أمَّا أنا فقد تمَّ اعفائي من مسؤولية القسم الثقافي في جريدة القادسية وتعيين الزميل الشاعر يونس ناصر عبود بديلاً عني.

• عتّالو الظهيرة

قصيدة (عتّالو الظهيرة) أصر الصديق الشاعر خالد مطلك على أن يكتب إضاءة لها مع نشرها في جريدة القادسية يوم ٥ تشرين الثاني عام ١٩٩٥، قال فيها:

الحق أنها ليست إضاءة، ذلك أن الشعر يُضيء ذاته بذاته، لكنها وقفة عند تجربة منذر عبد الحر الشاعر الذي يصر على إحياء مدينته الشعرية بنهره الذي يحفره بإبرة مجهرية.

منذ (قلادة الأخطاء) مجموعته الأولى، ومنذر يخترق التيار الحديث في الشعر العراقي غير عابئ بما يجري حوله، متوحدًا مع أناه الشعرية، متوافقًا معها، لم أتذكر له يومًا من الاستسلام واليأس والتردد، بثته الغربة في شوارع بغداد وفنادقها وساحاتها، غير أنه تحاشى أرصفتها ومصاطب بطالتها.

اليوم وأنا أقرأ له هذا النص الجديد، وجدتني مجبرًا على التعليق فالتمسته وكان لي ذلك، إذ أن كل نصوصه السابقة تستدعي مراجعة التجربة كاملة، إلا هذا النص، فهو خلاصة التجربة برمتها، ولو لا خشيتي من الاقتراب من الأسلاك الشائكة التي وضعها حائلاً بين خصوصياته، لكنت قد انطلقت من حياته التي أ عرف - بحكم صداقتي الحميمة له - لأسحب جُمله إلى وقائع حياتية كثيرًا ما تذكّر بحياة

الأفذاذ من الشعراء، إلا أن ليس لي إلا أن اتنحى جانبًا لأدير مرقبي باتجاه تجربة منذر فاحصًا، محتاطًا، متدبرًا، متيقنًا إنها واحدة من التجارب التي سيكتب لها البقاء بعد أن تتوقف العربات الفارغة في منتصف الطريق.

عتّالو الظهيرة

الوحيد...
سحب الظهيرة بأسنانه
وانزوى
يفكّ عرباتها
ويوزّع الوصايا على عتّاليها

....

الوحيد...
حين يوصد مشارط المدينة
ويفتح عينيه على القرابين
تحفّ به الألغاز
وتأخذه إلى فرح مشروط

....

الوحيد...
له غناؤه
وعويل أصدقائه
وكؤوس عوانس
يغمض أجفانه على أدعيتها
ويمضي بصيده
إلى ساحات
يخرج الليل فيها
من وردة يترنّح
ويتجول فيها الموت
بساقين من جوع
له أسماء
وتضاريس
وحواة مريدون
يخبئون أدرانهم بالمخاوف
ويعدّون أسلحتهم
لمساء
يتسوّل النجوم
ويضع لهم القمر على الموائد

....

الوحيد...
تدلّه الأمهات إلى الشواهد
فيدفع بعربته إلى الشرفات

يرى فيها...
مواءً
وأزيزا
وطفولات
يلوّح لرغباته
ويضئ جنونه بالتبغ
له مناديله
وجثث أبنائه
ودموع الغرقى بأعياد
يسكبها عليهم شتائم

....

الوحيد...
التفّ عليه العتّالون
وأطعموه نداء
أوصل أكتافهم إلى خشية
تعرّتْ بخجل
وذابت في أوانيهم
رأى المدينة قببا
ومشعوذين
وسراة تأبّطوا الأخطاء
وساروا بها إلى أقبية أمنياتهم
وفي السبات
استظلّوا بفتن اللهفة

على وجوه العابرات من وحشتهم
حتى مرافئ خانقة

....

الوحيد...
يخفي هزائمه
ويتعقّب الطرق
التي تبثّ التماثيل
وتنسج الخرائب
بأصابع من نار
يتبعه العتّالون
بحروب منسيّة
وبحار مخبأة في الحقائب
وأجنحة من نرد
وغياب
وقرى بعيدة
يأتي
يتمتم بثياب فارغة
ونياشين وهم
تشير إلى الأعشاش وتفرّ منها
يبعثر أحلامه في الدخان
ويفتح على الرثاء أبواقا
مبحوحة

....

....

الوحيد.....
حمل قبّعته بيد
وانكساره بالأخرى
زحف إلى النهر
يبحث عن مدينة
بعناقيد ضوء
وعتّالين
يفرشون الظهيرة
ويقيمون فخاخًا للوهم
وحروبًا
لا تؤدي إلى مساء!

....

• حول قصيدة (عتّالو الظهيرة)

مَرَّ أخي الأصغر مني كنعان - رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته - بظروف صعبة أثَّرت كثيرًا على عائلتنا، فقد زجَّ نفسه بإشكالات مالية، بعد أن كان يعمل شريكًا لابن عمي غانم في محل للكهربائيات وتصليح أجهزة التكييف التي كان يجيدها أخي المتفرغ للعمل في المحل بعد أن ينهي دوامه في معمل البتروكيمياويات في البصرة، أما غانم فقد كان ضابطًا وقد ترك أمر المحل بشكل كامل لأخي، ويتحاسبان حول الوارد نهاية كل شهر.

لم يكتفِ المرحوم كنعان بما يحصل عليه من العمل، فلجأ إلى جمع الأموال من بعض الأصدقاء والمعارف من أجل تشغيلها وإعطائهم أرباحًا عليها، ومضت الشهور الأولى كان يجمع المال، ولا يحصل على مجالات مناسبة لتشغيله، لذلك كان مضطرًا لتسليم الأرباح الشهرية لأصحاب المساهمات المالية معه، وبعد مدة وجد نفسه غير قادر على سداد الأموال التي صارت كبيرة جدًا، لذلك لجأ جميع الذين تعاملوا معه للضغط عليه من أجل إعادة أموالهم، مما اضطره لبيع البيت وبيع كل ما نملك، وامتد الأمر إلى الشكوى عليه من قبل أحد التُّجار من أهالي «طوز خورماتو»، وتم إلقاء القبض عليه وتسفيره إلى مركز شرطة الطوز.

هذا الأمر أحزن والدتي وهي تراه بهذا الموقف المحزن وكان قد تورط بالزواج وأنجب ولده الكبير محمد، لذلك جاءتني إلى الفندق في بغداد هي وأخي حازم، وطلبت مني أن أذهب إليه وأكفله كي يُطلق سراحه، طمأنتها لتعود بعد أن قضت ليلتها مع أخي حازم في غرفة من غرف الفندق.

وفعلاً ذهبتُ إلى صديقي الطيب الصحفي المثابر فاروق علي عمر الذي كان يعمل في الصفحة الأخيرة في جريدة الجمهورية، الذي فارق الحياة مبكرًا رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته، كان مسكنه في طوز خورماتو، شرحتُ له الأمر وقال: (لنذهب معًا).

وفعلاً ذهبنا إلى مركز الشرطة وكان لديه معارف فيه، وحضر المشتكي، واضطررت لتوقيع كمبيالة له بمبلغ مائة وخمسين ألف دينار مقابل تنازله عن الشكوى، وهكذا أطلق سراح كنعان وذهب معي برفقة النبيل فاروق الذي أكرمنا في بيته، وقضينا الليلة معه لنعود في الصباح إلى بغداد، حيث سافر فورًا إلى البصرة لطمأنة والدتي الحزينة عليه.

في هذه الأيام؛ وكان مصير أهلي بعد بيع المنزل مجهولاً صعبًا؛ التقيتُ بالصديق الكاتب وشاعر الأطفال محمد حبيب مهدي، قال لي: (عندي بيت لم يكتمل في منطقة النهروان، بالإمكان إسكان أهلك فيه بدون أي مقابل). وعليه اتصلتُ بأخي كنعان وبلَّغته بهذا الأمر، وفعلاً حملوا أغراضهم وجاؤوا بسيارة كبيرة لوري، لينقلهم إلى السكن، ولكن المشكلة كانت بأجرة اللوري البالغة في حينها أربعون

ألف دينار، بقيت حائرًا في تسديدها، لكنني حللتُ الأمر بعد أن ذهبت إلى الصديق الشاعر منصور عبد الناصر، الذي وضعنا منشورات دار الأمد في مكتبته الكبيرة في الباب المعظم، أخذت منه المبلغ مقابل الكتب وسلمته لصاحب اللوري.

بعد ذلك بدأت الأمور تتعقد في حياتي، حيث التزامي بتأمين المصروف اللازم للعائلة، على الرغم من أن أخي منصور كان يحاول العثور على العمل في البناء، لكنه لم يستطع وجود هذه الفرصة.

وفي أحد الأيام وبينما كنت أُريد مغادرة الاتحاد معي الشاعر أمين جياد صادفتنا عودة الشاعر رعد بندر الذي كان رئيسًا في حينها، ومعه الشاعر طالب كريم، قال لنا رعد أنا وأمين: (تعالا معي، أُريدكما في أمرٍ ما). صعدنا في سيارته وانطلق بنا إلى حي المأمون حيث المكتب المهني. بصراحة شعرت بالضيق، ولكن ماذا أفعل وأنا الآن في وسط المبنى، دخلنا إلى قاعة كبيرة، وقال لنا أحد المتحدثين عن طريق الميكرفون: (السيد الرئيس يطلب لقاءنا، ستبقون جميعًا هنا حتى تأتينا إشارة الذهاب لمقابلته). وكان المطلوب عددًا من أعضاء قيادات النقابات والاتحادات، لذلك كان على طالب كريم أن يبقى في القاعة ولا يغادرها، لأنه عرف معلومة اللقاء.

بقينا في القاعة ساعات، حتى أبلغنا بالصعود في حافلات كبيرة، والتوجه نحو القصر الجمهوري، وصلنا إلى قاعة

مكشوفة هي عبارة عن ملعب لكرة السلة، وقد وُضعتْ فيها خشبة مسرح مع الكراسي. جلسنا على المدرجات أنا ورعد وأمين، وانتظرنا حتى حل المساء ليدخل علينا صدام حسين ببدلة عسكرية ومعه رئيس ديوان الرئاسة وعبد حمود، بدأت الهتافات والتصفيق من الحاضرين ثم جلس وتحدث عن الاستفتاء المفتعل الذي فاز فيه في حينها وقال في بداية حديثه إنه (يوم الزحف الكبير) هكذا أسميناه، وبدأ يتحدث ويقاطعه التصفيق والهتافات. بعد حديثه قال: (تفضلوا الآن على العشاء، وبعدها نستمع لمن يريد الحديث منكم).

ذهبنا إلى العشاء الفاخر جدًا في حدائق القصر الجمهوري، وكان الشاعر رعد بندر مشغولاً بكتابة قصيدة من أجل القائها، وقد طلب من أفراد الحماية ورقة وقلمًا وبدأ يكتب ويتلو على مسامعي كل بيت ينتهي منه، ولم يأكل في حينها إلا القليل، وبعد الانتهاء والعودة لمكان التجمع قال صدام حسين: (الآن نفتح باب الحديث لمن يود ذلك وسنبدأ بالشعر ونسمع ما كتبه الشاعر رعد بندر). هكذا كأنه يدري بأن رعدًا يريد إلقاء قصيدة.

وفعلاً توجه رعد بندر للمنصة الموضوعة قريبًا من خشبة المسرح التي يجلس عليها صدام ومن معه، وقرأ قصيدته النونية التي جاء فيها بيته (بيرية الراس التي تزهو بها... هي عند ربك أعظم التيجانِ)... ذكرت هذا البيت لأنه عرَّض الشاعر رعد بندر لمضايقات من الأمن الأردني عندما سافر إلى عمان.

المهم انتهى اللقاء، وغادر صدام القاعة، وجاءت الحقائب الكبيرة لتوزيع المظروفات التي يحمل كل واحد منها مبلغ خمسين ألف دينار، وبدأت المناداة على أسماء الحضور واحدًا واحدًا لتسليمه المبلغ الذي انقذني فعلاً.

انتظرتُ الصباح بفارغ الصبر لأشتري (ݣونية) طحين مع مؤونة كاملة، أخذتها في سيارة أجرة إلى النهروان، أنزلت الأغراض وقبّلتُ يد أُمي وأعطيتها معظم ما تبقى من المبلغ.

وبعد مدة ليست طويلة جاءني الصديق محمد حبيب مهدي وطلب مني أن نخلي البيت لحاجته إليه، وقد اسودت الدنيا في عيني إثر هذا الأمر المفاجئ.

تحت هذا الظرف القاسي، وُلِدت قصيدة «عتالو الظهيرة» والمواجع التي أنتجتها ولمّح لها الشاعر خالد مطلك في إضاءته للقصيدة.

بعد أن ضغط علي الصديق محمد حبيب مهدي لحاجته إلى البيت وهو قد منحنا إياه مدة في مبادرته رائعة له الشكر دائمًا عليها، كان لابدَّ لوالدتي وأخوتي وعائلة كنعان التي ازداد أفرادها، أن أجد لهم مكانًا آخر للسكن، وكان الحل أن أخي كنعان الذي صار أمر تواجده في البصرة محفوفا بالمخاطر بسبب الديون التي تراكمت عليه، لذلك طلب نقله إلى معمل الفوسفات على ما أظن في منطقة (حصيبة) غرب الوطن، ومع هذا النقل كانت له فرصة الحصول على مسكن من الممكن أن يؤوي العائلة كلها.

وفعلاً مضت عائلتنا المجاهدة إلى الأنبار، وسكنوا في المكان الجديد، فيما بقيتُ أنا على وضعي وسكني في الفندق الذي تتراكم الديون علي فيه.

وفي الليلة التي تزوج فيها الصديق خضير ميري من الأخت الصحفية إسراء خليفة التي كانت تعمل معنا في جريدة الثورة في قسم التحقيقات، حضر إلى الاتحاد الرجل الذي وقَّعتُ له كمبيالة بمبلغ مائة وخمسين ألف دينار، وقد التقى به الشاعر جواد الحطاب وكان أمينا عامًا للاتحاد، وكذلك الشاعر خالد مطلك أمين الشؤون المالية والإدارية، وقد هدأوا الرجل واستقبلوه وطلبوا منه الصبر على حصوله على ماله، وتعهد له جواد الحطاب بأن يكون هو الضامن لي.

وهكذا عاد الرجل إلى طوزخرماتو ومضت ليلة زواج خضير بسلام لنحتفل معه احتفالاً كبيرًا شارك فيه مطربون معروفون منهم عبد فلك وحسن بريسم وقاسم ماجد وجواد محسن مع الشاعر حمزة الحلفي، وقد قدَّم الاحتفال الإعلامي الراحل أحمد المظفر.

في الأيام التالية بدأت حياتي تذبله...

بعد ذهاب عائلتي إلى حصيبة مع أخي كنعان، تفرغت للعمل في الاتحاد، وكانت مواجهة لا تخلو من صعوبة مع الساعين لإفشال الدكتور نجمان ياسين، حيث شعر الذين جاؤوا به ليكون جسرًا لعودتهم إلى قيادة الاتحاد بعد سلبه منهم من قبل جماعة الشاعر رعد بندر، إنه ليس سهلاً وليس

كما أرادوا، فقد عمل بجد واجتهاد وحرص على أن يكون قائدًا للمنظمة التي تصدى لمهمة رئاستها، وكنت أنا معه في كل خطوة، وأنا قد عرفت ما حصل بينه وبين (ح) الذي أراده أن يكون طيِّعًا بين يديه، وحرَّكوا عليه الأمين العام الذي لم يكن مقبولاً بشكل مقنع لدى الأدباء لأنه كاتب سياسي وليس أديبًا.

في هذه الأثناء تمَّ طلب مواليدي لأداء خدمة الاحتياط في الجيش لمدة شهر واحد، حيث ذهبتُ إلى التجنيد في المدينة وتم تسويقي إلى معمل تصليح في معسكر الرشيد، وقضيت الشهر الصعب بدوام يومي مهلك لي. وكنتُ أذهب إلى مبنى الاتحاد في هذه الفترة فقط في مواعيد الأُمسيات الثقافية.

بعد هذا الشهر وعند إقامتنا محاضرة للدكتور هادي نعمان الهيتي في الاتحاد، سألني: (ما هي شهادتك؟)، قلتُ له: (أنا خريج معهد التكنولوجيا). قال لي: (لماذا لا تُكمل دراستك في الإعلام؟ وأنا الآن أستاذ فيه). وكان حينها قسم الإعلام تابعًا لكلية الآداب في جامعة بغداد.

بصراحة اقتنعتُ بمقترحه، وسافرتُ إلى البصرة لجلب وثيقة شهادة الدراسة الإعدادية، وفعلاً أنجزتُها بوقت قياسي، وذهبتُ إلى الدكتور هادي في قسم الإعلام الدراسات المسائية، وتم قبولي بمساعدته.

في هذه الفترة التي كانت تشهد صراعًا خفيًا بين الدكتور

نجمان ياسين من جهة والأمين العام وأتباعه من الأدباء من جهة أخرى، وكان العمل يجري من أجل التهيئة للانتخابات الجديدة، التي جاءتني تنبيهات من أكثر من شخص بأن لا أُرشِّح نفسي مجددًا، لأنني وقفت مع الدكتور نجمان.

لم أرد على الذين قدموا لي هذه النصيحة التي تنطوي على تهديد مهذب، وتواصلت نشاطاتي حيث أنشأت نادي أدب الشباب وتم تسلم مسؤوليته للشاعرين بسام صالح مهدي فائز الشرع الذين كان نشاطهما واضحًا متميزًا، بعد أن قدَّما نموذجًا لافتا في رابطة الرصافة للشعراء الشباب، وكنتُ أنا داعمًا لهما مع زملائهما من الشعراء مثل نوفل أبو رغيف وعارف الساعدي ورشيد حميد الدليمي ونجاح العرسان وغيرهم، من خلال إشراكهم في الجلسات والمهرجانات الشعرية، وكذلك في ملتقى تموز للشعراء الشباب السنوي الذي كان ظاهرة إبداعية لافتة حقًا.

وفي حومة الصراع والجدل حول الانتخابات المقبلة بين ثلاث جبهات، الأولى وهي الأضعف جبهة الدكتور نجمان وأنا معه، والثانية جبهة الذين جاؤوا به وهي الاقوى لأنها تضم أشخاصًا فاعلين في الدولة، أما الثالثة فكانت جماعة الشاعر رعد بندر الذين يرومون العودة أيضًا، أما الجبهة الرابعة التي دخلت ميدان الصراع فهي جبهة الشاعر لؤي حقي وكانت تضم مجموعة من الشعراء الشباب، أقول في حومة هذا الصراع، أجرى معي الصحفي المشاكس الدؤوب ناظم السعود حوارًا شاملاً تفصيليًا أخذ صفحة كاملة

من جريدة المصور العربي، وكان عن الاتحاد والصراعات والخلافات، وموقف المجلس المركزي، وقد كانت إجاباتي دقيقة مسؤولة فيها جانب مهم من التهدئة الإعلامية للجميع.

• محنة قصيدة النثر

كثُرت في السنوات الأخيرة الملفات التي تبحث وتهتم بقصيدة النثر وما حقَّقته على أيدي شعرائها؛ الشباب تحديدًا؛ وها هي مجلة الشباب الغراء تطالعنا بملف آخر يعنى بالأمر ذاته.

ولأنني حريص على أن أكون واضحًا في تشخيصي العام لهذه الظاهرة والإشارة والحوار مع صديقيّ الشاعرين حسن النواب وسعد جاسم، حول ما ذهبا إليه في السطور القليلة التي وضعتهما في زاوية من الإحراج فقالا آراء لا تخلو من التسرّع والعجالة، فهما شاعران مهمان على صعيد التجربة الراهنة للقصيدة الحديثة ولهما في ذلك قول أوسع حين يريدان التحدث عنها.

أقول إن المقترحات التي وجهَّها الشاعر حسن النواب، مقترحات أي عمل إبداعي ولا خصوصية فيها، مما يجعل القول بها عامًا لا يُلائم التجربة الذاتية التي هي المشروع الشعري للنواب، كما أن استشهاداته جاءت فقيرة وغير دقيقة، ولي في هذا كلام أوسع، أما الشاعر سعد جاسم فقد قوَّم تجربته بانفعال غير مبرر وتحدث عن نتائج شخصية في الشعر لم تحسم بعد، وهو في رأيي أمر لا يخصه لأنه معني بخلاصات نصوصه المقدمة حسب، أما قيمتها الفنية وفعل

تأثيرها فهي من اختصاص الآخر - ناقدًا أو متلقيًا -.

إن الخدعة التي اسميناها؛ نكوصًا؛ (قصيدة النثر) استهوت العديد من شعرائنا ونقادنا، فصارت هاجسًا محسوم التسمية مهلهل الاشتراطات سهل الاختراق، فيما بقيت النظرة إليها ضيقة لأنها اتكأت على مفهوم ساذج، بينما طرحت رؤى فنية مهمة ذلك أن المفهوم السائد هو (الشعر كلام موزون مقفى) والنثر هو ما جاء بغير ذلك، إذا من أجل هذا الإعلان السطحي جاءت تسمية قصيدة النثر وانضوت تحت لوائها كل التجربة الجديدة بغض النظر عن اختلاف وتفاوت قيمة نماذجها، ألا يثير ذلك الأمر العجب؟

إذ كيف لنا أن نرفع لافتة بهذا الفهم السهل ونضع تحتها تجارب مهمة في الشعر؟

أنا لا أرى صحة هذه التسمية أولاً، ولا أرى أي مبرر لتقديم أي ملف خال من المحددات الخاصة للتجربة الشعرية الجديدة، التي أسميناها خطأ (قصيدة نثر).

إن الشعر الآن يقدم احتدامات مختلفة الاتجاهات ويشير إلى رؤى وعوالم ليس من السهل الوقوف على مفاتيحها، ولا يمكن لنا نُسلِّط عليها عينًا تقليدية تبحث عن القول الجاهز والرؤية ذات البُعد الواحد، وهذا ليس قولاً جزافًا، أو يحمل من المزايدات شيئًا، لأن النص الجديد -غير المُسمى بعد- أفاق من غيبوبة الآلية والخدر. وخرج إلى فضاءات شاسعة من التعبير والبوح وقلق الأسئلة.

لقد ذكرتُ في بحث سابق عن الشعر الجديد، بأن النص الشعري الآن هو نص يائس، وعنيتُ بذلك إنه يتوجه إلى ذاته، وينطلق إلى الأشياء حسب محددات تلك الذات، لذلك تنشأ الاستجابة إليه والتخاطب معه متأخرة، ليجد الشاعر نفسه عندها غريبًا مُحاطًا باليأس الاجتماعي الذي يقوده إلى هاجس تعميق النص وإضاعته أكثر وعدم الاكتفاء بالحدود المشترطة لمعادلة نجاح أو فشل النص، أي بعيدًا عن الوقوع في مطب الأيديولوجيا الفنية، وعليه أدعو إلى أن يأخذ هذا الملف سياقًا آخر في المعالجة، وأن لا يكتفي بهذه الجذاذات الصغيرة المتعجلة للإحاطة بتجربة (قصيدة النثر)، وأن نبدأ أولاً بدراسة المصطلح وخلق حوار جاد حوله، وصولاً إلى الأنموذج الشعري دقيق الاختيار، إذ أنني طالعتُ في صفحتي الملف نصوصًا ذات اتجاهات فنية متقاطعة، ولا جامع لها سوى فكرة غياب الأوزان الشعرية، وهذا أمر غير دقيق ولا يؤدي الوظيفة المتوخاة من هكذا فعل ثقافي.

....

نُشِر في مجلة الشباب عدد تشرين الثاني ١٩٩٥، وهو مقال حول ملف عن قصيدة النثر نشر في العدد السابق لهذا العدد.

• مغامرة تلّ بريدان

في أحد أيام منتصف التسعينات جاءني إلى الفندق عاشق الأدب الفتى الميساني الطيب عباس رمح، ومعه صديقان من مدينة خانقين، قال لي: (نريدك أن تنتصر للفقراء، باعتبارك أديبًا وصحفيًّا، وفقيرًا أيضًا).

بصراحة استفزتني هذه الدعوة الغريبة التي كانت صادمة لي، فمن أنا كي أنتصر للفقراء؟

المهم جلسنا معًا، وسألتهم عن ماهية الموضوع الذي قصدوني به كي أفهم أبعاد هذه الدعوة الغريبة، وعرفتُ حينها أنهم اشتبكوا مع عصابة لتهريب الآثار في مكان بعيد عن أعيُن السُّلطات، وهذا المكان يُمثِّل تلاً أثريًا غريب الشكل تحيط به بحيرة من جميع الجهات، وأنهم حاولوا أن يوصلوا الأمر للجهات المعنية، علمًا أنهم عثروا أيضًا على بعض اللقى الأثرية الثمينة وهناك خشية من قبلهم في الذهاب إلى إدارة لمتحف العراقي خشية مساءلتهم عن هذه القطع. أما أفراد العصابة فقد استغلوا ضعفهم وفقرهم وطردوهم من المكان، وقالوا لهم: (ابحثوا عن سدّ جوعكم في مكان آخر).

وهكذا جاؤوا لي باعتباري صحفيًا وبالإمكان الوقوف معهم، أما قضية الفقر والفقراء فهو مدخل استفزازي لي

كي أتحمَّس لهم، وبالفعل فأنا لم أسكت، وذهبتُ إلى مدير المتحف العراقي وكان يومها الدكتور مؤيد سعيد، أبلغتُه بما تحدثوا لي به، وطلبتُ منه أن يتدخل المتحف في الأمر، وأن يضع اليد على الموقع لأنه ثروة وطنية ولا يمكن تركه نهبًا للصوص والمهربين، كما أخبرته بخشية عباس رمح وجماعته من تسليم ما عثروا عليه للمتحف، فطمأنني وقال: (سنمنحهم مكافأة مالية مجزية عند تسليمهم ما بحوزتهم، أما الموقع فاتركه لنا نحن نتصرف). قلتُ له: (أُريد مرافقة كادركم باعتباري صحفيًا). قال: (لن نرسل كادرًا في هذه الفترة). وعلمتُ إنه لا يريد إعطاء الموضوع الجدية التي توقعتها منه باعتباره معنيًا بالأمر لسببين، أولاً لأنه مختص بالآثار، وثانيًا لأنه مدير عام المتحف العراقي.

لذلك قررتُ الذهاب بمعية عباس وجماعته إلى إدارة المتحف العراقي في ديالى، وهذا الأمر شجَّعني عليه عباس بعد أن سلَّم المقتنيات الأثرية وتسلّم مقابلها مبلغًا جيدًا، وفعلاً استأجرنا سيارة «كيا» ورافقتنا في هذا المشوار الأخت الصحفية والشاعرة نجاة عبد الله التي كانت تعمل في مجلة ألف باء، حيث تحمست للأمر الذي لم يكن حينها يخلو من مغامرة ومخاطر.

المهم ذهبنا إلى مديرة المتحف في ديالى، وأبدت حماسها لمشاركتنا في الذهاب إلى الموقع وتوثيقه وتصويره والكتابة عنه، وقد حملنا معنا بنادق ومسدسًا وذهبنا إلى الموقع، الذي كنا نتوقع أن نصطدم فيه بعصابة المهربين، لذلك

كانت هذه الجولة هي أجرأ جولة صحفية قمتُ بها في حياتي.

انطلقنا بسيارة الكيا من دائرة الآثار في ديالى، معنا مديرة الدائرة، قطعنا حقولاً جميلة من المحاصيل الصيفية، ووصلنا إلى الموقع الذي يبدو مدهشًا، حيث التل الغريب المنتصب كأنه جزيرة وسط بحيرة رقراقة، كانت هناك خيمة منصوبة بمحاذاة جرف البحيرة، قال لنا عباس: (هذه خيمة عصابة اللصوص).

ترجلنا وتوجهنا إلى الخيمة يتقدمنا اثنان من جماعة عباس، وهما يحملان السلاح وقد أنزلا صمام الأمان كي يكونا جاهزين لأي موقف محتمل، كنت أنا وعباس خلفهما، وخلفنا نجاة عبد الله ومديرة دائرة الآثار وخلف الجميع كان السائق يراقب الموقف أيضًا، لم تكن هناك أية حركة في الخيمة، بعد أن سعينا لاستراق السمع، من أجل التصرف الحكيم المناسب، دخل الاثنان الذين أمامنا قبل الجميع، ثم نادى أحدهما علينا لنجتمع كلنا في الخيمة، التي كانت تحتوي على مستلزمات بسيطة أهمها «الجولة» و «قوري الشاي» والأقداح التي تبدو كأنها قد اُستخدمت قبل مجيئنا بمدة قليلة. قال عباس: (أتوقع أنهم شمّوا خبر مجيء أحد ما فهربوا من الموقع).

كان هناك قارب صغير على الشاطئ، اجتمعنا فيه كي نصل إلى التل الذي يبدو مصنوعًا، لدقة زواياه وشكله الغريب، عند وصولنا إليه اكتشفنا أنه يضمُّ غُرفًا وأنفاقًا وممرات، عرفتُ فيما بعد، وعند رجوعي إلى بعض المصادر التاريخية

أن هذا التل يدعى «تل بريدان»، أو ربما أخذ تسمية أخرى، المهم أنه (كان سجنًا ومنفى نظرًا لأهميته التاريخية وبعد أن تعرض الموقع لعدد من عمليات الحفر غير القانونية، فقد بدأت عمليات الحفر والتنقيب فيه بشكل رسمي عام ١٩٣٥ و١٩٣٦، وذلك من قبل فريق من المعهد الشرقي في شيكاغو بقيادة سيتون لويد؛ حيث كان في الفترة ذاتها يعمل في كل من منطقتي اشنونا وخفاجة، وكانت جهود التنقيب الأولية ترتكز بشكل أساسي على المعبد الديني القديم الكبير الموجود في الموقع والمعروف باسم معبد الشرع؛ حيث يغطي مساحة تعادل ٦٠ متر مربع ويحيط به حائط بعرض ٦ أمتار مع دعم كبير، ونظرًا لتآكل غالبية أجزائه فقد كانت الدراسة ترتكز بشكل أساسي على الجزء الغربي فقط، وقد أسفر ذلك عن اكتشاف مجموعة من الحبال، والحجارة، ونفق كبير يشير إلى الهجوم الذي تعرض له هذا المعبد في عصر فجر السلالات، ناهيك عن مجموعة من المقتنيات الأثرية ومنها: عدد من مخابئ الكنوز، والأختام الأسطوانية، ونموذج عربة النحاس التي كانت تُستخدم قديمًا، وتمثال رجل راكع يحمل إناءً فوق رأسه، وغيرها الكثير).

المهم عُدنا من هذه الرحلة الجميلة حقًا، بعد أن حمَّلنا الفلاحون في المناطق الزراعية التي مررنا بها كميات من «الرقّي» الذي يمتاز بطعم ونكهة لا مثيل لهما، وكتبتُ موضوعًا صحفيًا مثيرًا أخذ مع الصور صفحة كاملة من جريدة الاتحاد الأسبوعية التي كان يدير تحريرها الكاتب

حمزة مصطفى، ونتجت عن هذا الموضوع ردود أفعال مهمة، كان لرجال الأمن ومسؤولي المتحف الوطني العراقي ووزارة الثقافة أدوار مختلفة فيها، حيث وجّه ضابط الأمن «أ. س» أسئلة لعباس رمح، لأنني ذكرت على لسانه حادثة إطلاق نار واجهته عندما حمل بعضًا من اللقى الأثرية الثمينة على الصاغة هناك كان قد جاء بها من تل بريدان، أما المتحف العراقي ومديره العام فقد وجهوا اللوم لي لأنني ذكرت عدم دعمهم لنا في هذه الرحلة، بينما كان موقف وزارة الثقافة هو الاعتراض على عدم إبلاغ الجهات المعنية في الوزارة حول هذه المغامرة الصحفية.

• المسار الجديد لاتحاد الأدباء

في عام ١٩٩٦ وبعد أن حدث تغيير جديد في مسار اتحاد الأدباء، حيث خطَّط الذين أُبعدوا بقرار من ابن الرئيس أن يعيدوا الاتحاد إلى وضعه الذي كان عليه، لذلك أدخلوا أشخاصًا من الأدباء البعثيين للتنافس على مقاعد المجلس المركزي، بعد أن أُلغي قرار شطر الاتحاد إلى اتحادين.

حصلت الانتخابات بإشراف عضو القيادة القطرية عبد الغني عبد الغفور الذي كان وزيرا للثقافة أيضًا، وبعد فوزنا - نحن الثلاثين فائزًا بعضوية المجلس المركزي -اجتمع بنا عبد الغفور في مبنى الوزارة كي ننتخب من بيننا رئيسًا وأمينًا عامًا ومكتبًا تنفيذيًا، وترشح للرئاسة الشاعر رعد بندر والقاص الدكتور نجمان ياسين، وقبل الاقتراع السري لاختيار أحدهما قال عضو القيادة القطرية: (مرشح حزب البعث العربي الاشتراكي الدكتور نجمان ياسين، فهل ترشح نفسك ضده يا سيد رعد بندر؟). أجابه الشاعر رعد بندر: (نعم أرشح نفسي للرئاسة، فأنا لست بعثيًا). عندها قال له عبد الغني عبد الغفور: (اكتب هذا الكلام في هذه الورقة) وأعطاه ورقة بيضاء من الأوراق التي أمامه. عندها أخرج رعد قلمًا أخضر من جيبه وكتب اعترافا خطيًا بأنه لا ينتمي لحزب البعث وغير ملزم بتوجيهاته.

بدأ الاقتراع السري ففاز فيه الدكتور نجمان ياسين بفارق صوت واحد عن رعد بندر.

وترشَّح لمنصب الأمين العام الشاعر جواد الحطاب، والكاتب السياسي هاني وهيب، وأيضًا فاز هاني وهيب بفارق صوت واحد.

فيما فاز بعضوية المكتب التنفيذي من التشكيلة السابقة فقط أنا والشاعر خالد مطلك.

بعد يومين من هذه الانتخابات المتوترة عدت من مقهى حسن عجمي إلى الفندق لأجد بانتظار ي قصاصة صغيرة كتبها خالد مطلك يقول نصها: (الرائع منذر عبد الحر يرجى حضورك في الساعة الثامنة صباح غد في مبنى وزارة الثقافة لإعادة إجراء الانتخابات).

وفي الصباح كنا مجتمعين في مكتب وزير الثقافة - عضو القيادة القطرية عبد الغني عبد الغفور، الذي بدأ كلامه بالقول إن هناك شكوى قدّمت حول أسلوب إجراء الانتخابات، لذلك سنعيد التصويت من جديد على المرشحين، وكان مع الحاضرين للاجتماع ممثل المكتب المهني خالد طبرة، الذي تدخل بالحديث، ليردّ عليه القاص عبد الستار ناصر - الذي كان حينها أحد الفائزين الثلاثين في عضوية المجلس المركزي - حيث قال: (من أنت لتتدخل؟). قال له طبرة: (أنا ممثل المكتب المهني للحزب). ردَّ عليه عبد الستار: (وما علاقتك بالانتخابات؟).

امتعض طبرة، ونظر إلى عضو القيادة، فيما وجَّه له عبد الستار ناصر كلامًا شجاعًا، حيث قال: (أما أنا أو أنت في الاجتماع، والحمد لله أنا لستُ في حزبك كي أتبع توجيهاتك وأوامرك).

فما كان من عضو القيادة، إلا أن يطلب من طبرة المغادرة، حيث خرج من الاجتماع غاضبًا.

لتُعاد الانتخابات وتكون النتائج نفسها، حيث فاز الدكتور نجمان ياسين برئاسة الاتحاد وبفارق صوت واحد فقط عن الشاعر رعد بندر، وكذلك الأمين والعام والمكتب التنفيذي.

• العمل في جريدة الثورة مجددًا

بعد إقالتي من العمل في جريدة القادسية، عُدتُ مجددًا للعمل في جريدة الثورة، وكان رئيس القسم القاص والصحفي حاتم حسن.

كان القسم الثقافي يسمى مديرية الشؤون الثقافية في الجريدة وهو يضم عددًا جيدًا من المحررين، منهم: فاضل الكعبي وعبد العال مأمون ومحمد السيد جاسم وعباس لطيف ونهى الدرويش وازدهار سلمان ولمى منير جورج وخضير ميري وأنا. وكان القسم يتميز بالحيوية والصخب والحوارات الدائمة ووفرة النتاج الجيد، وكنا مثابرين فيه على التواجد والدوام.

وفي هذه الفترة التي حصل التغيير في الاتحاد فيها حيث تسلم الدكتور نجمان الرئاسة وهاني وهيب الأمانة العامة فيما تمَّ تسليمي أمانة الشؤون الثقافية التي أنشأتُ فيها نوادٍ للشعر والقصة والمسرح وأدب الطفل وأدب الشباب ونادي السينما، ووضعت برنامجًا بهذا النشاط، إضافة إلى ترتيب النشاطات المختلفة الخاصة بالمناسبات.

بصراحة كنت في البداية مترددًا من العمل مع الدكتور نجمان، الذي سمعتُ عنه الكثير من الأخبار غير السارة، تنم عن عنجهيته وصرامته وتشدده، ووووو... وبعد لقاءاتي

المتواصلة معه فنَّدتُ كل هذه المعلومات التي كان الغرض منها تشويه سمعته، فقد كان في غاية النُّبل والكرم والتواضع والثقافة الرصينة والحرص الشديد على الأدباء واتحادهم، وكان لقاؤه بصدام حسين مناسبة لأن يطلب ترميم المقر كي يكون لائقًا بالأدباء، وفعلا تمَّ ترميم المبنى ونقلت نشاطات الاتحاد إلى قاعة في المكتبة الوطنية.

وبعد عملنا الدؤوب في الاتحاد الذي كان الدكتور نجمان يقيم فيه وأنا أقيم في فندق العش الذهبي، اكتشفتُ أن الدكتور نجمان عرف الهدف من جلبه من الموصل إلى بغداد، وهو الأستاذ الجامعي الناجح في عمله وكان يردد دائمًا مقولة: (انا أسد في عريني) ولا أقبل أن أكون غير ذلك، لأنه علم أن تكليفه بهذا المنصب هو لسحب البساط من تحت أقدام الذين جاء بهم ابن الرئيس، وبعد ذلك الاستيلاء الكلي على الاتحاد وعودة الوضع القديم إلى ما هو عليه، أما عرابو هذا المشروع فهم معروفون.

الدكتور نجمان أصر على إثبات شخصيته والنجاح، لا كجسر لعبورهم كما أرادوا، بل بشخصه وكفاءته، وأنا كنت معه في كل خطوة نجاح يخطوها، لذلك قرَّر أصحاب مشروع جسر العبور أن يتحدثوا معي، كي لا أستمر بالمزيد من النشاطات التي تحسب لدورة الدكتور نجمان، وفعلاً استدعاني (خ. ط) وتحدث معي عن أن الدكتور نجمان يعمل لصالحه الشخصي فتوقف عن دعمه، عندها قلت له: (ولكنه مرشحكم كما أعلن عضو القيادة القطرية).

فقال: لي: (لا عليك، أنت عليك أن تنفذ ما نريد). قلتُ له: (وهذا غير ممكن، فأنا اعتذر عن تنفيذ أمر سيكون وصمة في تاريخي الشخصي فالمسؤولية الثقافية وضعت لأكون أنا منفذًا لها في الاتحاد، لذلك لن أفشل طالما كنتُ قادرًا على النجاح). ثم خرجتُ من المبنى الذي التقيت به (خ. ط).

كنتُ في كل عام أقيم ملتقى للشعراء الشباب، حمل اسم «تموز»، لي الفخر أنني قدَّمتُ فيه شعراء رائعين وفَّرتُ لهم فرصة المشاركة بقوة في مهرجان المربد الشعري وفتحت لهم آفاقًا واسعة في النشر والمشاركة في مهرجانات ومناسبات أدبية مختلفة.

أما جريدة الثورة التي كان القسم الثقافي، أو مديرية الشؤون الثقافية فيها، فكان يتحول نهاية دوام كل يوم إلى حفلة غناء وفرفشة يشارك فيها معظم العاملين.

• بداية كتابة قصائد المديح

في أحد الأيام القاسية من حياتي، حيث الضيق المادي ومخالب الحصار، جاءني ابن عمتي وزوج أُختي رافد إلى مقهى حسن عجمي وقال لي: (أمك يا منذر مريضة، وأخوتك لا يستطيعون تحمل علاجها، ونحن لا إمكانية لنا، لذلك يجب أن تحضر).

بصراحة شعرتُ بأن العالم أصبح أضيق من خرم إبرة في عيني، قلتُ له: (سأذهب إليها حتمًا، بعد أن أرتب بعض الأمور).

تركني وعاد إلى البصرة قبل حتى أن يجلس قليلاً معي.

المهم جلستُ صامتًا حائرًا، وبعد ساعة تمشيت إلى النهر، جلست على جرفه وبكيتُ بُكاءً شديدًا، وحدي، كي لا يراني أحد بهذه الحالة. ثم غسلتُ وجهي وعدتُ إلى الفندق، وذهبت إلى الاتحاد لأقدم مذكرة معونة مالية، وهي محدودة حتمًا بسبب إمكانية الصرف وصلاحية السيد رئيس الاتحاد الدكتور نجمان ياسين.

تسلَّمتُ المبلغ، وقبل خروجي من مبنى الاتحاد ناداني الأخ يوسف: (أستاذ منذر، التليفون عليك). جئت وأنا شبه منهار لا أعرف ماذا أفعل، كان على الخط أخي كنعان، أخبرني أن وضع والدتنا ليس بخير، وإنه سيجيئ بها إلى بغداد. قلتُ

له: (إذن سأنتظركم). قال: (نصحوني أن أذهب بها إلى مستشفى الكاظمية التعليمي). قلتُ له: (إذن أتوجه هناك كي أستقبلكما عند وصولكما بالسلامة إن شاء الله).

وقبل حلول المساء وصلا إلى المستشفى، احتضنتُ والدتي وبكينا معًا، ثم دخلت إلى المستشفى، وقد حجزت لها سريرًا، وكانت تحتاج إلى غسيل للكلية.

بِتنا معها أنا وأخي كنعان وأختنا الأصغر سارة، وفي الصباح أجروا لها غسيل الكلية.

غادر كنعان إلى البصرة، لأنه مرتبط بدوام رسمي، وبقيت سارة مع والدتي، وعدتُ أنا إلى الفندق، وبعد الظهر أخذتُ بعض الحاجيات البسيطة وذهبتُ للمستشفى.

استمرت الحال أيامًا، ونفد ما عندي من مال، وبدأت المعاناة والصراع مع النفس.

وفي يومٍ ما ذهبتُ إلى المقهى متأملاً أن أجد صديقًا من الممكن أن يعينني أو يسلفني مبلغًا معينًا، وأنا أعلم أن معظم أصدقائي يعانون ضائقة ربما أكثر مني، وجدت أربعة أصدقاء يلعبون «الدومينو» وأنا أعلم أن لعبهم مراهنة، وكلهم يمتلكون المال، قلت لهم باعتبارهم أصدقائي - لن أذكر أسماءهم هنا -: (هل من الممكن أن تسلفوني خمسة آلاف دينار؟) لم يرد علي أحدٌ منهم. انتظرتُ قليلاً وغادرت بصمت.

ذهبتُ من مقهى حسن عجمي قُرب ساحة الميدان إلى

مستشفى الكاظمية مشيًا على أقدامي، وكانت والدتي قد أجرت الغسيل الثاني للكلية، وهي بوضع في غاية الصعوبة، وقد طلبتْ مني المستشفى الحصول على مجموعة إبر لا تتوفر إلا في الصيدليات الأهلية، أخذتُ الوصفة وذهبت إلى أقرب صيدلية، كان ثمن الإبر خمسة عشر ألف دينار، وهو مبلغ كبير عليّ آنذاك، إذ لا يمكن الحصول عليه بسهولة.

المهم وصلت بشق الأنفس إلى صيدلية في شارع السعدون دخلت عليهم وسلمتهم الوصفة، ذكر لي الصيدلاني نفس الثمن، قلتُ له: (اعطني الإبر). قال: (والثمن؟) قلتُ له: (اطمئن، سأعطيك المبلغ).

أخرجتُ محفظتي وكان فيها هوية اتحاد الأدباء، وأنا عضو في المكتب التنفيذي فيه، مع هوية نقابة الصحفيين، وهوية جريدة الثورة التي ما زالت عندي.. قال: (ما هذا؟). قلتُ له: (هذه هوياتي، أتركها عندك حتى أجلب لك المبلغ، ولكن سلمني العلاج، فأنا بحاجة ماسة له).

الحمد لله اقتنع الرجل، أما أنا فذهبت إلى الصديق النبيل الشاعر والمترجم الفلسطيني أحمد يعقوب، وصلتُ إليه وشرحتُ له ما حصل. أعطاني مبلغ عشرين ألف دينار، وقال: (هذا ما أملكه الآن). أخذتُ منه المبلغ ممتنًا لأنه أنقذني.

مررتُ إلى الصيدلية وسلمته المبلغ واستردت منه هوياتي، وانطلقت إلى المستشفى، سلَّمت الإبر للطبيب، الذي سارع بإعطائها إلى والدتي.

مرَّت الأيام القاسية، المستفزة، حتى بدأت حالة والدتي تسوء، وقرر الطبيب أن يجري لها عملية غسل الدم، وقال لي: (أنا أُفضِّل نقلها إلى مدينة الطب، لأن وضعها حرج وإمكانية مستشفانا ليس بالمستوى المثالي).

عندها اتصلت بالصديق الناقد علي حسن الفواز الذي كان مديرا لإعلام وزارة الصحة وله مواقف مشرفة رائعة مع عدد كبير من الأدباء، اتصل مباشرةً بمدير مستشفى مدينة الطب، وطلب منه العناية بأُمنا وامتدحني بالرسالة التي وجهها اليه وتسلمتها أنا منه لأذهب بها فورًا إلى المستشفى حيث أخذت معي سيارة الإسعاف وجلبت فيها أمي التي كانت فاقدة لوعيها. وعلى الفور أُدخِلتْ صالة العمليات لإجراء عملية غسل الدم، وبعد الانتهاء من إجرائها نُقِلت إلى ردهة المرضى.

وعند الفجر، فارقت الحياة، ونُقِلت إلى ثلاجة الموتى.

كان معي أختي سارة وأخي الأصغر حازم الذي جاءنا ليلاً وكان ما يزال طالبًا في كلية الإدارة والاقتصاد في البصرة.

في الصباح وقفتُ أمام الثلاجة واحترت ماذا أفعل، كانت هناك سيارات أُجرة، سألت أحدهم عن أجرة نقل التابوت إلى النجف الأشرف، قال: (خمسة عشر ألف دينار). اتصلتُ عن طريق الهاتف العمومي بالصديق الشاعر علي حبش لأنني أعلم أن لديه سيارة، شرحت له الموقف، قال: (سآتيك، ولكن سيارتي بلا «سيبابة»، ولا أملك في بيتي

الآن حتى دينارًا واحدًا). المهم بعد قليل جاءني علي ووقف معي كي نفكر معًا في حل، حيث اتصلت بالمعماري والأديب الكردي خسرو الجاف، شرحت له الأمر، قال: (سأجيئك الآن انتظرني). وبعد قليل جاء خسرو وقال: (كم المبلغ المطلوب؟). قلت له: (خمسة عشر ألفًا). قال: (إليك مبلغ ثلاثين ألفًا، لأنك حتمًا ستحتاج للمزيد). شكرته وقال: (كاكا منذر هذا واجب وأنا لولا التزام مهم لي لذهبت معك). وأخذتُ منه المبلغ.

وفي هذه اللحظة جاءني ابنا عمتي عادل الكبير وأخوه وسام، وقال: (أنا أتحمل التكاليف). قلتُ له: (الحمد لله لدي ما يكفي). ثم رافقنا وسام إلى النجف الأشرف لدفن جثة والدتي.

طيلة الطريق كنت أبكي بُكاءً مريرًا على أمي الغالية التي عانت كثيرًا في حياتها ومرضها، وعلى مصيري الذي يزداد سوءًا، وأنا أركض خلف سراب.

وصلنا لمقبرة وادي السلام، دفنّا الجثمان الطاهر لأمي وتوجهنا إلى البصرة للقيام بمجلس فاتحة على روحها.

في تلك اللحظة اتخذتُ قرارًا مهمًا في حياتي، وأنا في مفترق طرق، أما أكون على شاكلة بعض الأدباء الصعاليك الذين ماتوا كمدًا وجوعًا وإهمالاً، وأما أن أكسب شيئًا من استقرار، وهذا الأمر يلزمني كتابة قصائد المديح لرأس السلطة للحصول على مكاسب مالية أعيش منها وأُسدِّد

ديون الفندق وديونًا غيرها، وكتبت قصيدتين الأولى من روحي، وهي «هديل مزمن» من قصائد النثر الموجعة، أهديتها إلى أمي وبدأتها بقصدية عميقة بـ(انحنيتُ... لأمسح الوحشة عن عينيك)

(إلى روح أمي الطاهرة)

انحنيت...

لأمسح الوحشة عن عينيك

....

وأنا ألتقط بذور الألم
رأيت جناحيّ
مبللين بدموعك
فانحنيت ثانية
لأرى صباحك الأخير
متدثرًا بالغيوم
ولا ينادي

....

انحنيت
باحثًا عن النجوم
التي تساقطت حول سريرك
فما وجدت
سوى جرح ذابل
وقبّرة محنطة

وحنجرة من ورق
أخذت منها طريقًا لصمتي
وبكاء
نثرته على تقويم حياتي

....

أصابعي
تتكسر في الرمل الذي لبسته
وأنت تتركين وصاياك
وترقبك على حافة القبر

....

كتبت على شاهدتك:
هنا... خمسون عامًا من الصبر
ويدان لوّحتا للأبناء
وعينان
غرقت فيهما سفن من الأحلام
وصوار عوانس
وطرق من اللوعة
والانتظار
وعربات طالما جرّت الشمس
وتعطلت في المدن
وهي تضمّد الفقر بالأدعية
هنا....

مواسم مخنوقة
وأضرحة... سبايا
وهديل مزمن
وقلب
دارت عليه حروب
فشيّد مآذن.

....

نُشِرت القصيدة في جريدة الثورة، وكانت «انحناءتي الحقيقية» التي ذكرتها مطلع القصيدة هي «انحناءة للحياة» في قصيدة المديح الأولى وهي من الشعر العمودي الرديء، نشرتها في جريدة القادسية، التي حصلت منها على أول مبلغ من الرئيس وهو ثلاثون ألف دينار، وما أن تسلمته حتى اتصلت بالنبيل خسرو الجاف، قلتُ له: (أُريد لقاءك كاكا خسرو، لأرد لحضرتك المبلغ الذي أنقذتني به). قال لي: (ما هذا الكلام كاكا منذر؟ المبلغ هو قراءة الفاتحة على روح المرحومة أُمك). عندها أخذتُ المبلغ وسدَّدتُ ديون فندق العش الذهبي، ثم أرسلت مبلغًا من المال إلى عائلتي، وعدتُ إلى حياتي وقصائدي التي تنتمي إلى تجربتي، التي شهدتُ فيها متغيّرات جديدة.

في هذه الفترة تمَّ فصلي أنا وخضير ميري من جريدة الثورة، لأسباب افتعلها ضدنا مدير التحرير والإدارة، وأوصلوا لرئيس التحرير الأستاذ سامي مهدي معلومات غير صحيحة

عنا، وبقيت متفرغًا للعمل في اتحاد الأدباء، وهو عمل مضنٍ ولا فائدة مادية مرجوة منه.

وبدأت معاناتي مع إيجار غرفتي في الفندق تتجدد، ومرَّت ثلاثة شهور وأنا لم أدفع، وبسبب خجلي من أصحاب الفندق الذين يحترمونني، كنتُ أخرج فجرًا قبل مجيئهم، وأعود ليلاً بعد ذهابهم، وحاولت استلاف المبلغ وهو خمسة وأربعون ألف دينار، لثلاثة أشهر، كان معي الصديق الشاعر سعد جاسم، حيث ذهبنا معًا إلى أكثر من صديق، حتى أخذني معه إلى الحلة لطرق باب أحد الموسرين الذي اعتذر هو الآخر، وصارت أزمة الفندق معروفة لمعظم أصدقائي المقربين الذين لا قدرة لهم إلا على مؤازرتي معنويًا، وكان الصديق الشاعر سلمان داود محمد لديه مكتب في منطقة السنك، وقد حضر إلى المقهى وهو متألم مما أعانيه، وقال لي: (لا أمتلك شيئًا أقدمه لحضرتك غير هذه الأدوات) - وكان معه آلة تسجيل ضخمة مع بعض الأدوات - (ربما نبيعها ونسدد جُزءًا من ديونك). شكرتُه على موقفه النبيل الصادق معي، وقلت له: (ستحلُّ الأزمة قريبًا بإذن الله). وبالفعل عند عرض البضاعة لم يُدفع فيها رُبع قيمتها، لذلك رجوته أن يعيد أشياءه، ولا تحل المشكلة في بيعها. كما أن الصديق القاص النبيل عبد الحسين علوان الدرويش الذي تربطني به صداقة متينة منذ أن عرَّفني عليه صديقنا المشترك محمد حياوي، قد جلب لي الدرويش مبلغًا من المال رغم تواضع وضعه المادي في حينها.

في هذه الأيام عاد الشاعر وليد صوالحة من عمَّان، وقد حرص على لقائي، وجاءني لاتحاد الأدباء، وعرَّفته بالدكتور نجمان ياسين الذي صار من أصدقائه المقربين. كان أبو العبد قد كرَّر عليّ السؤال حول وضعي المادي أو حاجتي لشيء، وكنت أجيبه بالشكر والامتنان خشية أمور وحسابات عديدة أتحسَّس منها.

ولكن في إحدى المرات، وبينما كنا في سيارته أنا والشاعر والمترجم حكمة الحاج، والشاعر كريم شغيدل، سألني حكمة: (ماذا فعلت مع الفندق يا منذر؟). قلتُ له باقتضاب كي أغلق الموضوع: (لا مشكلة في الأمر). ثم غيَّرتُ مسار الحديث إلى موضوع آخر. ولأن وليد صوالحة شديد الفطنة والذكاء، فقد تلقّف جوهر السؤال، وبدون علمي ذهب إلى الفندق وسأل إدارته عني، والحقيقة أنهم تحدثوا عني بغاية النُّبل كما قال لي لاحقًا، لكنه ألحّ عليهم، ليعرف منهم أنني مديون لهم بمبلغ ثلاثة أشهر، فسدَّد المبلغ، ووضع تحت أيديهم مبلغًا للشهور القادمة.

في اليوم التالي التقيتُ به، ولم أكن أعلم بما فعله من أجلي، ليقول لي: (أنا زعلان منك يا أبا النعمان، كيف تُعاني عوزًا وأنا موجود؟). قلتُ له: (فعلاً أنا لا أعاني). قال: (لقد انتبهتُ لسؤال حكمة الحاج وتهربك من الإجابة عليه، وذهبت إلى الفندق وعرفتُ كل شيء وسدَّدت لهم أجور الشهور الماضية والشهور اللاحقة). ثم أخرج مبلغًا، ووضعه في حقيبتي دون أن يعلم أحد بذلك، ثم قال: (اصبر، حتى أحصل على المبلغ

الذي يخصني بعد أن أنهي إجراءاته، لأغيّر لك حياتك بشكل جذري). ثم طلب مني أن نفكر في طباعة مجموعتين من شعره في دار نشر جيدة.

عندها ذهبنا إلى مكتب «الإنسان» حيث الشاعر سلمان داود محمد، وعرَّفته به، وسألناه عن مطبعة جيدة، فقال: (جاري طبَّاع جيد، اسمه زياد، واسم مطبعته كذلك زياد، وهو يُصمِّم أغلفة كتبه مع المتن عند حامد الكيلاني الفنان والكاتب الخلوق الرائع الذي كان يعمل في القسم الفني في جريدة الجمهورية، وهو الآن يمتلك مكتبًا معروفًا في منطقة البتاوين، ويتعامل مع زياد).

وفعلاً تعرَّفنا على زياد واتفقنا معه، قلتُ له: (نريد طباعة مجموعتين شعريتين للأستاذ وليد صوالحة)، الذي كان يقف بجانبي وقاطعني ليقول لزياد: (بل ثلاث مجموعات، اثنتان لي والثالثة للأستاذ منذر).

شعرتُ بالإحراج، فقد فاجأني حقًا بهذه المبادرة، وأنا فعلاً كانت تحت يدي مجموعتي الثانية: «تمرين في النسيان».

قال لنا زياد: (أنا والمكتب بخدمتكم، وسيكون حامد الكيلاني سعيدًا بالتعامل مع كُتبكم، فهو صديق الأستاذ منذر كما أعلم، وما عليكما الآن إلا أن تحصلا على موافقة الرقابة في وزارة الثقافة والإعلام، حتى نبدأ خطوات الطباعة).

وفعلاً، هيَّأتُ مجموعتي وأرفقتها بمجموعتي الشاعر وليد صوالحة «كبرياء الحنين» و «السلام والمذبحة»، وقدَّمتُ

المجموعات، ولم ننتظر الموافقة عليها طويلاً، وبدون ملاحظات هذه المرة، تمَّ تسليم المجموعات لزياد، الذي قال: (لنذهب معًا فورًا إلى «حمادة» حامد الكيلاني، الذي فرح بنا ونحن نختاره لتصميم مجموعاتنا الشعرية الجديدة، التي تحمَّل تكاليفها مع إغداق في تكريم العاملين فيها الشاعر وليد صوالحة، الذي أهديتُ مجموعتي الشعرية له إكرامًا ووفاءً ومحبة. لتصدر المجموعات وتحصل مجموعتي «تمرين في النسيان» على جائزة الدولة للإبداع في حقل الشعر في عام صدورها عام ١٩٩٧.

وبعد مدة سافر أبو العبد ثانيةً وطالت مدى غيابه، وعلى الرغم من دفع أجور الفندق للشهور المقبلة، إلا أنني عانيتُ من عدم قدرتي على مساعدة أهلي وإخوتي في البصرة، وهم في وضع صعب للغاية، لا أُريد شرح جرح تفاصيله، عندها قررتُ العودة لشعر العمود للحصول منه على ما يسد حاجتي، وبدأت النشر والحصول على «التكريمات» مثل مئات الشعراء الذين تسابقوا على النشر من أجل مواجهة ظروف الحياة.

في هذا الفترة جاءني الصديق الناقد السينمائي صفاء صنكور، ليقول لي: كلَّفني الأستاذ هاني وهيب، بالاتصال بك لتتسلم مسؤولية القسم الثقافي في جريدة القادسية لأنك الأنسب والأصلح لهذا المكان». وفعلاً ذهبت للجريدة وتسلّمتُ ثانية المسؤولية في هذه الجريدة المهمة بين أقرانها من الصحف الرسمية، وكان عملي فيها وفق العقد.

في عام ١٩٩٧، وصلتْ إلى الاتحاد دعوة من اتحاد الكتاب العرب في دمشق، لحضور المؤتمر العام والمشاركة في مهرجان الشعر العربي، وقد تسلَّمها الدكتور نجمان ياسين رئيس الاتحاد، ووضع أسماء الوفد التي كان يراها مناسبة، وكان اسمي ضمن أعضاء الوفد.

كان في برنامج المؤتمر قضاء يوم في بيروت وعقد جلسة شعرية فيها، ذهبنا أنا والدكتور نجمان للسيد الأمين العام هاني وهيب في مقره رئيسًا لتحرير جريدة القادسية لإطلاعه على أسماء الوفد، وقد أبلغنا سكرتيره بأن يدخل الدكتور نجمان وحده لمقابلته، وفعلاً بقيت أنتظره، وعندما خرج من مكتب هاني وهيب، كان يبدو عليه الانزعاج، ولم يخبرني بأي شيء، وكانت بيده ورقة أخفاها عني.

في طريقنا إلى الاتحاد، قلتُ له: (ثق يا دكتور، أعرف ما جرى بينكما). قال: (كيف؟). قلتُ له: (ملامحك أفصحتْ عن كل شيء، وأنا أعلم أن السيد الأمين العام استبدل أسماء الوفد، وحذفني منه). قال لي: (فعلاً والله، وأنا رفضت لكنه أصرّ). قلتُ له: (لا عليك، المهم أنت بادرت، وأنا أشكرك، لكنني بصراحة كنتُ منزعجًا منفعلاً، جاهدت حتى أُخفي انفعالي، لأنني عرفت أن اختياره للأسماء بُني على أُسُس بعيدة جدًا عن هدف الاتحاد ومهماته المهنية والثقافية).

وعندما عرف الأستاذ وليد صوالحة أن السيد الأمين العام شطب اسمي، قال: سأُكلِّف الدكتور علي عقلة عرسان رئيس الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب ليدعوك دعوة خاصة

كشاعر للمشاركة في مهرجان الشعر.

وفعلاً بعد أيام وصلتني دعوة خاصة، وأخذت كتابًا من الاتحاد إلى مديرية الجوازات العامة، كي أستطيع السفر مع الوفد، لكن مدير الجوازات قال لي: (يجب أن تجلب تأييدًا من تجنيدك). حاولتُ معه، وشرحتُ له أن موعد السفر خلال يومين وأنا دائرة تجنيدي شمال البصرة في المدينة ولا يمكن أن أحصل على التأييد بيوم واحد، لكنه أصر على موقفه، مما جعلني أتخلف عن الوفد، واذهب للبصرة، وهناك اتصلت بالصديق الشاعر علي الإمارة، شرحت له الموقف، قال لي: (مدير تجنيد المدينة صديقي، لذلك سأرافقك لنكون من الصباح عنده).

وفعلاً ذهبنا أنا وعلي والتقينا هناك بالصديق اللطيف الشاعر والنسابة كاظم الخفاجي، الذي كان على علاقة وثيقة بمدير التجنيد، وتوجهنا له نحن الثلاثة، رحَّب بنا وفرح بزيارتنا وأبدى استعداده التام، ولكن عدم صلاحيته تزويد مواليدي بالتأييد الذي أطلبه، لأنها ستُطلب من جديد لأداء خدمة الاحتياط، عندها عرفت أنني من المستحيل أن أشارك مع الوفد، لأعود إلى بغداد حزينًا على فقداني هذه الفرصة، التي ارتجل حولها الشاعر علي الإمارة مقطوعة طريفة رائعة قال فيها:

ما بالُ إيفادكَ يا منذرُ
أربكهُ التجنيدُ والدفترُ
قد ذهب الوفدُ وها أنت ذا

تعود نحو القاع تستذكرُ
يا فرصةً ضاعتْ ويا رحلةً
معكوسةٌ أحلامها تُكسرُ
مثقوبةٌ جرّةُ أيامنا
حتى على الكتمان لا تقدرُ
حاولتَ ترحالاً فلم تستطعْ
هل ترحل الأشجارُ يا منذرُ؟

علي الإمارة
٢٠ كانون الأول ١٩٩٧
في المدينة شمال البصرة

• كمال العبدلي

في إحدى الليالي، جاء القاص عبد الستار ناصر مع الشاعر والمترجم حسين حسن إلى بيت السيدة حكمية جرار الذي أصبح شبه ملتقى ثقافي أدبي يشارك فيه بشكل دائم الكاتبة لطيفة الدليمي والشاعرة دنيا ميخائيل مع مجموعتنا أنا وفاضل جواد ورياض إبراهيم... كان برفقة القاص عبد الستار ناصر وحسين حسن شخص يرتدي البياض الكامل بدلة وقميصًا وربطة عنق وجوارب وحذاء، قدَّمه لنا أبو عمر تقديمًا احتفاليًا وهو يقول: (جئتكم بشاعر قدير، ورجل أعمال ناجح وصديق قديم لي، أخذته التجارة من الأدب فانشغل فيها).

رحبنا به جميعنا، وقلتُ له: (أهلاً بالرجل الأبيض).

ثم بدأ الأستاذ كمال بالحديث باللغة الفصحى الصافية، وبصوته المميز ومده للكلمات، وبدأت جلسة فيها شيء من الطرافة وإلقاء القصائد والحوار النقدي.

بعد ذلك تواصل حضور الشاعر كمال العبدلي إلى مقهى حسن عجمي واتحاد الأدباء، وصار فنارًا لعدد ليس قليلاً من الأدباء، فكان كريم النفس مهذبًا، يساعد الجميع ويغدق عليهم، ولكن اللافت في وضعه الجديد، أن حقيبته التي كانت تحتوي على رُزم من الأموال، أصبحت تحتوي معها

على رُزم من الأوراق التي ضمَّتْ قصائده الجديدة التي بدأ بنشرها في الصحف المتنوعة، أما عمله التجاري فقد علمتُ منه أنه خبير في صناعة الحلويات، ولديه معامل لصناعتها، وفي الحقيقة أن الحصار فعل فعله في إغلاق هذه المعامل، ومحاولة العبدلي البحث عن مجال بديل لعمله، وقد بدأ ببيع الأدوات والمكائن وإنفاق أموالها.

في إحدى المرات قال: (أُريد التعرف على الأستاذ جان دمو). فقلتُ له: (انتظره في الاتحاد، لأنه يحضر عادة في المساء بعد أن يقضي ظهيرته في حانة روافد دجلة في ساحة النصر).

حضر الأستاذ كمال بأناقته المعهودة وتهذيبه الجم، بانتظار قدوم جان دمو، الذي بدت علامات مجيئه من جلبة في الباب، حيث الصياح والضحك وتبادل الشتائم، وحين دخل إلى نادي الأدباء، بدأ قاموس شتائمه على جميع الحاضرين، ثم انتبه إلى وجود شخص غريب، فقال ضاحكًا: (هذا المخلوق منين جايبينه اليوم؟).

فنهض كمال من مكانه، وقال له: (أستاذ جان جئت للتعرف بك). فأطلق جان كما هو معتاد شتيمة وتركه ليجلس مع جماعة دعوه للجلوس. أما كمال العبدلي فبقي جالسًا في مكانه مع مجموعة من أصدقائه وهو يتحدث بفكاهة عن لقائه الأول بجان. أما حياته فبدأت تتعقد، لأن أدوات معامل الحلويات في طريقها إلى أن تنتهي بعد أن اضطر لبيعها قطعة قطعة.

وفي أحد الأيام، جاءني إلى الفندق، وجلسنا في الاستعلامات، وبعد صمت قصير قال بلغته الخاصة: (راح أبيع مكينة المصّاص وأُغرق أصدقائي الأدباء بالويسكي). ثم صمت طويلاً وقال لي: (الحياة قاسية يا منذر).

بعدها بأيام التقيت به في المقهى ليقول بحُزن: اسمع مني بيت الابوذيه هذا:

وگع بيه الدهر رفسات كلّات

وآنه الحطميت اصنام كلّات

عگب ذيج المكاين ألف كلّات

ويا هو الكان يتعيقل عليه

الكلات الأولى معناها واضح وهي الضربة بالرأس، أما الكلات الثانية فهي إله اللات الجاهلي، والكلات الثالثة معناها لفة السكر التي كانت تباع ويسمونها كله وهي قطعة سكر مخروطية تغلف بورق بنفسجي أو ازرق في العادة.

بعد هذا الشعر القاسي شعرت أن كمال العبدلي ليس على ما يرام.

وفعلاً كان قد قرَّر الهجرة وأخذ دعوته ورتب جوازه، وسافر إلى عَمَّان.

• خضير ميري

من الشخصيات المؤثرة التي تعرَّفتُ بها منتصف الثمانينات؛ الكاتب «خضير ميري»، هذا الشخص المُحيِّر العبقري حد الجنون الحقيقي، الذي كان معيارًا حاسمًا، وحلاً قاطعًا لعدد كبير من جيل الثمانينات.

كان خضير يتداول نظريات النقد الحديثة، وكانت قراءته غزيرة جدًا، وهو من أوائل المبدعين الذين التقيت بهم في بغداد، كنت مع ركن الدين يونس، في مقهى حسن عجمي، وكنا نرتدي الملابس العسكرية، دخل علينا ميري، بجسده النحيل ونظاراته المدورة ووجهه الحليق وأناقته الفارهة، جلس قريبًا مني، قال: (أنا خضير ميري) قلت له: ومَنْ منا لا يعرفك أيها الناقد المهم. قال: (اسمع مني يا منذر، أنا أتابع نصوصك، أنت تشتغل في منطقة مختلفة، وسيكون لك شأن ومسار وبصمة خاصة بك، أنت تكتب قصيدة السيرة الذاتية بذكاء وحرفية وقدرة على ترويض الحكائية في نصك الذي تُجيد بناءه بأسلوب فني واعٍ).

بصراحة تحدَّث طويلاً عني وبشكل مدهش، وبقينا معًا حتى المساء، حيث عُدنا أنا وركن الدين إلى المعمل الغربي في المحاويل.

وكنتُ في كل زيارة إلى بغداد أقضي مع ميري ساعات

نتحدث عن الشعر والأدب والفكر، وكان يعيرني بعض الكتب، ويقرأ نصوصي الجديدة التي لم أنشرها بعد.

وعندما عملت في دار الأمد للنشر، زارني وتحدث معنا أنا والست حكمية جرار وفاضل جواد عن مشروع فلسفي خاص به، وعن طرح مفاهيم فلسفية جديدة، من الضروري أن يتبنى طباعتها دار الأمد لتكون إضافة نوعية لإصدارته.

وفعلاً سلمنا مخطوطته (الإشكالوية والمعنى في السؤال الفلسفي) ناقشناه في مصطلح «الإشكالوية» وليس الإشكالية، واقنعنا باختياره الذي نظّر له وبرّر استخدامه من خلال فصول الكتاب.

وفعلاً تمت طباعة الكتاب ولاقى صدىً متباينًا، وعقدت حوله جلسات عديدة، منها في الأقسام الفلسفية في الجامعات، وقد كانت الحوارات بينه وبين الأكاديميين تطول وتتشعب، لكنه يخرج دائمًا منتصرًا عليهم.

وفي إحدى المرات سألته عن سر خلافه مع بعض المشتغلين في حقل الفكر والفلسفة، فقال: (ألا تكتبون أنتم قصيدة نثر وهي مختلفة عن الشعر الكلاسيكي؟) قلت له: (نعم). قال: (أنا قصيدة النثر في الفلسفة).

كنا أنا وخضير نعمل في القسم الثقافي في جريدة الثورة، وطالما تشاركنا في نشاطات صحفية وفي ندوات، وأتذكر كتابته المهمة عن مجموعاتي كلها، كان أول النقاد الذين يحتفون بدراية ووعي مع أي منجز لي، أما في المؤتمرات

والمهرجانات الكُبرى، فقد كان يساهم بقوة فيها بطروحات تثير أسئلة وجدالاً.

ولا أُريد ان اتحدث هنا عن علاقاته الاجتماعية الخاصة أو بعض ممارساته مع الآخرين لأنها شأن شخصي، لكنه كان حين يمر بموقف معقد سرعان ما يبرز الكتاب الذي تسلمه من مستشفى الأمراض العقلية، والذي يثبت سلامة عقله وخروجه معافى.

وتجربة الجنون التي كتب عنها ميري، هي تجربة أنتجت عددًا غير قليل من أعماله وكُتبه، وهي التي بادعائه إياها، أي بالجنون الذي مثَّل دوره تمثيلاً عجيبًا أنقذ حياته من موت أكيد وحكم حتمي بالإعدام، حين ألقت القوات الأمنية القبض عليه وهو يحاول الهرب خارج البلاد، أُودِع السجن، وكان معه عدد من الهاربين الذين يستدعيهم قاضي التحقيق واحدًا واحدًا، ويطلق عليهم الحكم بالإعدام... وحين جاء دوره، أشعرهم بأنه مجنون، فاحتاروا في أمره وقرروا إحالته إلى مستشفى الأمراض العقلية، ولأنه ذكي ويعرف أنه لن يُترك بسهولة، فقد مضى في أداء الدور خشية أن يكون مُرَاقبًا، وبالتالي تنكشف حقيقة ادعائه.

كنا جميعًا نعرف بوضع خضير، وكنا نخاف عليه حقًا، لكنه وبعد مضي وقت ليس قصيرًا على بقائه في المستشفى وتحمله أعباء هذه التجربة، أخذ بتنظيم ندوة أسبوعية لبعض العاملين في المستشفى وبعض المرضى ذوي الحالات غير المعقدة، وكان عدد من الأطباء ومنهم مدير المستشفى

المعني بالفلسفة مواظبًا على حضور هذه الندوات، بل إن عددًا من الأدباء وصلتهم معلومة عن هذه الندوات فبدأوا يحضرون مع الجمهور، وكانت موضوعات ندواته ذات بُعد فكري وفلسفي واجتماعي مبسط ومحبب لدى المتلقين من الحاضرين.

وبعد حلول الهجوم على العراق وقصف بغداد عام ١٩٩١ فُتحت أبواب المستشفى، وصار المصابون جميعًا يتجولون في المدينة ومنهم خضير ميري الذي طلب من الدكتور باهر مدير المستشفى أن يزوده بكتاب يثبت سلامته وشفاءه من المرض العقلي الذي ألمَّ به، وفعلا استجاب الدكتور باهر لطلبه وزوده بهذا الكتاب، الذي لم يعد يفارق خضير في كل الأماكن التي تنقل فيها.

• أحمد يعقوب

فلسطيني، عراقي، وسيم، مثقف، يجيد عددًا من اللغات، هو أحمد يعقوب، تعرفت عليه في نادي اتحاد الأدباء، كان يسأل عن الشاعر عقيل علي، وقد قرأ له نصوصًا مهمة، وبدأت علاقتنا تتوطد به منذ تلك اللحظة وخصوصًا أنا وخالد مطلك.

كانت لأحمد طقوس خاصة في حياته، وكان يحب التجوال بشكل عجيب، يريد أن يمشي دروب بغداد كلها، ويريد أن يتعرف على المزيد من الأماكن الشعبية، وكان دائم التردد على ساحة الطيران، وخصوصًا بعد منتصف الليل، حيث الباعة والصعاليك، وصولاً إلى الخارجين مع الفجر بحثًا عن عمل في ساحة الطيران.

أحمد يكتب قصيدة النثر بوعي عالٍ ولغة رشيقة، يختار موضوعاته من الحياة، لكنه يعطيها بُعدًا أسطوريًا يتناغم مع ثقافته الواسعة، وكان يعمل في المجال الإعلامي مع أبو العباس، وقد استأجر شقة في الطابق الخامس - الأخير - من عمارة في الكرادة، مقابل مستشفى عبد المجيد الأهلي، من النادر أن ينام في شقته وحيدًا، فالأصدقاء وخصوصًا ممن هم قادمون من محافظات الوطن يلتجئون إليه دائمًا.

كان كريم النفس مخلصًا، شجاعًا، أتذكر حدثت مشاجرة

معي ذات ليلة، حين كنت عضو المكتب التنفيذي الخفر في نادي الاتحاد، تمَّ تجاوز بعض الدخلاء علي، وتشاجرنا، كان هو الوحيد الذي بقي معي ولم يهرب مثل الكثير الذين شهدوا الحادثة، التي اضطررتُ فيها للتعامل بعنف مع هؤلاء الدخلاء، وخصوصًا بعد أن ضربوه وتسببوا في كسر فكه، حيث أخذته لمدينة الطب ليلتها وتمت معالجته، ليكون الحدث هو الشغل الشاغل للأدباء في اليوم التالي، وقد حاول البعض استغلاله للإساءة لي وللدكتور نجمان ياسين الذي كان مستهدفًا يومها، إلا أننا احتوينا الموقف، وتعاملنا مع الأمر بحكمة وتعقل، ومرَّتْ الحادثة التي جاء مسببوها واعتذروا منا.

وفي صباح عام جديد أظنه عام ١٩٩٧، كنا أنا وأحمد يعقوب مدعوين من قبل أصدقائنا في سوق الشيوخ في الناصرية، لإحياء جلسة شعرية، وقد وصلنا إلى السوق، ودهشنا بناسه وطيبتهم وإدمانهم الشعر بكل ألوانه، يومها حللنا ضيوفاً في بيت الشيخ الشاعر جميل حيدر، ثم انتقلنا إلى بيت الشاعر خضر خميس، وقد رافقنا من الناصرية الأديبان هيثم محسن وزيدان حمود، والتقينا الشعراء والكُتَّاب أجود وعلي مجبل، وكمال السعدون والأستاذ الجنديل مع حشد من المبدعين الرائعين، وقد قدمنا في الجلسة الشيخ جميل حيدر بأبيات شعرية ارتجلها ببراعة، لأقرأ أنا عددًا من قصائدي، ثم ليقرأ بعدي أحمد يعقوب الذي طلب هو أن يكون ثانيًا، لأنني أردته أن يقرأ هو أولاً، فهو ضيف عزيز علينا، لكنه وبسبب

هواجسه التي أعرفها في معرفة ردود أفعال الجمهور، آثر أن أبدأ أنا، وكانت جلسة ظل الأصدقاء يتحدثون عنها طويلاً، وقد كتبت عنها في حينها في مجلة ألف باء مع صورة جماعية لنا في بيت الشيخ جميل حيدر.

كان لأحمد وجهة نظر بالشاعر وليد صوالحة، وكان يحاول الابتعاد عن اللقاء به، ربما لما سمعه عنه، ولموقف المنظمة منه.

شارك أحمد يعقوب في مهرجانات وأمسيات عديدة، وكان لصوته أثر خاص، وهو يختار القصائد التي تشد الجمهور إليه.

أما ترجماته فكانت مهمة جدًا، وخصوصًا عن الإسبانية التي يجيدها بطلاقة، فهو قد تنقل في أكثر من دولة ومدينة في العالم ومنها إسبانيا وأمريكا اللاتينية.

• انتخابات الأدباء

عام ١٩٩٨ على ما أظن، عُقِدتْ الانتخابات الجديدة، وكان مُخططًا لها أن تكون كما كانت عليه الأوضاع قبل المتغير الكبير من قبل التجمع الثقافي، وتم فتح باب الترشيح، وكان الدكتور نجمان ياسين أحد المرشحين.

وفي هذه الانتخابات شكَّل الشاعران رعد بندر ولؤي حقي تحالفًا على الرغم من الاختلاف الكبير بينهما في كل المواقف، لكنهما أرادا أن يبعدا الطرف الآخر المتمثل بهاني وهيب الذي استحوذ على كل شيء بعد قرار المكتب المهني بإبعاد الدكتور نجمان ياسين عن الرئاسة أو الأمانة العامة وحتى المكتب التنفيذي.

جرت الانتخابات بضجيج عال، ومناوشات كلامية وخلافات أدَّت إلى تجاوز عبد الجبار محسن على لؤي حقي، المهم جرى فرز الأصوات، وكان رئيس المؤتمر القاص والروائي علي خيون، وفاز الدكتور نجمان ياسين بأعلى الأصوات وبفارق كبير عن هاني وهيب، فيما حصلتُ أنا على المركز الثاني في التصويت.

وعُقِد اجتماع المجلس المركزي وتم تسمية الكاتب هاني وهيب رئيسًا للاتحاد، والشاعر عبد المطلب محمود الأمين العام، وتألف المكتب التنفيذي من الشاعر خالد

علي مصطفى والشاعر الدكتور محمد راضي جعفر والشاعر الدكتور مرشد الزبيدي والشاعرة ساجدة الموسوي والدكتور ضياء خضير والدكتور صفاء صنكور والشاعر عبد المنعم حمندي، وأنا.

وُزِعتْ المسؤوليات، وتسلمتُ أمانة الشؤون الثقافية، وقدمت برنامج عمل تضمن نوادي الشعر والسرد وأدب الطفل وأدب الشباب والسينما والترجمة، كذلك حرصت على تنشيط ملتقى تموز الشعري للشباب الذي كان يعطي كل عام عددًا طيبًا من الشعراء الشباب.

وفي نهاية هذه الدورة التي دامت ثلاثة أعوام تقريبًا تمَّ توجيه دعوة للاتحاد للمشاركة في مؤتمر الأدباء العرب والحلقة الدراسية المقامة على هامشه، وقد تألف الوفد المشارك من هاني وهيب رئيسًا والشاعر خالد علي مصطفى مع الدكتور عناد غزوان، وأنا، حيث شاركنا كباحثين في الحلقة الدراسية، وقد شاركت حينها ببحث تعلق بالشعر الجديد في فلسطين، تناولت فيه عددًا من الشعراء الشباب الذين قدموا تجارب جديدة مختلفة في الشعر الفلسطيني.

وفي الأيام التي غبنا فيها بسبب السفر، تمَّ شن حملة من قبل تلفزيون الشباب التابع لابن الرئيس، وقد أجرى مناظرة بين الأمين العام الدكتور عبد المطلب محمود، والشاعر جواد الحطاب الأمين العام الاسبق للاتحاد، وتم تكليف عدد من الأدباء ليتصلوا بالبرنامج ويضعوا الدكتور عبد المطلب في زاوية ضيقة.

وبعد عودتنا إلى بغداد عرفنا ما حصل، ووجهنا اللوم للدكتور عبد المطلب الذي ما كان عليه أن يستجيب لهذا الفخ.

وهكذا بدأ الصراع يتجدد، وهذه المرة دخل إلى الميدان الكاتب الساخر داود الفرحان الذي كان يمثل ابن الرئيس، وكانت الحملة الانتخابية محتدمة، حيث جرت عام ٢٠٠٢، وحدثت فيها جلبة ومعارك، وعند انعقاد المؤتمر الانتخابي تمَّ اقتراح عدي صدام حسين رئيسًا للاتحاد، ووجد هاني وهيب رئيس الاتحاد في حينها وهو على المنصة نفسه في حرج، اضطر إثره للقول بأننا جميعًا مع (شبل القائد).

وبعد دقائق تمَّ استدعاء داود الفرحان إلى إدارة المسرح الوطني الذي أقيمت عليه الانتخابات، ليأتي برسالة من عدي مفادها أن الأستاذ يشكر ثقتكم به، لكنه يعتذر عن تولي هذه المسؤولية ويقول: ليختر الأدباء قادتهم من بينهم وأنا أبارك للفائزين.

وجرى يومها إبعاد الشاعر رعد بندر عن ترشيح نفسه بحجة إنه لم يجدد اشتراكه، وكان قد حضر إلى القاعة وأحدث ضجة، بعد عدم السماح له، وقد أظهر جواز سفره الذي يثبت أنه كان خارج العراق، المهم حدثت جلبة وجرى التصويت بأجواء محتدمة، وكان الشاعر سامي مهدي رئيسًا للمؤتمر وفُرزت الأصوات، وحصلت فيها على أعلاها بفارق عن مرشح الحزب هاني وهيب، مع ملاحظة أن هناك خمسين صوتًا حذفت مني دون قصد طبعًا، لأنها بسبب

التسرع بالعد والشطب، وأدَّى حصولي على أعلى الأصوات إلى إثارة تساؤلات من قبل القيادة آنذاك، إذ كيف لفرد مستقل أن تتجاوز أصواته عدد أصوات مرشح الحزب.

وبعد أن قدَّم القائمون على الانتخابات ذرائع شتى، كلها تشكك في عملية فرز الأصوات، تقرر أن تُشكّل لجنة سرية يرأسها طارق عزيز لإعادة فرز الأصوات، وكان الشاعر الدكتور عبد المطلب محمود عضوًا فيها، وهو الذي أخبرني عن تشكيلها لفرز الأصوات والتأكد من تفوقي، ليلاحظوا جميعًا، أن التفوق صحيح وأن هناك خمسين صوتًا تمَّ حذفها مني، لذلك تمَّ طيّ هذا الملف وعدم الحديث به؟

استمر عمل الاتحاد حتى عام ٢٠٠٣، شهدت مهرجانات وأمسيات ونشاطات متنوعة، كما شهدت مفارقات عديدة ومواقف مؤسفة من بعض الأدباء الذين حاولوا أن يكونوا شُرطة على زملائهم، حيث قال لي رئيس الاتحاد مرة إنه طرد من مكتبه أحدهم، بعد أن تكررت زياراته له وجلب التقارير المسيئة ضد زملائه، حيث قال له: (من قال لك أنني في مركز شرطة لتجلب لي هذه الشكاوى القاتلة ضد زملائك؟).

لا أُريد هنا أن أتحدث عن هذه النماذج المسيئة، التي عرفت بنفاقها وتلونها، وكان البعض حين يحضر إلى مكتب رئيس الاتحاد يقبل يده نفاقًا وتملقًا.

• ملتقى الأجيال الشعري الأول

كتب الصحفي الدؤوب الراحل ناظم السعود في جريدة «علامات» الأسبوعية التي رأس تحريرها المفكر الراحل خضير ميري، عن مهرجان شعري حمل عنوان (ملتقى الأجيال الشعرية) اقتطف منه هذه اللقطات:

....

في مبادرة هي الأولى من نوعها، في هذا الموسم في الأقل، انتظم عدد كبير من الشعراء العراقيين في ملتقى شعري جديد أُطلق عليه (ملتقى الأجيال الشعرية الأول).

وقد أشرفتْ على هذا الملتقى رابطة الشعراء الشباب في الاتحاد العام لشباب العراق كمفتتح لمنهاجها الثقافي الجديد.

وقد لبَّى أكثر من خمسين شاعرًا دعوة الرابطة في محاولة لجعل هذا الملتقى بمثابة - لقاء - سنوي يجمع الشعراء المتفرقين بين الأجيال والاتجاهات الكتابية المختلفة، وفي ظني أن المحاولة الأولى هذه قد أصابت قدرًا من النجاح وخصوصًا في المنظور (العددي)!

وقد وجدتُ أن هذا الملتقى قد تمثلت فيه أجيال شعرية عديدة، وإن كانت متوازنة من ناحيتي الكم والنوع، إذ كان

هناك من جيل الريادة أو الجيل الخمسيني، الشاعران الكبيران عبد الرزاق عبد الواحد وراضي مهدي السعيد، ومن جيل الستينات الشاعر خالد علي مصطفى، ومن السبعينات الشاعرة ساجدة الموسوي، ومن الثمانينات الشاعر منذر عبد الحر، أما من التسعينات فكان (الحضور) الأكبر سواءً من الذين قرأوا أم من الذين لم يصل إليهم دور القراءة: مهدي الغانمي ومضر الآلوسي وفائز الشرع ومحمد البغدادي وفارس حرام ورحيم كريم وعارف الساعدي والدكتور رياض عبد الرزاق وعلاء المعاضيدي ووجيه عباس وعلي البغدادي وفلاح الشمري وعماد جبار والشاعرة الشابة أطوار بهجت، وكان من بين الحضور الشاعر الكبير محمد جميل شلش والدكتور علي الياسري الذي تساءل هو إلى أي جيل ينتمي؟ ثم أجاب إنه يتمنى أن يكون من جيل لبيد العامري وجيل بدر السياب.

ومن الذين حضروا فعاليات الملتقى من دون أن يسهموا فيها كان هناك الدكتور نجمان ياسين رئيس الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، وأيضًا شيخ النقاد عبد الجبار داود البصري الذي فضَّل أن تكون إسهامته على شكل (تعليقات) ومداعبات شعرية وخصوصًا مع الشاعر خالد علي مصطفى.

عبد الرزاق عبد الواحد... يتذكر

شاعرنا الكبير عبد الرزاق عبد الواحد افتتح القراءات الشعرية بقصيدة جديدة كتبها خصيصًا لمناسبة مرور سبع وثلاثين سنة على تأسيس (أسرتي) حسبما يقول.

ثم قرأت الشاعرة ساجدة الموسوي قصيدة مقطعية ذات رشاقة تعبيرية.

أما الدكتور علي الياسري فقد قرأ قصيدة جميلة بعنوان (الميراث).

وجاء الدور للشاعر والناقد المشاكس والصريح دومًا خالد علي مصطفى الذي اعتذر قائلاً (أنا لم آتِ بشيء من بضاعتي فقد تركتها في أدراج مكتبتي) ولكونه لا يحفظ شعره كما قال، مع إنه يحفظ دواوين بأكملها لشعراء آخرين، وقد فضّل أن يقرأ مقطعًا من قصيدته المعروفة (سورة الحب).

منذر عبد الحر... وعصا المعلّم

الشاعر منذر عبد الحر، الذي مثَّل جيله الثمانيني خير تمثيل هنا، جاء بقصيدة نثر جميلة عنوانها (عصا المعلّم) كانت تفصح عن إمكانية رائعة لاستحلاب الذاكرة الحياتية من خلال مؤثر شعري شديد الخصوصية، لقد استذكر الشاعر خلاصات مرحلة غائرة في عتمة سيرته وحاول بشعره اصطياد تلك المواقف الأكثر رسوخًا في وجدانه.

ومن الجيل الأحدث قرأ أولاً الشاعر علاء المعاضيدي

ثم فارس حرام ومحمد البغدادي الذي أثار شجن الحضور بتقديمه المؤثر لقصيدته، ثم قرأ شعراء آخرون: رحيم كريم وعلي البغدادي ومضر الآلوسي وإسماعيل حقي وعارف الساعدي وعماد جبار ووجيه عباس وفلاح الشمري.

وإذا كانت هذه القراءات لم تُفصح عن تمثّل كامل للمستوى الشعري للجيل الجديد، باتجاهاته كلها، فإنها بالمقابل ميَّزت قدرات وأصوات محددة تفاعل معها الجمهور الحاضر، وهنا نذكر أولاً قصيدة الشاعر مضر الآلوسي الذي بات يتقدم صوب سلَّم الشهرة بخطوات واثقة، وكذلك قصيدة الشاعر عماد جبار التي تثير إعجابًا متزايدًا مع أنه قرأها في ثلاثة محافل أدبية متتالية! ولا نغمط نصيب الشعراء الآخرين من الجودة وإن كنا نأمل أن نسمع منهم المزيد من الفيض الشعري الذي يمكن أن يدخلهم في تأريخ الشعر.

ومن الملاحظات التي أوردها الكاتب ناظم السعود في تغطيته الواسعة للحدث:

- في أخر فقرة شعرية عاد الشاعر الكبير عبد الرزاق عبد الواحد إلى المنصة مجددًا، بعد إلحاح كبير من الشعراء المشاركين ليقرأ مقطعًا من رائعته الميمية (الحسين) التي كان قد كتبها في مدينة كربلاء قبل ثلاث سنوات (عام ١٩٩٥)، وقبل أن يغادر القاعة بادر الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد إلى تحية الشعراء المشاركين قائلاً: إن ما سمعته اليوم يؤكد ما قلته منذ سنوات من أن بيرق الشعر سيظل باقيًا في العراق.

خلاف منتظر

حال انتهاء القراءات الشعرية، كان على الحضور أن يشهدوا (فقرة) أخرى كانت منتظرة من الشاعر والناقد الدؤوب خالد علي مصطفى الذي أعلن أمام الجميع رأيه بصراحة بما سمعه خلال الملتقى ووجه نقدًا قاسيًا إلى هذا (الشعر) الذي تُلي أمامه إذ لم تعجبه منه سوى أبيات فقط، وذكر أيضًا أن الملتقى كان منحازًا إلى شعر بعينه وإلى شعراء معينين، ويقصد بذلك الشعراء الذين نظموا الملتقى وممن يتجهون إلى كتابة القصيدة العمودية، وذات التفعيلة من دون أن يواكب ذلك شعراء آخرون من جيل قصيدة النثر الذين شكّل غيابهم نقصًا كبيرًا في الميزان الشعري للملتقى وبالتالي لم يجد الشاعر الناقد أن الملتقى كان ممثلاً حقيقيًا للأجيال الشعرية.

وقد تصدّى الناقد عبد الجبار داود البصري إلى آراء الشاعر خالد علي مصطفى وقال إن هؤلاء الشعراء يمثلون مدرسة شعرية جديدة لأنهم يكتبون (القصيدة الكلاسيكية الجديدة) وقد ابتعدوا عن الكتابة التقليدية للقصيدة العمودية وإن أي تشابه بينهم هو مقصود. ومدح البصري عددًا من الشعراء الشباب الذين قرأوا في الملتقى وشخّص مجموعة منهم وهم مضر الآلوسي ومحمد البغدادي وعارف الساعدي وعلي البغدادي وأعلن إعجابه بصورة خاصة بقصيدة الشاعر فلاح الشمري الميمية.

وهكذا استمر الجدل، أو الخلاف النقدي، بين الاثنين ولكن بعيدًا عن المنصة... وخارج قاعة الشعر.

....

جريدة علامات العدد ١

الثلاثاء ١٦ محرم ١٤١٩ هجرية

١٢ أيار ١٩٩٨

صفحة متابعات

• قصيدتان لم تُنشرا في أيّ من مجموعاتي الشعرية

....

انحدري... انحدري من الخوف

تنحدرين من الخوف..... لا... لستِ لبوةً، أجيئُكِ محمّلاً بالجنوب، أتلو على نافذتك قرابيني، وأنتظر الوردة على الجدار... الذي يلوّن التجاعيد، ويعطي حذركِ نعاسًا أشدّ...

ألوّح للساعات وللوعول وللسفن الموغلة بالنوم، أختارُ شعرَكِ للإشارة، ونهديكِ للجنون...

تنثرين البهجة على المارّة بحزنك الذي يورّد جبينك، ويحشو الفزّاعات ويعلّمني التمرّس بالترقّب...

أجيء من فتنة الرسائل لظلام الباقات، أنيقًا بخياناتي، دافئًا بالتهامي صمتك التالي ثرثرتنا...

تصعدين إلى الجمر - مختارة -

لستُ ربيعًا حتى أفقأ الليل وأجرّد الشجن من علاماته...

وأنتِ... متلافٌ للمساءات، تلفّقين الشرفات على الصباح، وتنسجين بيتًا بلا حرائق...

••••

تقفزين إلى الزهور، وتشتهين الدمى، وتدمدمين بالوسائد، وتحنّين للحقول...

أقتطع موجي، وأرفع الحنّاء لمئذنتك، وأرمم تجاعيد حزني...

موشكًا على الصراخ... طحنتُ التحديق بالثمالة، وأعددتُ مائدة لظنوني، فارتميتِ على حائطي، ورشفت سقطتك، قربانًا للغريب...

منحتكِ موسيقى... وأعطيتني شرودًا

قلدتُكِ وردًا... ووشمتني بالشحوب

سأدنو من فراغك... وتذوبين في فراغي

عيناكِ مرثية... وعيناي شتاء

تحتمين بالظلال من ذاكرتك، وتكتشفين تلصّصي، تصابين بالإشراق، وتتورم أصابعي من الوعد، أبدل الكراسي بالثعابين، وأدعو لوليمة تنتهي فيك، ولا تبدأ مني، أوزّع الحيرة على الضيوف ليخرج كلٌّ ومقصلته.....

ربما أعلّق رأسي في الباب، أو أختزل الأعمدة، وأطلي الوجوه بالفضة التي تشبه الموت...

لأجلِكِ...

أعدُّ رسائل وبحّارة طيّعين

أقترح البحر متمنيًا مدنًا من شمع وقلائد...

من يقطين وغوايات

تحتمين بالأشجار من أسرار ثيابك، لا تندمي

حين أشيع اللؤلؤ وأركب الكلمات

لا تحتمي بالورق الضاحك من براءتنا...

ولا تتهمي البنفسج بالخجل...

••••

مدني رتّبت طوابير زائريها، وأيقظت المتنحّين عن الوقت، جمعتُ ثعالب الحانات ورشقتُ وجوه المنفيين بالحقائب، مدني، أعدّت أزقتها من الدهشة، رتت أغنياتنا بالسخرية وهي تجمع الأوراق من الأرصفة

أراكِ - تحت الفتنة - تمارسين مراياك أمام السكارى، تعمّدين عسلك بهمساتي، تبتسمين للمطر، وتلبسين القلق أساور، إمعانًا بالنقمة...

مدني... رفعت راياتها للشواطئ

تعرفتّ فيّ على الناي، ورسمتُ على سرابك خجل القرى، وعلى بياضك فطم العشّاق...

تمايلت في جموح الربيع...

وناديتِني من العشب المخضّب برضابك

غادرت الحقائب التي تتلوى تحت إبطي في الطريق إلى الأحجار، جلستِ على شاهدتي تقرأين المراثي وتلعنين الهزائم...

ألوّثُ نوافذك بالطيور، وأترك بصماتي على فراشك دليلاً على الندم...

أصافح حرسك، وهم يعدّون السلال لقطافي...

كيف أدرّب فمك على العصيان، وعنقك على الغواية، وجرحي على السماء...

كيف أصافح الكدمات على لعثمة خطاك، وأبشّر بخطئي الآتي من رماد تعرفين شهقاته؟

كيف؟

انحدري...

انحدري...

من الخوف!

....

جريدة القدس العربي

العدد ١٣٥٩

٢٩ أيلول ١٩٩٣

مطرُكِ... قمرٌ تهشّم...

أجيءُ على أطراف أصابعي. ، لئلاّ تقفز العصافير من عينيك، وتحمل أحلام النوافذ للرمل...

أتأملُ رقادكِ - طفلاً يتعقّب نجم خوفه ويضرم القلق بالوسائد - أموّهُ الضوء وأطرّز الشوارع بالخطى ما نحًا مناديلي - بصباحاتها - لفاختة أعطتني الرماد واستأنستْ بالحشود التي نثرت على رأسي النفي وسالت في الأزقة الراقدة في العزلة...

••••

أجمع لثغتي من حروف جيدك، زاحفًا للمرمر، موغلاً بالصمت، أرى فزّاعات قدميك نذرًا لحرائقي، وأختار حرثي من رقدة على طين جبينك...

مَنْ للقصيدة التي تذرفين، وهي تغلي في الليل، وتبكي في الصباح؟

من للقرى إذا اخترت جمّار نهديك من الشرفات المفروشة بالقمر؟

••••

مجاورًا لهفتي، أمرُّ بين رفات شلاّل يعنيك، أهبط على

ثدي، وأتشبثُ بالآخر، أعلّق لافتةً على سرّتك، وأزحف نحو رتاج شفتيك، أحنُّ لجزر فخذيك، وألقي شباكي على عسل يزفّه حدّاك من السماء..... إلى الجنون...

أدنو من انتظارك، وأهتف لشَعرِكِ الذي يرشُّ النجوم على صدري، ويقسم مساءك إلى شموع... وأضرحة...

أجمع على أصابعي نشيج أيامك قائلاً للضحيّة:

انتفضي من بطون السيل، وامنحي الأسوار أشجارًا، تشير لأقراطك وتلوّح لحليب زنديك، وأنهار اقترابك من حريقي...

••••

عطّلتُ جيوش كبريائي، واخترتُ فشلاً لا يشبه انكسار الأجنحة التي أراقت ذكرياتها، وفتحت المواقد واصطادت الرسائل من غنجك...

مانحة أهواءك خطواتٍ وصهيلاً للمثول بين سنابل أميرٍ، يفتح ذراعيه للأقنعة، ويومئ لامرأة تردم الغناء... وتذرُّ المطر قلائد... ومصابيح...

••••

أترقّب القصائد الهاطلة من خوفك، وأحتمي بالجمر من هزائمي، أتلو على ركبتيك نشيد الفزع، وأنا، أشرب ياقوتك، وأخفي رحى الهمّ عن بكائك...

مَن لجنوني...

إذا ارتكبتِ سريرًا وأحطتَه بالأمومة؟

أرتّب الصور...

وأملأ الجدران لذّاتٍ...

وأجمع الزبد من فراشات الحلم...

أشرب بكفّيّ ماء الحرب، وآخذ أسلحتي من خياناتها... للبئر...

••••

العربات تخيط فمي، وضحكتك المرة تصعد الأرقام، وتقطف الذنوب...

••••

وصلت سيجارتك الدمعة، وجذبتها لوقت ملقىً على الرصيف...

أرائك فرغت من المحاربين...

والكراسي تسللت للشمس مملوءة بالنباح...

أسلت على خديك المآذن...

وعلمتِ كفّيّ الحناء

وساقيّ الأراجيح...

ورأسي الغيوم...

••••

افرغي اسمك للمنازل، وقدّمي باقات الفرح المصنوع، وترنّمي بخيوط الأقنعة وأنت تساقين للريبة مكبّلة بالأنوثة، تقدّمين السنابل للآتين، وتقولين لي:

شايُكَ الندمُ ومطرُكَ قمرٌ تهشّم فجمعته الغربان

خبزُكَ الترقُّب...

ومدنُك بِركٌ تجيئها مثقلاً بالصوم

ريحُكَ الصمتُ، ومثواك الفزع

••••

تنهمرين من الظلام، تتكوّرين في عشّي حين تندب البحيرات عناقيدك، وتتلوّى في عجين ساقيك، نداءات مختومة بالجنون...

مَن لأصابعي إذا تورّم القلب وكشى حذرًا إلى حلمتيك... يحرث الزغب، ويلثم فطامه بين أقفالك؟

أعيدي إليه الفتنة...

وكمميه بالنصر!

••••

تعدّن رقصة للفراغ، وتصطادين الضوء من الراحلين إلى سجونهم، تحفظين قناعك، إيذانًا بالتذكير

اجتزتِ حقول الرمان، فاحتالت عليك القرى، وحفظلك أبناؤها في عروقهم، ليكرروا الفحولة في السواقي...

أضأتِ هبوبي...

وتمكنتِ من صوتي

وبنيتِ لي جبالاً من الأحلام

••••

تجمعين أوراقي على السرير...

وتتقلبين على لهاثي، توزعين باقاتك على المُدن المطفأة، ترسمين - بساقك - جنوبًا عاريًا يكذب النوافذ ويسمّي الخطيئة صهيلاً، تنامين في رقصتي، وأنا، أمرر أنفاسي على قطيعك، أشعل الفتنة في المراعي، وأتجوّل مأخوذًا بالمدن المزروعة بين خصريك... تأخذني الروائح لمطرك.....

فأجثو على أقدام الحلم، أمضغ ميتاتي، وأحفر قبورًا للألم

••••

أقفز من جزيرة لأخرى، أصغي لنعاسك، تضربين المرآة بدلالك، لتصير مروحة تطرد الخجل من شفتيك إلى خديك،

وتعينني على الحقول...

كوني ثلجًا في أوراقي، أكن شعلة في انتظارك

ملأتِ الصحو موسيقى، وجعلتِ قريتي مرتعًا لينابيعك...

كبّلتِ الورد بالقُبل، والصباحات بالأجراس، والرأس بالشهوة، والجوع بالأمنيات

....

جريدة القدس العربي

العدد ١٥٠٧

٢٥ آذار ١٩٩٤

الخاتمة

بعد أن أنهيتُ السطور الأخيرة من الجزء الأول من سيرتي الثقافية، وشهادتي الشخصية حول ما عِشته وتفاعلتُ معه، لابد لي هنا أن أُوجِّه الشُّكرَ الجزيلَ للصديق النبيل المبدع الرائع «علي رحماني» الذي أمدَّني بعددٍ مُهمٍ من المصادر الخاصة بجيل الثمانينات الشعري، وقد استللتُ من هذه المصادر ما يمكن عدّه وثيقة تاريخية تؤشِّر ملمحًا من الملامح البيّنة في هذا الجيل.

ولا أدعي انني أحطتُ بكل معطيات ومنجزات الشعراء الذين أشرتُ إليهم، كما أنني أعرف أن هناك ملاحظات من الممكن أن تتولَّد لدى القارئ المعني بما جاء في سطور الكتاب، فلا يوجد عمل بشري متكامل، ولا توجد حقيقة مطلقة في أي قضية من قضايا الحياة.

إن اختياري عنوان الكتاب «بئر يوسف» جاء للتعبير عن الدلالات التاريخية والرمزية لهذا البئر الذي ألقى إخوة يوسف عليه السلام أخاهم فيه، مُعتقدين إنهم تخَّلصوا منه، ولكنهم لم يكونوا يعلمون أنه منطلق لحياة مضيئة لا تخلو من مصاعب وعقبات وأزمات ومِحن، وصولًا إلى فسحة معقولة من النجاح.

جعلتُ نفسي في هذه السيرة شاهدًا عاش الأحداث وتفاعل معها، ليُعبِّر عنها من وجهة نظره هو، وربما كانت هناك آراء تستحق جدلًا وحوارًا، أو هناك وجهات نظر تختلف عن وجهة نظري في تشخيص بعض الحالات والظواهر، وكذلك هناك أسماء غابت عن ذاكرتي كانت حاضرة في بعض المواقف، وهو أمر؛ على الرغم من أهميته؛ إلا أنني اعتمدتُ فيه على ذاكرتي التي دعَّم تفاصيلها بعض الأصدقاء الذين شاركوني بعض المواقف، لذلك أُقدِّم اعتذاري لكل من لم أذكر اسمه، وأعده أنني حين أتلقى إشارةً منه، فإنني سأعالج الأمر في طبعة أخرى من سيرتي هذه.

أُشير أيضًا إلى أنني وصلتُ في سرد الأحداث إلى ما بعد عام ٢٠٠٠ بقليل، مؤملًا نفسي بكتابة جُزءٍ ثانٍ بذات الأسلوب السردي المُبسَّط المدعوم باستشهادات ووثائق أحاول أن أرفقها كوثيقة دالة على مصداقية الموقف أو الحدث.

وقد حاولتُ في هذا الجزء أن أُرفق عددًا من الوثائق والصور والرسائل الشخصية، وقد نجحتُ فنيًّا في بعضها، ولم أستطع توفير نماذج واضحة للكثير منها، ولذلك لم أُوفَق بنشرها مع الصور التي أُلحِقتْ بالكتاب.

ولابد لي في الختام أن أُجدِّد الشُّكر للصديق الحبيب المُبدع «إسلام شمس الدين» مدير (مؤسسة شمس للنشر والإعلام)، الذي حرص على التواصل اليومي معي، على الرغم من انشغاله الدائم، حاثًّا لي ومُتابِعًا بحرصٍ نبيلٍ من أجل أن يظهر الكتاب بأفضل ما يمكن.

والله الموفِّق والمُعين.

منذر عبد الحر

بغداد

١٣ تشرين الثاني ٢٠٢٣

ملحق الصور

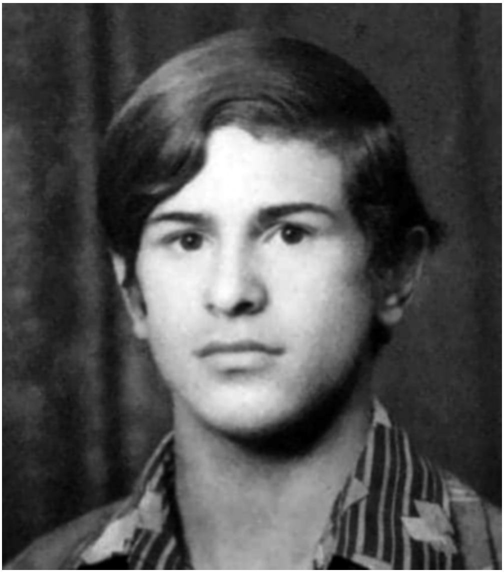

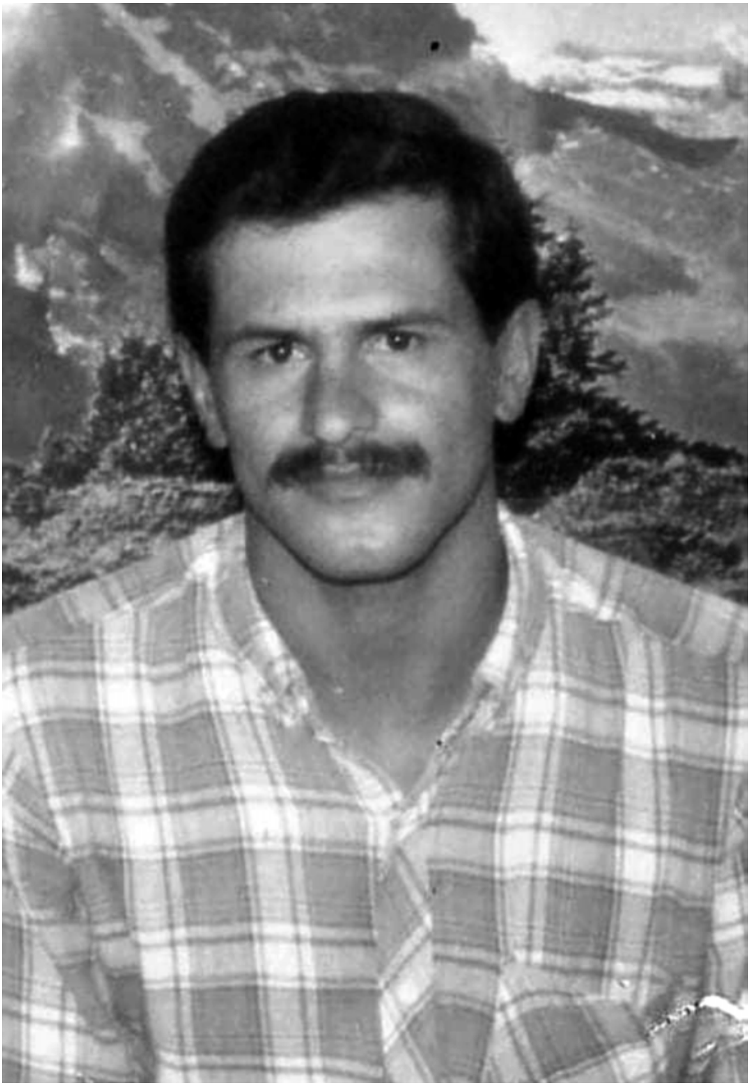

الحر ابا منذر عبد الحر

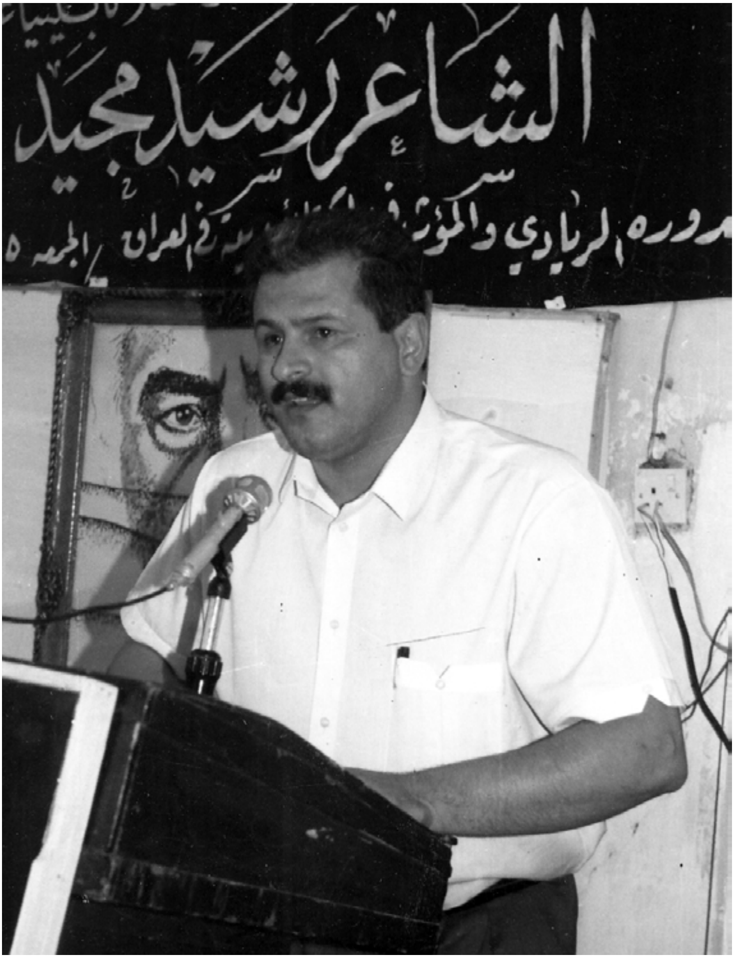
الشاعر رشيد مجيد

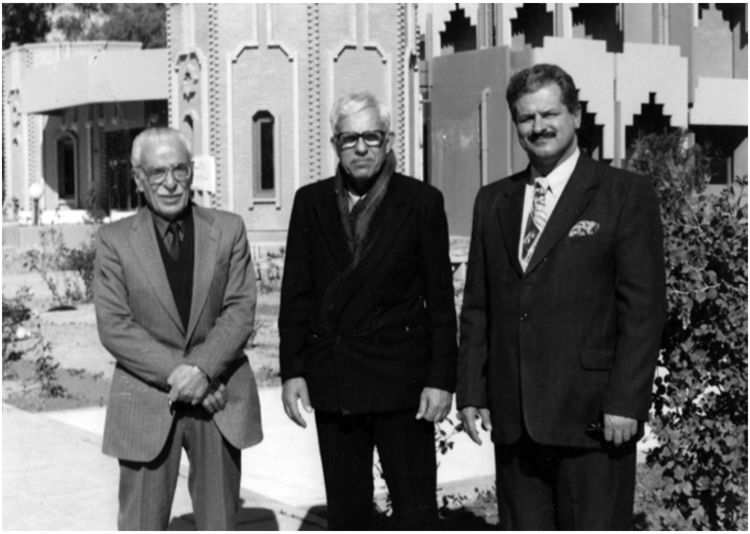

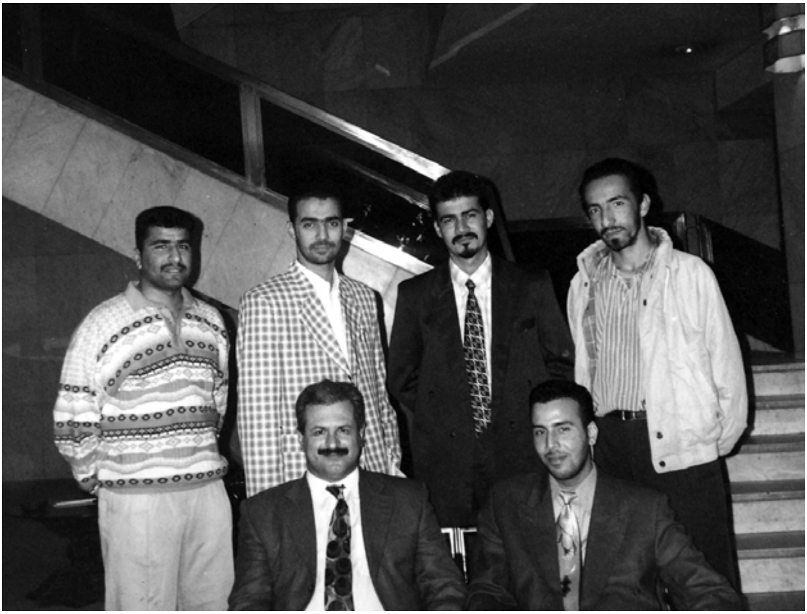

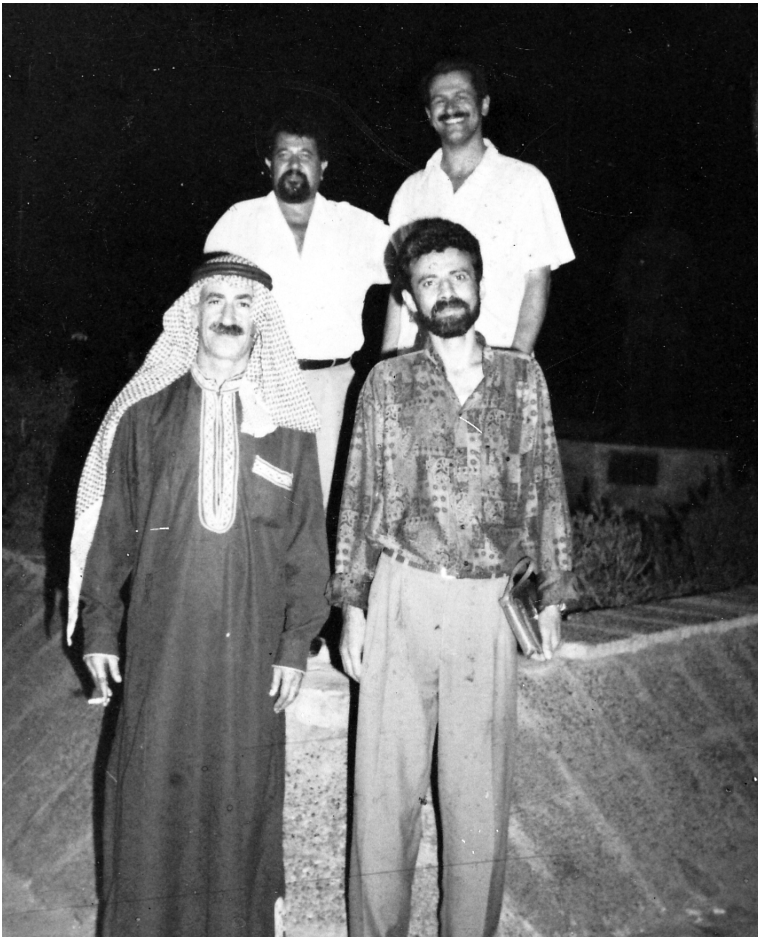

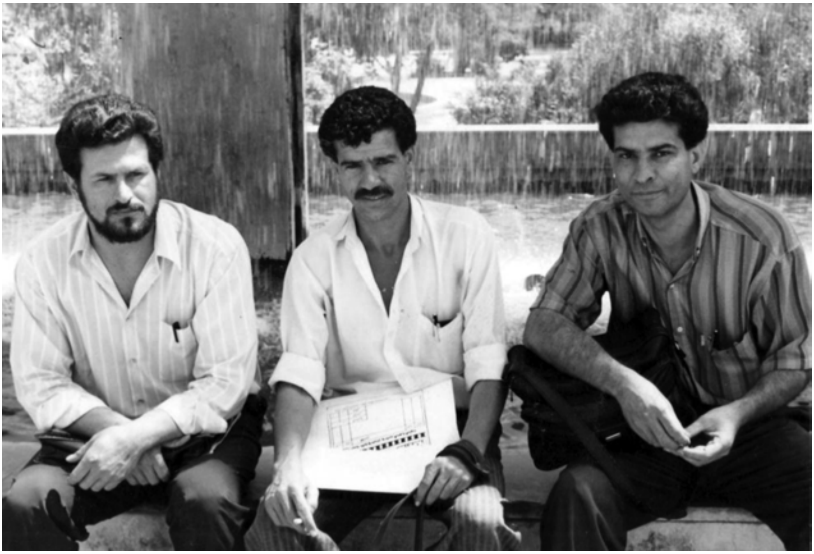

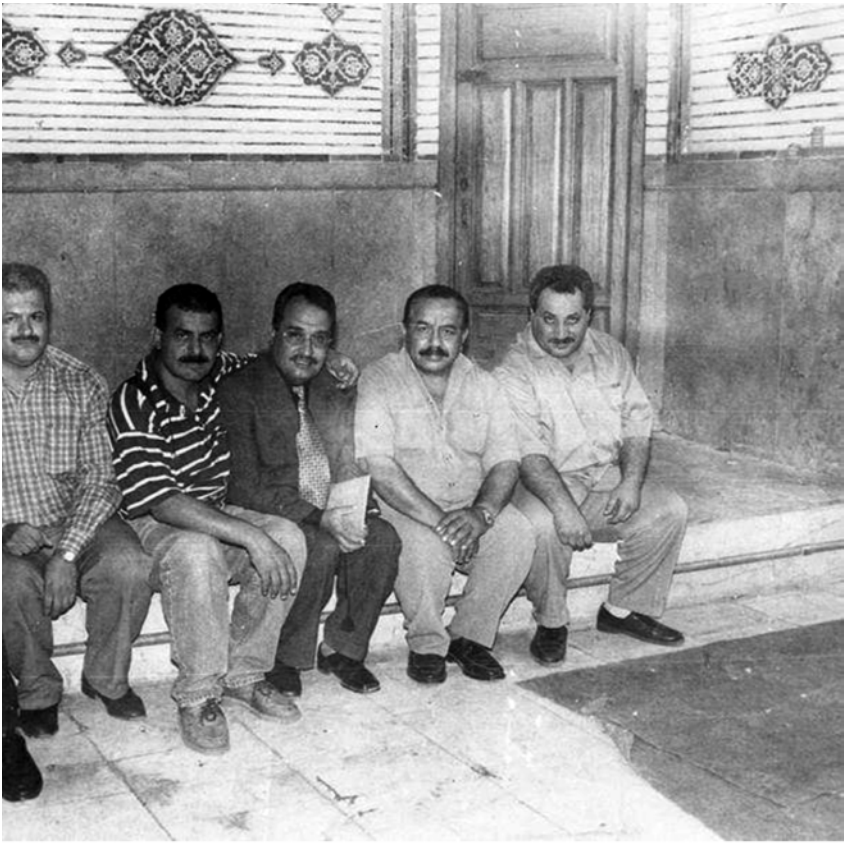

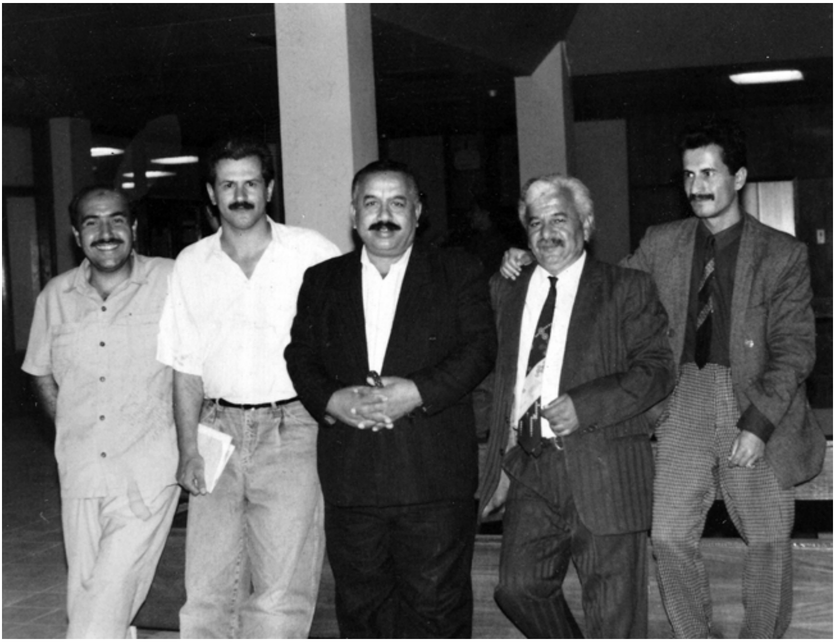

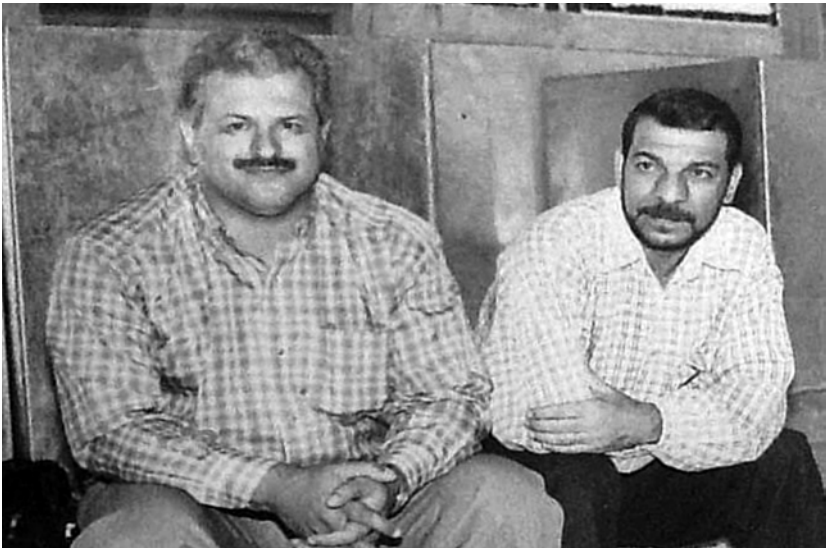

الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق

بطاقة المرشحين لعضوية المجلس المركزي (دورة الفتح المبين) ١٨/اب/٢٠٠٠

ملاحظة ضع علامة صح امام اسم المرشح

ت اسم المرشح	العلامة
١ - هاني وهيب	٢٦٦
٢ - د. عبدالمطلب محمود	٢٩٢
٣ - د. محمد راضي جعفر	٢١٩
٤ - ساجدة الموسوي	٢٠٧
٥ - خالد علي مصطفى	٢٠٥
٦ - عادل الشرقي	٢٨٧
٧ - صفاء صنكور جبارة	٢٢٠
٨ - حارث لطفي الوالي	١٦٠
٩ - د. مرشد الزبيدي	٢٣٦
١٠ - منذر عبدالحر	٢٧٢
١١ - عبدالمنعم حمندي	٢١٩
١٢ - معد الجبوري	٢٢٢
١٣ - د. مزاحم علاوي	٢١٣
١٤ - د. بشرى البستاني	٢١٤
١٥ - أمجد محمد سعيد	١٩١
١٦ - عبداللطيف الدارمي	١٢٢
١٧ - محمد صالح عبدالرضا	١٣١
١٨ - علي خلف الإمارة	٢٠٩
١٩ - عبدالزهرة زكي	٢٩٨
٢٠ - عبدالإله جعفر	١٢٤
٢١ - د. مؤيد عباس حسين	١٥٢
٢٢ - موفق عبد الفتاح العاني	١٠١
٢٣ - راضي مهدي سعيد	١٨٢
٢٤ - محمود حسين موسى	٨٦
٢٥ - شكر حاجم الصالحي	٢٢٣
٢٦ - د. عمد عبدالسلام رؤوف	١٧١
٢٧ - عبدالحليم المدني	١١٥
٢٨ - جبار الكواز	١١٠

ت اسم المرشح	العلامة
٢٩ - محيي الدين اسماعيل	١١٢
٣٠ - الهام عبدالكريم	١١٢
٣١ - د. علي البكري	٢١٨
٣٢ - سليم عبدالقادر السامرائي	١٣٢
٣٣ - عبدالزهرة الديراوي	١٠٨
٣٤ - رعد مطشر مسلم	٢٧١
٣٥ - طه حامد الشبيب	١٩٨
٣٦ - لؤي حقي	٢١٢
٣٧ - عبدالخالق الركابي	٢٢٤
٣٨ - صلاح زنكنه	١٦٧
٣٩ - فهد الاسدي	١٤١
٤٠ - حسن النواب	١٩٦
٤١ - فيصل ابراهيم كاظم	١٠١
٤٢ - عبدالعال مامون	١٣٠
٤٣ - جواد الحطاب	٢٢٥
٤٤ - محسن الخفاجي	١٤٩
٤٥ - داود الفرحان	٢٨١
٤٦ - ماجد اسد	١٤٤
~~٤٧ - منذر الجبوري~~	
٤٨ - أحمد الشيخ علي	١٩٠
٤٩ - عبدالرزاق المطلبي	١١٩
٥٠ - وارد بدر السالم	١٤١
٥١ - كريم شغيدل	١٢٠
٥٢ - ابراهيم زيدان	١٠٩

ملاحظة يرجى تأشير (٢٥) مرشحا فقط

المرشحون لمكتب الثقافة الكردية	
ت - اسم المرشح	العلامة
١ - خالد خوشناو ✓	
٢ - برهان البرزنجي ✓	
٣ - محمد البدري ✓	
٤ - حسين احمد الجاف	
٥ - شفيق محمود الجاف	

ملاحظة: يرجى تأشير (٣) مرشحين فقط

المرشحون لمكتب الثقافة التركمانية	
ت اسم المرشح	العلامة
١ - نوزاد عبدالكريم ✓	
٢ - عادل فؤاد مجيد	
٣ - احمد محمد كركوكلي	

ملاحظة: يرجى تأشير مرشح واحد فقط

المرشح لمكتب الثقافة السريانية	
ت اسم المرشح	العلامة
١ - يولص شليطا ملكو ✓	

في المكتب التنفيذي لدورتي 1992- 1996 طرحت فكرة تأسيس مربد للشعر الكردي ، وقد لاقت الفكرة ترحيبا واسعا من جميع الاعضاء ، فكان : ملتقى الشعر الكوردي الاول ..
وعلى مدار ثلاثة ايام بلياليها ، عبقت ممرات ومقاهي وغرف فندق المنصور مليا بعطور التنوع الابداعي لتلك الثقافة الرصينة التي تشكل اهم مكونات فسيفساء الادب العراقي .
في اليوم الاخير.. كان لي شرف تقديم دروع اتحاد الادباء لثلة مهمة من ادبائنا الكورد وفي مقدمتهم المؤرخ والعلم الكبير الدكتور كمال مظهر والذين ترون صورته اول الجالسين من اليسار ، وعلى الواقف وراءه تماما .

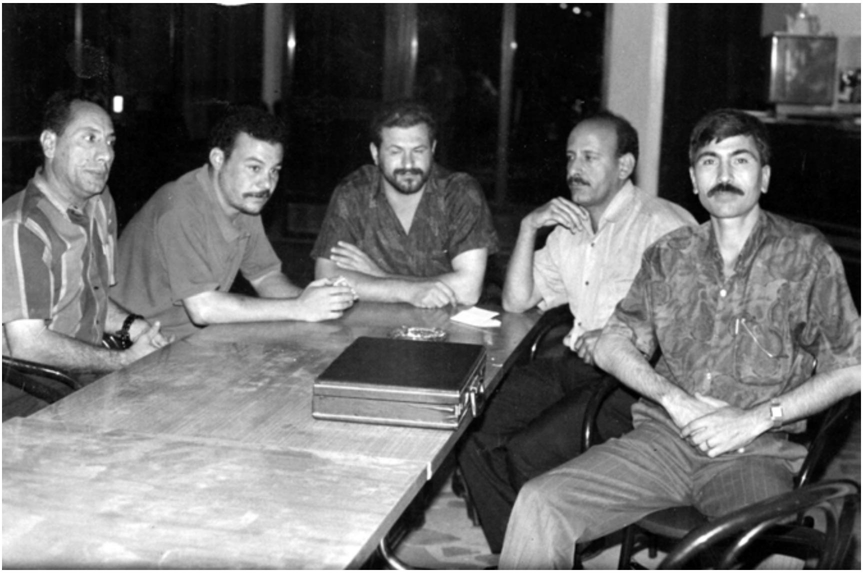

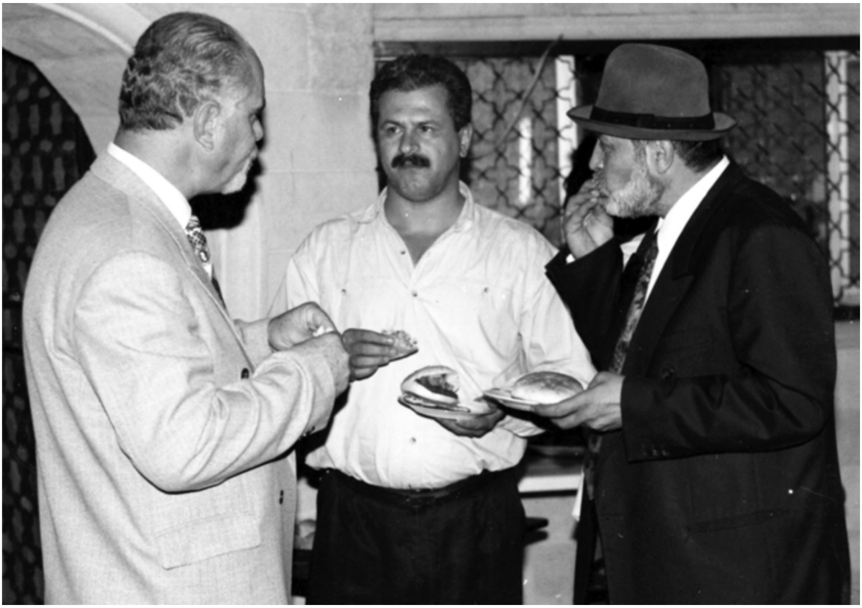

المؤلف في سطور

• شاعر وأديب وإعلامي عراقي، من مواليد مدينة البصرة، ١٩٦١.

• عضو المكتب التنفيذي في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، أمين الشؤون الثقافية.

• مدير تحرير جريدة الدستور العراقية اليومية.

• عضو نقابة الصحفيين العراقيين.

• عمل في الصحافة منذ عام ١٩٨٤.

• كتب عشرات التحقيقات الصحفية المتنوعة ونشرت في الصحف والمجلات العراقية والعربية.

• كتب عشرات الدراسات والبحوث الخاصة بالصحافة المرئية ونشرت في مجلات وصحف كلية الإعلام في بغداد.

• له عدد من البرامج الثقافية الإذاعية والتلفزيونية.

• له عدد كبير من الدراسات والبحوث الخاصة بالأدب الحديث.

• شارك في مهرجانات أدبية وثقافية عديدة في العراق وخارجه، كما مثَّل العراق في عدد من المحافل الثقافية.

• له قصيدة بعنوان «نشيد الصحافة» لحنها الفنان علي خصاف وتنشد في افتتاح كل فعالية تخص الإعلام والصحافة.

• له في مجال التلفزيون مسلسل من ثلاثين حلقة عُرِض في قناة الحرية الفضائية.

• كتب عنه الكثير من النُّقاد العرب والعراقيين.

• المؤلفات:

– – قلادة الأخطاء: مجموعة شعرية. دار الأمد للنشر، بغداد، ١٩٩٢

– تمرين في النسيان: مجموعة شعرية، مطبعة زياد، بغداد، ١٩٩٧

حصلت على جائزة الدولة للإبداع في الشعر في ذات العام

– قرابين: مجموعة شعرية. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠

– قرابين العش الذهبي: مجموعة شعرية. دار الزاهرة، ضمن إصدارات بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، ٢٠٠١

– شجن: مجموعة شعرية. دار الكرمل في عمّان عام ٢٠٠١

– زائر الماء: رواية. الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥

– على حصان خشبي: مجموعة شعرية. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٠

– طقوس الإثم: رواية. مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠١٢

– أعمل الآن قرب مقبرة: مجموعة شعرية. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٣

– صديقي الأمل: مجموعة شعرية. دار الجواهري، بغداد، ٢٠١٥

– غناء الجرح في فضاء المعنى: إشارات ثقافية وقراءات نقديّة في الشعر الحديث. دار المثقف للطباعة، بغداد، ٢٠١٧

– غناء سري : رواية. ط١، دار المثقف للطباعة، بغداد، ٢٠١٨

طبعتان ٢، ٣، منشورات أحمد المالكي، بغداد، ٢٠١٩

– أنا سيزيف السعيد : مجموعة شعرية. دار المثقف، بغداد، ٢٠١٩

– مطرٌ صاعدٌ إلى السماء : مجموعة شعرية. منشورات أحمد المالكي، ٢٠٢٠

– بئر يوسف: سيرة شخصية لشاعر من جيل الثمانينات في العراق. مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠٢٤

– له في مجال المسرح مسرحيتان من المونودراما

الأولى بعنوان «أعشاش»، عام ١٩٩٥

الثانية بعنوان «غرقى»، عام ١٩٩٦

• البريد الإلكتروني: munther_alhur@yahoo.com

محتويات الكتاب

- إهـداء ٥
- تقديـم ٩
- الولادة ،والطفولة ١٥
- والدي ...وعنترة بن شدَّاد ١٧
- ولادتي الثانية ١٩
- العودة إلى بغداد ٢٢
- التنظيم الطُلابي ٢٣
- مجلتي ...ومعسكر العمل الشعبي ٢٥
- تجربة المسرح ٢٧
- العودة إلى البصرة ٣٠
- البحث عن كتاب في كركوك ٣٤
- مكتب السكرتارية ٣٧
- فرحة النشر الأول ٣٩
- سنوات الناصرية ٤٢
- إلى الحبوبي تمثالاً ٤٩
- الطليعة الأدبية ٥١
- قسوة خالد علي مصطفى ٥٣
- السير وحيدًا ٥٥
- العريف ركن الدين يونس ٥٨
- مهرجان تموز الشعري ...وكزار حنتوش ٦٠

- رحلة غناء طريفة ٦٢
- ملتقى الإسكندرية الأدبي ٦٤
- مجهر السلطة الثقافية ٦٥
- توثيق الأدب الإنساني للحرب ٦٩
- جيل الثمانينات الشعري ٧٠
- إصدارات ضمَّنت شعراء الثمانينات ٧٩
- ملف مجلة «حُرَّاس الوطن» ٨٥
- الطلائع الأولى للجيل ٩٢
- جائزة يوسف الخال ٩٦
- أهم النقاد الذين كتبوا عن الجيل ٩٧
- تداخُل التجربة ٩٨
- رواية «زائر الماء» ١٠٠
- العمل بتوزيع الصحف اليومية ١٠٦
- ثقافة الزعيق ١٠٨
- قصة «ومن ثم يصحو الكلام» للقاص عبد الستار ناصر ١١٠
- دار الأمد للنشر ١٢٣
- تعيين الأدباء العاطلين عن العمل ١٢٩
- وليد صوالحة ١٣٣
- كاظم غيلان ١٤٢
- من مفارقات جيل الثمانينات الشعري ١٤٦
- أسمال «جان دمو» ١٤٨
- حل منتدى الأدباء الشباب ١٥٠
- قصائد من ذي قار ١٥٦

- جيل المُصححين ١٥٩
- الصحافة الأسبوعية ١٦٠
- النموذج السيء ١٦٠
- فِتنة أدونيس ١٦٨
- الثمانينيون لـ«ركن الدين يونس» ١٧٢
- قوة النص اليائس ١٨١
- هدايا جان دمو ١٨٧
- سمّ التأويل ١٩١
- عتّالو الظهيرة ١٩٤
- حول قصيدة (عتّالو الظهيرة) ٢٠٠
- مِحنة قصيدة النثر ٢٠٩
- مغامرة تلّ بريدان ٢١٢
- المسار الجديد لاتحاد الأُدباء ٢١٧
- العمل في جريدة الثورة مُجددًا ٢٢٠
- بداية كتابة قصائد المديح ٢٢٣
- كمال العبدلي ٢٣٨
- خضير ميري ٢٤١
- أحمد يعقوب ٢٤٥
- انتخابات الأدباء ٢٤٨
- ملتقى الأجيال الشعري الأول ٢٥٢
- قصيدتان لم تُنشرا ٢٥٨
- الخاتمة ٢٦٩
- مُلحق الصور ٢٧٣

شمس للنشر والإعلام
ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)
www.shams-group.net